٨١

NURUOSMANIYE
2697
3147

حلي لا على تش

١٧

دفعه تاریخ عینی

٢١٩

٣١٤٧

وقف اكرم السلاطين من طبقات الملوك واسهى الخواقين بحسن السيرة والسلوك
السلطان ابن السلطان السلطان ابو المواهب عثمان خان ابن السلطان
مصطفى خان ادام الله ايام دولته وادام في لوايح الصفحة حشمته
وانا الداعي الفقير الحاج ابراهيم حنيف المفتش باوقاف
الحرمين الشريفين
غفر له

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ

Kısmı	N. O.
Yeni Kayıt No	2697
Eski Kayıt	3147
Tasnif No.	

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الظاهر بآياته الباطن بذاته القريب برحمته البعيد بعزته
الكريم بآلائه العظيم بكبريائه القادر فلا يمانع والقاهر فلا ينازع
والعزيز فلا يضام والمنيع فلا يرام والمليك الذي له الأقضية والأحكام
الذي تفرد بالبقاء وتوحد بالعز والسناء واستأثر بمحاسن الأسماء
ودل على قدرته بخلق الأرض والسماء كان ولا مكان ولا زمان ولا إنس
ولا ملك ولا إنسان فأوجد المعدوم ابداعا وأحدث الموجودات
اختراعا جل وتعالى فيما خلق بغير احتذاء صورة واستدعاء مشورة
واقتفاء رسم ومثال وافتقار إلى نظر وقياس واستدلال ففي
كل ما أبدع وصنع وفطر وقدر دليل على أنه الواحد بلا شريك ووزير
والقادر بلا ظهير ونصير والعالم بلا تبصير وتذكير والحكيم بلا
روية وتفكير والحي الذي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
رفع السماء عبرة للنظار علة للظلم والأنوار وسببا للغيوث — للنظار
والأمطار وجوة للمجهول القفار ومعاشا للوحوش والأطيار
ووضع الأرض مهادا للأبدان وقرارا للحيوان وفراشا للجنوب والمضاجع
وبساطا للمكاسب والمنافع وذلولا لطلاب الرزق وأرباب البضائع
وأشخص الجبال أوتادا راسية وأعلاما بادية وعيونا جارية

وأرحاما للأجنة لا أعلاق حاوية وجعل البحار مغايض لفضول
الأنهار ومفايض لسيول الأمطار ومراكب لرفاق التجار ومضارب
لمصالح الأمصار ومناهج للأوطار تحتوي من الدر والمرجان نباتا وتنبع
من الملح الأجاج عذبا فراتا وتقذف للآكلين لحما طريا وتحمل
للابسين جواهر وحليا واستخلف على عمارة عالمه من انتخبهم
من خلقه وآثرهم بإلهامه ودبرهم بأوامره وأحكامه وكان أعلم بهم
من ملائكته حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وأقام عليهم
مهيمنا من لدنه يهديهم الرشاد ويحذرهم الفساد ويرجيهم
الثواب وينذرهم العقاب ولم يقتصر على ما أقام به من الحجة وأوضحه
من المحجة حتى ابتعث الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بالمعجزات
الباهرة والدلالات الظاهرة والبينات المتظاهرة داعين إلى
توحيده ونادين لتسبيحه وتمجيده فأزاح بهم العلة وأزال الشبهة
وأفاء سكون النفوس ونفى خلاج الشكوك فلم يزل يستخلف
من خليقته من يستن بسنن الأنبياء ويمتثل من قام بعدهم على
مناهجهم من الولاة والأمراء حتى انتهت نوبة [illegible] إلى من النبي المصطفى — الخلق صح
المجتبى المرتضى صلى الله عليه وعلى آله فأرسله بالحق بشيرا

ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وجعل امته
به افضل الامم وكلمتهم اعدل الكلم وملتهم اوسط الملل وقبلتهم
اسد القبل وسنتهم اقوم السنن وكتابهم اشرف الكتب
ووعدهم ان يكونوا يوم العدل والقضاء الفصل شهداء على من
يظهر الجحود وينكر الواحد المعبود قال الله تعالى وهو اصدق القائلين
واحكم الحاكمين وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فنسخت بشريعته الشرائع
وبصنيعته الصنائع وبدليله الادلة وببدره الاقمار والاهلة
وانتشرت نبوته مسداة بالخلاص ملحمة بالاخلاص معلمة بالتمام — من السدى الى اللحمة
مطرزة بالدوام على تعاقب الليالي والايام لم يفرط فيها من شيء يقتضي
تماما ويستدعي دوامه وكمالا كما قال الله تعالى جده اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فاطلق
على الدين لفظ الكمال لاستقامته على غاية الاعتدال وانتفائه عن
عوارض النقص والاختلال الى ان قبضه الله جل ذكره اليه مشكور
السعي والاثر ممدوح النصر والظفر مرضي السمع والبصر محمود العين
والخبر فاستخلف في امته الثقلين كتاب الله وعترته اللذين — ما استخلفهم
يحميان الاقدام ان تزل والاحلام ان تضل والقلوب ان تمرض

والشكوك ان تعترض فمن تمسك بهما فقد امن العثار وزحزح عن
النار ومن صدف عنهما فقد اساء الاختيار وركب الخسار وارتدف
الادبار اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما
كانوا مهتدين فصلى الله عليه وعلى آله ما انبلج الليل عن الصباح
واقترن العز باطراف الرماح ونادى المنادي حي على الفلاح صلاة
تكافي حسن بلائه وتضاهي سابق عنايته ويقضي فرض طاعته وتقتضي
قرض شفاعته وسلم تسليما ٥ وبعد فان الدين والملك
توامان فالدين اس والملك حارس فما لا حارس له فضائع وما لا اس
له فمهدوم والسلطان ظل الله في ارضه وخليفته على خلقه وامينه على
رعاية حقه به تتم السياسة وعليه تستقيم الخاصة والعامة
وبهيبته ترتفع الحوادث والفتن وبايالته تنحسم المخاوف والمحن ولولاه
لاختل النظام وتساوى الخاص والعام وشمل الهرج والمرج وعم
الاضطراب والهيج واشرابت النفوس لما في طبائعها من التباغي
والتنابز والتفاضل والتمايز حتى يشغلهم ذلك عما يصلحهم معاشا ومعادا
ويقيم اودهم يوما وغدا والى هذا المعنى يلتفت قول عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزع القرآن اذ كان اكثر الناس
يرون ظاهر السياسات فيردعهم خوف المعاقبة وحذار المؤاخذة

[illegible]

الوزع الكف والمنع

عن تنكب الجدد والعدول عن السمت المقتصد ومن لنا بمن يستقري
اى خطاب الله بفكره ويتدبرها بعقله ويجعل لنفسه منها اماما يهتدي به
الى الاصلح وربما يتنبه عن الاقبح فيكون مؤدب نفسه ومقوم ذاته
ورايض اخلاقه وعاداته وفي معنى حديث عمر رضي الله عنه منتزع من
قوله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا
يفقهون . فموضع السيف للعامة ومجموع القرآن للخاصة وان
كان الجميع في معانيه مشتركا وباوامره ونواهيه مرتبطا غير ان العامي
يرى السيف فيرتدع والخاصي يرى الحق فيتبع وشتان ما بين مدبر
ومسخر بغيره ومؤدب مهذب بنور ربه وقد كان يختلج في صدري معنى
قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد
ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله
قوي عزيز . بجمعه بين الكتاب والميزان والحديد على تنافر ظاهرها
من المناسبة وبعدها قبل الروية ولا استنباط عن جوار المشاكلة
والمجانسة وسالت عنه عدة من اعيان العلماء بالتفسير والمشهورين
من بينهم بالتذكير فلم احصل منهم على جواب يزيح العلة ويشفي الصدر
وينقع الغلة حتى اعملت التفكر وانعمت التدبر فوجدت الكتاب

قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد
ويفصل جمل الفرايض ويتضمن مصالح الابدان والنفوس ويتضمن
جوامع الاحكام والحدود وقد حظر فيه التعادي والتظالم ورفض
التباغي والتخاصم وامر بالتناصف والتعادل في اقتسام الارزاق
المخرجة لهم من رجع السماء وصدع الارض ليكون ما يصل منها
الى اهل الخطاب بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب
والتوثب واحتاجوا في استدامة حيوتهم باقواتهم مع التصفة المندوب
اليها الى استعمال آلة العدل يقع بها التعامل ويعم معها التساوي
والتعادل فالهمهم الله تعالى اتخاذ الآلة التي هي الميزان فيما ياخذونه
ويعطونه لئلا يتظالموا بالمخالفة فيتهالكوا به اذ لم يكن ينتظم
لهم عيش مع شيوع ظلم البعض منهم للبعض ويدل على هذا المعنى
قوله جل ذكره والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان
واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وذلك انه تعالى
جعل السماء علة للارزاق والاقوات من انواع الحبوب والنبات
فكان ما يخرج منها من اغذية العباد ومرافق حيوتهم مضطرا
الى ان يكون اقتسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف ولم يكن يتم ذلك
الا بهذه الآلة المذكورة فنبه الله تعالى على موقع الفايدة فيه

والعائذ به بتكرير ذكره فكان ما تقدم ذكره معنى الكتاب والميزان فيه
ثم انه من المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة
للتعامل بالسوية انما يحفظ العامة على اتباعهما ويضطر العالم
الى التزام احكامهما بالسيف الذي هو حجة الله تعالى على من جحد وعند
ونزع من صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته وشهاب نقمته
وجذوة عقابه وعذبة عذابه فهذا السيف هو الحديد الذي
وصفه الله تعالى بالبأس الشديد فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة
الشعوب متدانية الجنوب محكمة المطالع مفوفة المباني والمقاطع
فظهر بهذا التأويل معنى الآية وبان ان السلطان خليفة الله على
خلقه وامينه على رعاية حقه بما قلده من سيفه ومكن له في ارضه
واحق الولاة بان يكون شريفا نبيها وعند الله كريما وجيها
من كانت عنايته بنصرة الدين وحماية بيضة الاسلام والمسلمين
اوفر واوفى ومجاهدته لاعداء الله المارقين عن شرائعه الماردين
دون حدوده وفرائضه بنفسه وماله ورهطه ورجاله اشرح للصدور
واشفى وقد علم ابناء البدو والحضر واهل المدر والوبر من حيث
مد الصباح جناحيه الى ان ضمهما للوقوع في افق الغرب
ان راية الاسلام لم تظل على سلطان احسن دينا واصدق يقينا

مدح امين الدولة
محمود سبكتكين

واوسع علما وارفع حلما واسد سيرة واخلص سريرة واتم وفاء
واعم سخاء واوفر حياء واغنى غناء واعظم قدرا وافخم ذكرا وامد باعا
واشد امتناعا واجل جلالة واكمل عدة وآلة وارفع ملكا وسلطانا
واطوع انصارا واعوانا واروع سيفا وسنانا واحمى للاسلام
وذويه وانفى للشرك ومنتحليه واعدى للباطل ومن يليه اكتسابا ووراثة
وطبعا واستفادة من الامير السيد الملك المؤيد يمين الدولة وامين الملة
ابي القسم محمود بن الامير ناصر الدين ابي منصور سبكتكين ملك الشرق بجنبيه
والصدر من العالم وبديه انتظام الاقليم الرابع وما يليه من ثالث الاقاليم
وخامسها في حوزة ملكه وحصول ممالكها الفسيحة وولاياتها العريضة
في قبضة ملكه ومصير امرائها وذوي الالقاب الملوكية من عظمائها تحت
حمايته وحياطته واستذرائهم من آفات الزمان بظل رايته واذعان
ملوك الارض بغلبتهم لعزته وارتياعهم من فائض هيبته واحترامهم
على تقاذف البلاد وتحاجز الانجاد والاغوار من فاجئ ركضته
واستخفاء الهند والروم تحت جنوبها عند ذكره واقشعرارهم لمهب
الرياح من ارضه وقد كان منذ لفظه المهد وجفاه الرضاع وانحلت
عن لسانه عقدة الكلام واستغنى بالاشارة عن الافهام مشغول
اللسان بالذكر والقرآن مشغوف النفس بالسيف والسنان

محمود الهمّة الى معالي الامور معقود الامنيّة بسياسة الجمهور
لعب مع الاتراب جدّ وجده مستكدّ بالم لما لا يعلم حتى يقتله
خبرا ويحزن لما يحزن حتى يدمّثه قسرا وقهرا وكان الامير الماضي
انه لله برهانه يرى الدنيا بعينه ويسمع باذنه وينطق بلسانه
ويستحلي مذاق العيش به ويستطيب روح الهواء بقربه ويستفتح
مغالق الخطوب بيمنه ويستحمد عواقب الامور بابسه ولم يزل
بين سحره ونحره الى ان استنزلته رويّة البلوغ وبصيرة الادراك
عن حجره ولم ينفكّ يتدرّج بين الطافه وكراماته وولاياته
واقطاعاته من رتبة الى اخرى اعلى منها مكانا وارفع شانا الى
ان ولي قيادة الجيوش والعساكر بخراسان وهي الرتبة التي طالما
تناحر عليها كباش الرجال وقروم الابطال فلم يحظ بها الّا
العدد اليسير الذين سار ذكرهم في الافاق وتسامع بهم رجالات
خراسان والعراق سناء وقدرا ودهاء ونكرا ومهابة وحشمة ونباهة
ورفعة هذا على طراءة سنّه ونضارة غصنه وعنفوان امره
وريعان شبابه وعمره

قاد الجيوش لخمس عشرة حجّة ولداته اذ ذاك في الاشغال
قعدت بهم هماتهم وسمت به همم الملوك وسورة الابطال

ولم يتجر الى ان ملك خراسان باسرها والسند عن آخرها
وبلاد نيمروز عن اقاصيها وجبال الغور على حصانتها ودوّخ السند
فاستباحها وغزا الملتان فاجتاحها وتوغّل الهند غدوّا على
بدء فنكا جراحها واذلّ لقاحها وجاس مغانيها وربّعها وفتح
صياصيها وقلاعها واقام عن بيوت الاصنام مساجد الاسلام وعن
معاهد البهتان معاهد التوحيد والايمان فصارت الاطفال تهدّد
في بطالاتها باقدامه وتفزّع باقبال الويته واعلامه وظلّ ابدالهم
وجيبالهم وكاتهم وابطالهم كما قال اشجع السّلمي

وعلى عدوّك يا ابن عمّ محمّد رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبّه رعته واذا هدا سلّت عليه سيوفك الاحلام

وجرى له من البسطة في العلم والحلم والهيبة بالاسم الجسيم والظفر
باجابيش الاعداء في وقائع يعز صبر النفوس على امثالها وتكاد
الارض تمور من اهوالها ما لم يسمع بمثله خبر احد من الملوك الّا عن
اساطير الاوّلين اريد بها التطويل والتهويل والتعجيب والتغريب دون
الحقيقة التي يشهد بها العيان ويقوم عليها البيان والبرهان
فلو نشرت صحائف الدول الاسلاميّة وايّام الله الحنيفيّة لكانت
دولته غرّة تلك الدول ومساعيه فيها طراز تلك الحلل اذ لم يتفق

س: غزنين صنعی
ر: دوّخ اي صلّلها
ر: صاحها اي اسعدها
س: فنا
س: نكا الجرح اي قرحه
اللقاح قوم لا يدينون
الملوك

احدهم سلف الملوك من غرر المآثر وزهر المناقب والمفاخر ما اقتنى هو
بنفسه وابيه وآثاره ومساعيه ولما جاز الله له كرائم الخصال
ووفا طبع المكيال في معاني الكمال سياسة أزرت باردشير في
زمانه والمنصور في سلطانه وهيبة خفقت لها جنائب الليالي النائمة
وخمدت عليها عيون الاراقم العرمة وعدلا ضم بين الضدين حتى
الف النار الى الماء والف بين الذئاب والطلس والشاء فحفيت له انياب شبا
الاطراف والقرون صلابة للاجواف وكانت ايامه مشغولة بثمرات السياسة
عن ثمر الدراسة وبفرض السياسة عن نفل الاستفادة الى ان لطف
الله تعالى له باولاد كالنجوم الزواهر بل الليوث الخوادر بل السيوف
البواتر بل العقبان الكواسر من لم تقع الالحاظ اشخاصا توازيهم فخامة
وجلالا ووسامة وجمالا وسعادة واقبالا وسماحة وافضالا
وعلوما وادابا ولفظا وكتابا وحفظا وحسابا واخلاقا مرة وعذابا
فجمع الله تعالى له تمام السعادة وقصر عليه ادوات السيادة وتيقن
الشيخ الجليل شمس الكفاة ابا القاسم احمد بن الحسن لوزارته وتدبير
امور مملكته من ذخره الله تعالى لزمان صادف فترة من احرار الرجال
وابناء الفعال فلم يطبع مثله على غرار ولم يصنع شرواه في مضمار
سجاحة شيم ورجاحة كرم وسماحة كف وفصاحة قلم وهمة

ذكر الوزير

تُري الدنيا هباءة بين اخواتها الثائرة بل نقطة موهومة من نقط
الدائرة وغدت سدته ميقاتا للفضل ومنتجعا لاهله وسوقا للادب
واهليه تجلب اليها بضاعات الفضائل من منظوم ومنثور ومختوم
ومنشور وقد صنف طبقات للادباء تصانيف في ذكر ايامهم وتصاريف
احوال الزمان بهم بحسب قوتهم في البيان وسهمتهم من بلاغة الخاطر
والبنان حتى ان ابا اسحق ابراهيم بن هلال الصابي عمل كتابه المعروف
بالتاجي في اخبار الديلم موشى بحبر الفاظه الساحرة ومغشى بحلل
معانيه الزاهرة فحل عقد البيان بما قيده وبيض وجه البلاغة
بما سوده فان تكن دولة تقتضي اثبات محاسنها بالتخليد وتقييد
مآثرها بالتأبيد فهذه هي التي تقتضي الادباء ان يخلدوا بتقرير
معاليها كلامهم ويحلوا بتحرير مساعيها اقلامهم فلو ادركها الما
من ارباب التصانيف لودوا ان كانت الفاظهم عن غيرها معزولة
والى ذكر محاسنها منقولة ولحدثتهم انفسهم بان يعتذروا
اعتذار ابي نواس بقوله

اذا نحن اثنينا عليك بصالح فانت كما نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة لغيرك انسانا فانت الذي نعني

وقد كنت اقيد ان بعض صنائع هذه الدولة ممن له حظ في

ذكر الصابي وكتابه المعروف بالتاجي

ضون

الصناعة فتوجه في طرق البلاغة بتاريخ لتقييد أخبارها وجمع كتاب
في تصنيف أحوالها وأطوارها فمن ذلك أن قيام الأمير الماضي أنار الله برهانه
أميراً إلى أن أجلى أبا علي محمد بن محمد بن إبراهيم بن سيمجور عن خراسان كسيراً
وحصّله من بعد في يده أسيراً وولي أمورها سياسة وتدبيراً وما تقدر
له أثناء ذلك كله من إغاثة الأمير الرضي أبي القاسم نوح بن منصور رحمه الله
ونصرته واستجابة ما لطف إليه من دعوته والمدافعة عن بيضته وخطّته
واستبقاء ما فضل عن ذؤبان الترك من ولايته وكفّهم بترغيبه وترهيبه
عن إزالة حشمته واستباحة ما سلم عليهم من نعمته محافظة على
حقوق سلفه الذين طالما صنعوا الصنائع وأودعوا الودائع وبثّوا
العوارف والرغائب وأنفقوا الأموال والحرائب حتى كنزوا المحامد
وعرفوا للحرمات أقدارها وحفظوا على البيوتات أسنمتها وقضوا
لنفوس المنقطعين أوطارها إلى أن ورث السلطان المؤيد يمين الدولة
وأمين الملة مكانه فخلفه في ترتيب الأمور وتدبير الجمهور وتألّف الإخوة
والأقارب واستمالة القلوب ببذل الرغائب إلى أن استقل به سرير
الملك مطاعاً وتناهضت ولاة الأطراف إلى بيعته سراعاً فوجدتهم
قد عوّلوا في معانيها على ما سار في أكناف الحضر من أشعار الغرّة السنية
لازدحام الشعراء على بابه الرفيع بقصائدهم التي قد غبروا بها في ديباجة

التسعة بر كرست

الروذكي وصنعة الخسروي والدقيقي ولعمري إنها شافية كافية
ومن وراء الإشباع والإقناع آتية ولكنها دواوين خراسان لا تعرف
عن ديارها ارتحالاً ولا تألف غير أقطارها مجالاً فاقتضاني حكم ما
أسلفته في هذا البيت من خدمة وتعرفته أيام الأمير الماضي من
بركة اصطناع ونعمة أن أمتع أهل العراق بكتاب في هذا الباب عربي اللسان
كتابي البيان يتخذونه سميراً على السهر وأنيساً في المقام والسفر
ويعرفون به عجائب آيات الله في تبديل الأبدال وتقليب الأمور من حال
إلى حال مبتدئاً بذكر الأمير الماضي أكرم الله مآبه من حيث نشأت
نبعته وتفرعت دوحته إلى أن استعان به الأمير أبو القاسم نوح بن
منصور في تلافي دولته والانتقام له من أبي علي بن سيمجور حين نزع يده
من طاعته واستجرّه بحقّي مسألته عن دار إقامته لكفاية ما دهمه
من أمره وأمر من طابقهم من الترك على جفوته وأطمعهم بمسائله ووسائله
في تورّد مملكته وما جرى على يده من الفتوح المأثورة والمقامات المشهورة
ومتتبع ذلك بلواحقه من وقائع السلطان الأجل يمين الدولة وأمين الملة
في الهند والترك والخلج وما أتيح له من النصر والفلج وما يتصل بها من أخباره
وأخبار ولاة الأطراف في جواره والله ولي المعونة على درك المنشود وإصابة
الغرض المقصود بمنّه ه

ذكر ايام الامير الماضي ابي منصور سبكتكين رحمه الله وشرح احواله

قد كان ذلك الامير رحمه الله في جبلته ابي النفس حمي الانف
جري القلب قوي البطش كريم الخيم رضي التدبير كثير الحكمة
كبير الهمة يتبين ذلك في خصاله وخلاله ومتصرفات عزائمه واحواله
وحكى لي ابو الحسين جعفر بن محمد الخازن انه كان ورد بخارا ايام الامير
السديد منصور بن نوح في جملة ابي اسحاق بن البتكين صاحب جيوش
خراسان وهو اذ ذاك حاجبه الكبير ووجهه الغرير وعليه مدار اموره
وبيديه مناظم شؤونه وعرفه رجال تلك الدولة بشهامته وغنائه
وصرامته ومضائه فتوق سمو همته للارتفاع الى اليفاع فحين صرف
ابو اسحق الى غزنة واليا عليها وسالكا امسة ابيه بها انصرف
هو بانصرافه على جملته في زعامة رجاله ومراعاة ما وراء بابه فلم يلبث
ابو اسحق بعد معاودته اياها ان قضى نحبه وودع عمره ولم يبق من
قرابته وبطانته من يصلح لمحله ومكانته واضطرب العدد الذين هم
من مواليه وموالي ابيه الى من يتولى زعامتهم ويتكفل بحفظ الايالة
خاصتهم وعامتهم فلم ينفكوا مختلفين في الاختيار وسالخين
غب الاختبار الى ان اتفقت كلمتهم على تاميره واجتمعت آراؤهم

على الرضى بتدبيره والاذعان لحكم تقديمه وتاخيره فما سجوه
بايمانهم طائعين وحالفوه بايمانهم متابعين فولي امورهم براي صليب
وحزم عجيب واهتمام سديد وقيام بمصالحهم حميد ولم يزل
يركض بهم على اطراف الهند غازيا مجاهدا اعداء الله الكفرة بها
ومفتتحا قلاعها ومستخلصا ديارها وربوعها ومحكما سيوفه
في اهلها مومنا من اسلم ونهبه فيئا لمن اشرك وجحد وجرت
بينه وبين عساكر الهند حين عنت اعزامه وتظافروا على مدافعته
مثل واستنكاف عاديته حروب لبس فيها جلد النمر وارث نارها تاريث
المتنمر وعض فيها على نواجذ الصبر وجافى الجنب عن
المضجعة واقنع النفس بالطوى والمخمصة وانضى نجيبه مركب الحمية
وحث اصحابه ورفقاءه على لذة الامنية او راحة المنية كانما
عناه عمرو بن الاطنابة الانصاري بقوله

ابت لي عفتي وابى بلائي ۞ واخذي الحمد بالثمن الربيح
واجشامي على المكروه نفسي ۞ وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ۞ مكانك تحمدي او تستريحي

وحكى لي رحمه الله في عمارة ما كان يذكره من مواقفه في مقاماته وآثاره
في العدو ونكاياته انه وافقهم في بعض وقائعهم بهؤلاء الرفقاء عن

في العدد اليسير وهم في الجم الغفير وطالت بنا وبهم مماسة الحروب
حتى افنى الناس من الزاد وعجزوا عن الامتيار والاستمداد ولم يكن
امامنا الا السيوف القواضب ووراءنا الا المهامه والسباسب
فصرخوا الي بما دهمهم وسالوني حيلة الثبات على ما عراهم فعرفتهم
اني كنت استصحبت لخاصتي على سبيل الاستظهار صدرا من
السويق وهو الان قسمة بيني وبينكم عدلا سواء بالغا ما بلغ من قلة
الكفاية الى ان يمن الله تعالى بالفرج وكشف هذا الضيق والحرج
وكنت اخرج لهم اياما عدة لكل منهم اولا ولمن بعدهم اخيرا
قعبا صغيرا فيجتزي به طول النهار ونحن على ذلك بين معالجة المكروه
ومكابدة المحظور وملاقاة السيوف والسهام بحر الوجوه والصدور
الى ان وهب الله النصر واهب ريح الظفر واحاق سوء العذاب بمن
كفر فولوا الادبار بين قتيل مرمل وجريح مزمل وعقير مرهق واسير
بالقد موثق • وسمعته يذكر ما كان من حسن تدبيره وتقديره عند افضاء
الامر اليه واقتصار الامارة عليه ورزاحة حاله عن التوسع في الانفاق
والتخرق في البذل والاطلاق وانه كان كاحد رفقائه في الحال والمال
ويحتاج مع ذلك الى ان ياخذ المؤونة الراتبة عليهم من نفقاته
الراتبة فكان يدخر ما يفي منها بضيافتهم في الاسبوع دفعة او دفعتين

ولم يزل على هذه الجملة الى ان اتسعت حاله فزاده بحسب الزيادة
الى ان استكمل اسباب السيادة فكان كما قيل
نفس عصام سودت عصاما • وعلمته الكر والاقداما
وجعلته ملكا هماما • ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته
وعظم حجم جريدته وعمرت ارض خزانته واشفقت النفوس
من هيبته وتعلقت الاطماع بمعونته وكان من احدى فتوحه ناحية بست
فتح بست
وسبب ذلك ان بايتوز كان قد ملكها على طغان احد الامراء كان بها
غصبا واجلاه عنها حربا ونهبا فلجا هو الى الامير الماضي رحمه الله
مستظهرا به ومستنفرا اياه عليه بمال يضمنه وولاء يرهنه وطاعة
يبذلها وخدمة بالنفس والمال عند الحاجة يلتزمها فلبى نداءه وحقق
بفضله رجاءه وناهض خصمه بمعظم جيشه حتى اناخ بباب بست
وبرز بايتوز الى معسكره فتناوشا القتال كاشد ما يكون نفحا
بالصفاح ومشقا بالرماح واثخانا بالجراح فلما اضطرب الفريقان والتقت
حلقتا البطان حمل الامير الماضي من قلب عسكره حملة كشفتهم عن
مقامهم واغصت شوارع البلد بهم وادارك عليهم الحملات من كل اوب
حتى جلوا عنها مغلوبين وتفرقوا في متون الهضاب وبطون الاودية
والشعاب مخذولين واستقر طغان بها شاكرا احسانه وموجبا

تحقيق ما اوجب عليه ضمانه وبذل به رهنه ولسانه وهو يتميل في
ذلك بين انجاز وعد واخلاف ويترجح بين وفاق وخلاف حتى
اذا حان حين الاداء طالبه الامير بالوفاء واغلظ له في الاقتضاء لما
راه من فرط الاباء والالتواء فهما على صحراء غاصة بغلمانهما واتباعهما
فحدته عجرفية الطبع بالمنع ولم يرض بالقول حتى انتضى سيفه وضرب
به يد الامير ضربة اوسعت جرحها فلما تبين غدره ضرب بيده الى سيفه
وهي تشخب دما فضرب منكبيه ضربة انتصفت له منه وطلبه باخرى فحجز
عنهما اختلاط الفريقين فاهاب الامير الى رفقائه وغلمان داره بطرد
الغواة وحطمهم وتبييض تلك النواحي من سوادهم فلم يتلع النهار الا وبيت
له صافية واطرافها عن ذوي الخلاف خالية وشعار دولته حالية
وامتد بايتوز وطغان الى ناحية كرمان من سجستان ولم يحلم احد منهما بان
يلتفت وراءه فضلا عن ان يتمنى لقاءه ❀ وكان من جملة ما استفاده
ذلك الامير من صفايا الفتح ابو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب صاحب التجنيس
رحمه الله فانه كان كاتبا لبايتوز فلما استمر به الكشف اعتبته صحبته
فتخلف عنه ودل الامير عليه فاستحضره ومناه واعتمده كما كان
قبل معتمدا له اذ كان محتاجا الى مثله في الته وكفايته ومعرفته وهدايته
وحنكته ودرايته ❀ وحدثني ابو الفتح البستي قال لما استخدمني

ذكر ابي الفتح البستي الكاتب

الامير الماضي رحمه الله واحلني محل الثقة الامين عنده في مهمات
شانه واسرار ديوانه وكان بايتوز بعد حينا في جماعة يلوون السنتهم
بالقدح في والجرح لموضع الثقة بي لديه اشفقت لقرب العهد بالاختبار
من ان يعلق بقلبه شيء من تلك الاقوال ويفترس غرض القبول بعض تلك النبال
فحضرته ذات يوم وقلت ان ثمة مثلي من ارباب هذه الصناعة لا يرتقي
الى اكثر مما راني الامير اهلا له من اختصاصه واستخلاصه وتقريبه وترتيبه
وتخييره لمهمات اسراره غير ان حداثة عهدي بخدمة من كنت به موسوما
واهتمام الامير بنفض ما بقي من شغله يقتضيانني ان استاذنه في الاعتزال
الى بعض اطراف مملكته ريثما يستقر له هذا الامر في نصابه ليكون ما اتيه من
هذه الخدمة اسلم من التهمة واقرب الى السداد وابعد من كيد الحساد
فارتاح لما سمعه واوقعه من الاحماد موقعه فاشار الى ناحية الرخج وحكمني
في ارضها اتبوء منها حيث اشاء الى ان ياتيني الاستدعاء فتوجهت
عندها فارغ البال رافغ العيش والحال سليم اللسان والقلم بعيد القدم
من مخاضات التهم قال وكنت ادلجت ذات ليلة وذلك في فصل الربيع
اؤم منزلا امامي فلما اصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت
للركوب ففتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات يمنة محفوفة بالخضر
مغموضة بالنور والزهر واما بها ارض كانها مفروشة ببساط من الزبرجد

صفة الربيع والامطار والانهار والانوار

منجد بالدر والمرجان مرصع بالعقيق والعقيان تتسيب بينها انهار
كبطون الحيات في صفاء ماء الحيوة وقد فغمني من نسيم هوائها عرف المسك
السحيق والعنبر الفتيق فاستطبت المكان فتصورت منه الجنان وفزعت
الى الكتاب الذي كنت استصحبته لأخذ الفال على المقام والارتحال ففتحت
اول سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو فال
واذا انتهيت الى السلامة في مداك فلا تجاوز قلت هذا والله
الوحي الناطق والفال الصادق وتقدمت بعطف ضبنتي اليها وغنيت
ستة اشهر بها في نعيم عيش وارخاء واهنى سرور وامراه الى ان اتاني
كتاب الامير استدعاني الى حضرته بتبجيل وتأميل وترتيب وترحيب
فنهضت اليها وحظيت بما حظيت به منها الى يومي هذا ومن اخبيته ذلك
احد ما استدل به ذلك الامير على رأيه ورزانته ودرجته به الى محله
ومكانته وصار من بعد ينظم باقلامه منثور الآثار عن حياته وينسج بعبارا ته
وشائع فتوحه ومقاماته وهلم جرا الى زمان السلطان يمين الدولة
وامين الملة فقد كتب له عدة فتوح له الى ان زحزحه القضاء عن خدمته
ونبذه الى ديار الترك عن غير قصده وارادته فمات بها غريبا ولم يجد من انتهى
مساعدة الزمان نصيبا ولما استتب للامير تلك النواحي آخر من
واستقرت على شعار دعوته الاقاصي والاداني وصفت له اقرانها

ودرت عليه احلابها استخلف عليها من اختاره من ثقاته وخواصه
وكانت بلاد قصدار قد وقعت من وراء بيضته وتمرد عليه واليها بحصانة
اطرافها ونواحيها وخشونة مصاعدها ومهاويها فظن ان بعد الشقة
وحزونة المضرب وضيقة المدخل ووعورة المتغلغل مانعته من الدمور
عليه وقاطعته دون الوصول اليه فلم يرعه الا صيحة الغارة ولحاق
الخيول به كالخط في الاستدارة وقد طوى اليه تلك الطرق القاصية
والقلل العاصية المتناصية في ركضة لم ينل فيها جنبه قرارا ولا
عينه غرارا ولا خيله جماما الا لماما فهجم عليه في ربعه بنفسه وصحبه
فأخذه نظم اخذ المقصب شاته عجلان يشويها لقوم نزل
فكان صالحه كما قيل نظم اذا خرس الفحل وسط الحجور وصاح الكلاب
وعق الولد ثم رأى ان يمن عليه ويرجع اليه ما كان بيديه فأطلقه
تطولا وانعاما واعاده الى مكانه احسانا وامتنانا ووافقه على مال
يعجله وآخر في كل سنة يحمله فعمرت باسمه تلك المنابر واشترك
في العلم بحاله الوارد والصادر والغائب والحاضر ولم يزل بعد ذلك
يدارك الركض على اطراف الهند غازيا ومجاهدا حتى افتتح قلاعا
كانت مرتفعة في جبالها مطمعة باموالها ممتنعة برجالها وحصلها
كلها في يده ونظم خزائنها في سلك ملكه ولم يزل يتوغل تلك الحدود

ذكر جيبال ملك الهند

حتى افتتح قلاعاً لم يسكنها قبل إلا كافر ولم يطأها للإسلام خف
ولا حافر وحين علم جيبال الهند ما دهاه ممن يطوي مسافة ملكه وينقض
من أطرافه ولايته ويلصق الهون والخسار بمن يحامي عن حوزته أخذه المقيم
المقعد وملكه المزعج المكمد ورأى الأرض قد ضاقت عليه بما رحبت
فثار بنفسه وعشيرته وأعيان جيوشه وتكاكرته وما خف من ثقال
فيلته يريد الانتقام منه بوطء عرصة الإسلام واستباحة حلته الحرام
يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره
المشركون وسار كما هو حتى جاوز لمغان دانياً من ولاية الأمير
دنو الواثق بطوله الساكن إلى قوته وحوله وقد باض الشيطان في رأسه
وفرخ وشوى السوداء في دماغه وطبخ وهو يظن الظنون ويعد في حسبان
الحسبان ما لن يكون ولما سمع الأمير بتورده وتغلبه استعد لمناهضته
وجمع أولياءه على محاجزته واستجاش من مطوعة الإسلام من
وجب استجاشتهم لمناصبته وكف بأسه ومعرته وبرز من غزنة متوجهاً
نحوه وقاصداً قصده بنية في الجهاد قوية وحمية للإسلام أبية
ووافقه بين الناحيتين في رجال كقطع الليل أو دفع السيل ومعه
السلطان يمين الدولة وأمين الملة كالليث الخادر والعقاب الكاسر
والموت الكاشر لا يؤم صعباً إلا ذلله ولا يروم عقداً إلا حلله

ولا يرحم منجياً إلا لحظه ولا يصاول قرناً إلا أفاح دمه ونشبت الحرب
بينهم أياماً ولاء وأديرت عليهم كؤوس الطعن والضرب ملأى حتى
سكر الفريقان من سورة الطعان وبقرب تلك المعارك مما يلي الكفار
عقبة تعرف بعقبة غورك ينخفض عنها طرف العقاب ويعسكر
دونها جيش السحاب ذات مهاو ومشارف ومثان ومعاطف في بعض
أوهاديها شريعة ماء كالشريعة الحنيفية في الطهارة لا يقبل قذرا
ولا يحمل غثاء ولا عثرا فإن ألقي شيء من القاذورات فيه اكفهرت
له السماء واختلفت النكباء وأظلمت الشواهق والأعماق وغصت
بالزمهرير الآفاق حتى يرى الموت الأحمر عياناً والعذاب الأكبر حقيقة
وبياناً فعندها أمر الأمير رحمه الله بإلقائها ضرباً من النجاسات
تعمداً فقامت القيامة على الكفرة الفجرة وتوالت عليهم الصواعق
والقوارع وأحاطت بهم الرياح الزعازع ومدت السماء عليهم سرادق
البرد والخصر وأثارت زوابع الأعاصير والقر حتى عميت عليهم المذاهب
والمهارب وانسدت دونهم المسالك والمسارب فاستسلموا لفرط الهول
والوهل وشهدوا بأن قد شاهدوا الموت قبل الأجل وأرسل
جيبال يطلب الصلح ويتكفف الحرب على مال يؤديه وحلم للأمير
في فيلته وهلكة يمضيه فهم الأمير بإجابته إلى ملتمسه إشفاقاً على

أوليائه أو الصواب عزّ له في رأيه فنهد السلطان يمين الدولة وأمين الملة
الا ابكر لقصد كنهرا وأبى أن يكون فيصل الحرب إلا عنوة وقهراً حمية
للإسلام والمسلمين وثقة بالله رب العالمين فانصرفوا بما عرفوا من
صورة الحال وضيق المجال فاضطر جيبال لما أعياه من الحيلة في أمره
إلى إعادتهم في طلب المكافة خاشعاً والتماس الموادعة طائعاً
ضارعاً وكانت زبدة كلامه أنكم قد عرفتم حمية الهند واستهانتهم
بالموت إذا طرقهم طارق محذور وحزبهم حازب مكروه فإن يكن
امتناعكم عن الصلح طمعاً في الغنيمة والفيء والفيلة والسبي فما هو
الا اصحى عزم ممتطية في استهلاك الأموال وسمل الأفيال وعرض الأعلاق
على النيران ومشي الرجال بعضهم إلى بعض بأطراف الحراب وظباة السيوف
ثم هي شأنكم وما يبقى من جماد ورماد وصوات ورفات فلما سمع ذلك
الأمير من كلامه وأحس مصدوقه ما هم به عند يأسه من مرامه رأى
حفظ الدين وأوليائه في قصود عزه واستنزاله عن ماله وعدته
أرجح من تخليته ونهزته من التقاطع بالسيوف والتهافت في الوقوف
فوافقه الأمير السيد يمين الدولة وأمين الملة على كف يد الإرهاق
عنه على ألف ألف درهم شاهية وخمسين رأساً من الفيلة نقداً وعلى
عدة بلاد وقلاع في سرة مملكته كان اشترطها عليه أن يسلمها

إلى من يتسلمها من جهته بعد أن يبعث إليه رهائن من عشيرته وأعزته
على الوفاء بما يضمنه وللإنجاز بما يعده وقبض المال والفيلة نقداً
ووافقه على البلاد المذكورة وعداً وأنفذ معه بمسألته وحاجته
دليلين يعدلان به عن المعتسف ويقفان به على القصد في المنصرف
وبعث معه عدة من ثقاته لتسلم الأماكن المشروطة منه فلما أوغل
به المسير ورأى أنه قد خف عنه الطلب واسترخى به اللبب حدته
خبث الضمير بالإخلاف وأركسه عجز الرأي في استئناف الخلاف
واعتقل من كان في صحبته بدلاً عمن رهنهم من عشيرته وقد كان الأمير
أن الذي بلغه أرجاف يردفه خلاف وباطل ليس له حاصل إلى أن
تناصرت به الأنباء فبرح الخفاء وانكشف الغطاء وعلم أن الله تعالى
قد طبع على قلبه وحال بينه وبين رشده ليحيق به وبال أمره وتحق
عليه مآل كفره وشحذ عزيمته لغزو بلاده وتخليصها عن خبث جنسه
وإلحاده ونهض في الكماة من غلمانه والحماة من رفقائه وأعوانه متوكلاً
على الله وحده ومتنجزاً في النصر وعده وسار حتى اقتحم بهم ديار
الهند فلم يبرز له بارز من أعوان جيبال وجيوشه إلا أوسعهم طحناً
واستلحمهم ضرباً وطعناً وقصد لمغان وهي ثغرة حصانة الأطراف
وغزارة الأخلاف مشهورة فافتتحها عنوة واقتداراً وأضرم بعضها

على الكفر نارًا وهدم بيوت الاصنام واقام فيها شعار الاسلام
ومضى عنها قدمًا يفتح البلاد ويقتل الانجاس الاوغاد
حتى اذل المشركين وشفى صدور قوم مؤمنين ولما ادى على الغاية
في النكاية واربى على قدر الامكان في الاثخان وبردت يده ويد اوليائه
بما يغنم العدد والجدد من كرائم الاموال وغنائم تلك البلاد عطف
الاعنة وراءه كريم الظفر حميد الورد والصدر وتطايرت
كتبه الى الآفاق بذكر ما فتح الله للاسلام على يده فاشترك الناس
خاصة وعامة في الارتياح له والانشراح لموقعه والشكر لله
على ما اتاح فيه من صنعه ولما راى جيبال ما قد دهاه جزاء عما نقضه
من عهده ونكثه من مرائر عقده وراى وجوه رجاله جزر السيوف
القواطع وطعم النسور والخوامع سقط في يده وفت في عضده ونالت
منه الندامة وقامت عليه القيامة وبقي زمانًا مبهوتًا على حاله لا يعرف
الراي في ظهر ادباره او في وجه اقباله ثم حركته الانفة لاستئناف
المناجزة طلبًا للثار وطمعًا في الانتصاف ففكر ودبر واقبل وادبر
ثم عزم وقرر ونادى فحشر وثار في مائة الف او يزيدون وبلغ الامير
خبره فقابل اقباله بالاستقبال وحرض المؤمنين على القتال
وسار بقلب منشرح وامل منفسح حتى اذا تدانت الخطى بين الفريقين

فرع للامير ثنية مشرفة على سواد الكفرة فاذا النمل منشورًا
والجراد مبثوثًا فراعه منهم ما يروع الذئاب من سوام الغنم والليوث
الجياع من هوامي النعم وحث اولياء الله على الكفرة القلف
٩ب فاجابوا اسراعًا بقلوب محشوة بالدين مملوة باليقين وتقدم اليهم
بان يتناوبوا الحملات بينهم في كل حملة خمسمائة غلام بالدبابيس
المخلطة والقرابكينات الهاشمة حتى اذا ابلوا عذرهم في اجهاد
خيلهم من اضرابهم فرشوا منابهم رضًا وهضًا وطعنًا وطحنًا
ففعلوا ما امر واحتذوا ما رسم فلم يزل هذه حالهم حتى استغاث
الملاعين من حر الوطيس ووقع الدبابيس وهموا بان يجعلوها حملة
تزحزح الاقدام وتقتلع الجيش اللهام فعندها حمي الوطيس
واختلط المرؤوس بالرئيس وتداعت الصفوف وعزلت العوامل الا السيوف
واختلفت الضربات فمن واحدة تقط الهام واخرى تقد الاجسام
وثارت عجاجة غبراء سترت العيون عن الاشباح ولم تعرف الصفاح
من الرماح ولا الرجال من الاقيال ولا الابطال من الانجاد ثم انجلت عن
هزيمة الانجاس الارجاس واسلامهم عددهم وعتادهم واسلحتهم
وازوادهم وفيلتهم وكراعهم وقد غصت البيداء بجيف قتلاهم بين
جريح بحد الحسام وطريح من هول ذلك المقام سنة الله في الذين خلوا

من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولكون الهند بعد تلك أدناها
على رؤوسها ورضوا بأن يسلموا من حر الطلب في أقاصي ديارهم وتركوا
في شعابهم ومنابت أشعارهم وصفت تلك النواحي لذلك الأمير
ودرت عليه أخلاف الأموال وانحلت له عقد الجبايات وحصل
له من وجوه الغنائم وغيرها مائتا رأس من الفيلة الحربية وكثف
سواد جيوشه ودانت له الأفغانية والخلج فمتى استثار
منهم الآلاف في خدمته وامتهن الأرواح والنفوس في نصرته لدى القيام
بفرض طاعته وعند ذلك أوجب إغاثة الأمير أبي القاسم نوح بن منصور
والي خراسان وإعانته على جيوش الترك الذين أجلوه عن دار ملكه
بخارا وأزعجوه عن وطنه بها حتى فرق دهماءهم واضطرهم إلى الانهزام
وراءهم كرا لم ينشط له غيره من أولياء تلك الدولة وأنشأ تلك النعمة
لا جرم أن الله تعالى جازاه جمال ذكره وقصر عليه سناءه وقدره
وجعل كدحه سببا لانسياق الملك إلى يده وتوطئة لبقاء
العز في عقبه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ذكر الأسباب التي أطمعت الترك في ولاية الأمير أبي القاسم نوح بن منصور وتوسط مملكته وإجلائه

عن بيته وخطته قد كان انتقل الملك إليه سنة خمس وستين
وثلثمائة واجتمع أولياؤه وحشمه على بيعته بعد أموال عظيمة أطلقت
وعشر بينيات فرقت حتى تبدد شمل الأموال التي كان وزراء السا مانية
من قبل يكدحون لها ويدأبون لجمعها كأبي الفضل البلعمي
وأبي جعفر العتبي ومن كان ينصب منصبهما في الوزارة وتدبير أمور
المملكة والإمارة وكان أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن سيمجور إذ ذاك صاحب
الجيش بنيسابور فتلطف له في الرضى به وعقد البيعة له على
صغره وحداثة سنه فضوعفت له الصلات المطلقة لأمثاله
من أركان الدولة حتى لانت عريكته وتمت بيعته وفوضت الوزارة إلى
أبي الحسين العتبي فقام على ميعة شبابه بالأمر قيام الحدب الشفيق
وكفله بمناصحته كفالة المؤيد بالنصر والتوفيق حتى استقامت
بحسن تدبيره الأمور وانشرحت الصدور وانسدت الثغور واستطا رت
هيبة تلك الدولة شرقا وغربا بعدا وقربا وكان الأمير عضد الدولة
وناحمله على جلالة قدره ونباهة ذكره ومناعة جانبه وخشونة
حده يتوخى رضاه فيما يحتكم عليه من المطالب التي تختص بولايته
وربما أخذته العزة بالحجاج فينبذها وراءه من الأدواء المعضلة
والأمور المستفحلة فيسعه قرونه ويذل صعبه وحزونه

وحدثني احمد الخوارزمي وكان من جملة خاصته منذوباً لحمل رسوم
كل عام الى بيت الله الحرام ومجاوريه وسكان مدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم وتفريقها فيهم ووضعها مواضعها منهم
قال دخلت اليه ذات يوم بمتحف لي من خراسان فسألني على رسمه
عن حال ذلك الشيخ في سلامته واستقامة الامور في ضمن كفالته
ثم قال هات ما استدعاه واعرض ما بدا له فعرضت عليه تذكرة كان
سلّمها اليّ بتفصيل ما رسم لي حمله من ديار العراق وفي جملتها الف
ثوب مستعملة مطرزة باسم الامير السيد الملك المؤيد المنصور
ولي النعم ابي القاسم نوح بن منصور مولى امير المؤمنين وخمسمائة ثوب
مطرزة باسم الشيخ السيد ابي الحسين عبيد الله بن احمد ومثلها معلمة
بالحاجب الجليل ابي العباس تاش فلما تأمل النسخة دخلته نخوة
الملك ومكنته حمية العز وطار به الغضب كل مطار فالتفت اليّ في
الجواب ان ابن العتبي لو اغتنم سلامة ما يليه وتفرد بالتدبير فيه
لكان اولى به واعود عليه وعلى صاحبه مما يسومني هذا الاحتشام
وامثاله غير اني اجعل سواحل جيحون قبل عودك من وجهك مرابط
الجحافل ومراكز للقنا والقنابل فقمت من مكاني متخاذل القوى
خوفاً من سطوته وباسه واخذت اجر رجلي على الارض تهيباً

وارتياعاً الى ان ركبت على الرسم وانصرفت الى المناخ فلما ازف
ارتحال الحجيج اتاني رسوله فبادرت اليه واحتشمت خدمة المجلس
برهبة فزادني على المعهود بشراً وتخصيصاً وبراً وترحيباً وقال
قد امرنا في معنى التذكرة بما استدعاه ذلك الشيخ كراهة لاستيحاشه
وخلافاً على خلافه ووفاقه فينجز العمل به ليوافق عودك فراغ
الصناع منه وحصول المراد به قال فاستعملت ذلك جملة على الطرز
المذكورة وحملتها في صحبتي الى بخارا مشفوعة بسائر ما رسم لي
تحصيله وتنجيزه ٭ وقد اكثر الشعراء من اهل العصر في وصف
محاسن الشيخ ابي الحسين العتبي رحمه الله ولا سيما ابو طالب
المأموني فانه سيّر في مدحه قصائد غير معدودة منها قوله من
قصيدة يمدحه بها ٭

هني عزائم عتبي تفرق ما بين الجماجم والاعناق ان عتبا ٭
ذو همة ملء عين الارض ان برزت من صدره لم يسعها الارض مضطربا
اذا انتضى للندى او للردى قلماً اجرى به سحباً او جحفلاً لجبا ٭
سنحي الصعيد صعاداً او الندى ندىً اذا تملك للمعروف او قطبا ٭

وقوله فيه من اخرى ٭

كتائب منصورية ملكية ابى السيف فيها ان يرى الغمد مضجعا ٭

يؤيدها عتبي عزم مؤيد بحزم يخلي خلفه البيض ظلعا
إذا أم الشيخ الجليل سيوفها هوت سجدا في الدار عنه وركعا
يعوذ بها وجه الخلافة أبيضا أبيضا بأبيض من أبناء عتبة أروعا

ومن ذلك قول اللحام فيه

وأعتب الدهر إذ عاتبته بفتى من آل عتبة نفاع وضرار
كأنما جاءه في كل نائبة جار للأراقم في أيام ذي قار
تجري صحائفه في لا وفي نعم فالناس في جنة منه وفي نار

ومن ذلك قول أبي الحسين العلوي الرضي

كأنما الدهر تاج وهو درته والملك والملك كف وهو خاتمه
والبر والبحر والأعلام أجمعها والخلق والفلك الدوار خادمه

وقلد أبو العباس تاش الحجبة الكبيرة فولي أمور الباب وزعامة الحجاب بعد السفرة بين أولياء السلطان وحشمه في تنجز حاجاتهم واستطلاق أطماعهم وعشر بغياتهم واستزادة مراتبهم وولاياتهم حتى تحققت النفوس بمحبته وتعلقت الأهواء بزعامته وفتح أبو الحسين عليه أبواب الفوائد والإصابات حتى كثر وفره وظهر أمره واشتد بالاستظهار ظهره وكان أبو العباس من جملة فتيان أبي جعفر العتبي ملك يمينه أهداه إلى الأمير السديد أبي صالح إيثارا

له بخدمته على نفسه لكيسه وذكائه ورضي شمائله ونجابته فاستتم أبو الحسين الصنيعة عنده بالترفيع منه والتنويه به والإشالة بضبعه وباعه وتدرج به إلى المحل الذي توسمه في قوته واضطلاعه وجرت أمور ذلك الباب بتعاضدهما على التناصح وترافدهما على ارتهان المصالح على أحسن الوجوه هيبة وجمالا وهيبة وجلالا ونفاذا للأوامر يمينا وشمالا واستخص أبو الحسن فائق الخاصة لطول خدمته كان للأمير السديد وحظوته عنده واختصاصه برعايته واشتراكهما في صيانته وكان شريكهما في صيانة هيبة السرير وأقر أمر الجيش بخراسان على أبي الحسين محمد بن إبراهيم بن سيمجور فتفرد كل منهم بحماية الملك وسد الثغور وسياسة الجمهور وحصدا لنواجم الشرور إلى أن بدأت أكمامها تتفتق وجيوبها تتخرق

قصة سجستان

وكان من ذلك أمر سجستان وسببه أن خلف بن أحمد كان استنصر الأمير السديد على طاهر بن الحسين مرتبه خليفته على أعماله بعد انكفائه من حج بيت الله الحرام وذلك في شهور سنة أربع وخمسين وثلثمائة لتمكنه كان من الولاية واستظهاره بالمال والعدة واستمالة قلوب الأجناد والرعايا من أهل تلك الخطة فأحسن نصرته ومعونته وكفاه كلفته ومؤنته وأمده بمن استمده من حماة الجيوش

لرده الى بيته وتقرير مملكته في يده فانحاز طاهر حين احس بالمدد
وكثرة العدد الى اسفزار حتى قرب خلف قراره ووضع عنه
اصاره وصرف عن ظهره لاستغناء اعوانه وانصاره ثم كر عليه
كرة اجلته عن داره وطرحته الى بني عسس نيمروزي شعاره فعاد
حضرة الامير الرضي مستصرخا اياه وضارعا الى غوثه فيما دهاه
فاحسن لقياه واكرم مثواه واعاد تقويته وانجاده وكثف بالخيول
سواده ورده بهم الى سجستان ووافق وصوله اليها مضي طاهر
لسبيله وانتصاب ابنه الحسين منصبه ووراثته في الخلاف
مذهبه فحاصره خلف فيها مناصبا له الحرب غاديا ورائحا حتى
كثر القتلى بين الفريقين فطالت يد الانتصاف على اصحاب الحسين
فعند ما كتب الى بخارا متنصلا عن سمة الخلاف ومتلطفا للاستقالة
والاستعطاف ومظهرا للطاعة في وفادة الحضرة ومباشرة
تراب الخدمة متى صادف ارخاء من ضيق الخناق وفكاكا من شدة الارهاق
فاحسن ذلك الامير اجابته وقابل بالقبول انابته وسهل الى
وروده الحضرة سبيله وحقق بالاحسان والافضال تأميله
واستقرت امور سجستان على خلف بن احمد فطالت عليها ايامه
وطارت فيها اوامره واحكامه وانبسطت بالعز يده وباعه

وتموجت بذخائر الاموال بقاعه وقلاعه وانقطعت عن بخارا
مواد خدمته وطاعته واعفاؤه بماله وافقته في مقابلة حق
الاصطناع بواجبه وانضاف الى ذلك استهانته بالاوامر الصادرة
اليه في حثه على رشده ودعائه الى ما يجمع صلاح يومه وغده فجرد
عند ذلك الحسين بن طاهر لمناهضته في جمرات خراسان ومشاهير
رجالها ومساعير ابطالها فحصره في قلعة ارك ودارت عليه الحرب
زمانا طويلا فلم يغن فتيلا ولم يجد الى الافتتاح سبيلا وجعل ابو الحسين
العتبي يمده عددا على عدد وصفدا الى صفد وكان من جملة القواد
كنباش وبكتاش واخوة الحسن بن مالك واضرابهم من ابناء تلك الدولة
ووجوه اشياعها ورجوه سماتها وطال هناك ثواؤهم وقصر عن
المراد غناؤهم لمناعة الحصن وحصانة سوره وشدة اغلاقه وسدوده
واعياء الخندق المحيط به على الفارس ان يعبره ركضا وعلى الراجل
ان يقطعه خوضا وارصاد خلف اياهم بفنون الحيل التي يقل
استنباطها بالظن والحسبان ايهاما للعيان واطلاعا من مأمون
ابهاماته وقذفا بجمرات الافاعي عن افواه المجانيق والعرادات
حتى يضطروا بذلك الى الارتحال والتنقل في المضرب والمجال

وبقوا هنالك قرابة سبع سنين على هذه الجملة حتى فنيت الرجال
ونزفت الأموال وذهبت الخزائن وعطبت المطايا والركائب فكانت
هذه من أوائل الوهن على تلك الدولة ومن هنالك وهى العقد وانشق
السلك وتزايد الفتق واتسع الخرق ولكل أمر أمد ولكل أمة
أجل ولكل ولاية نهاية يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب
وتذاكر أركان تلك الدولة فيما بين هذه الحال لزوم صاحب الجيش
أبي الحسين مكانه من نيسابور كلا على صاحبه لا ينهض خصما ولا يفتح
سدا ولا يحسن ردا ولا يغمس في مصالح الدولة يدا وتناضلوا بينهم
ما كان للأمير السديد يصطنعه عليه لاتزانه بالمكان وخموده عن
نصرة السلطان وبنوا آراءهم على صرفه والاستبدال به وكتب إليه في
الصرف وقلد أبو العباس تاش ما كان إليه من الأمر فلما ورد الرسول
عليه وأدى ما تحمله على رؤس الأشهاد إليه أبت عليه الحمية خطة
الهوان ولقنته الأنفة كلمة العصيان وطارت نعرة الخلاف في رأسه
فادعى الأمر لنفسه اتكالا على فرط قوته وبأسه واعتزازا بأولاده
وأعضاده واستظهارا بجيوشه وأجناده ثم بيت التدبير
وخمر الرأي والتفكير فلم يرض بتناقل الألسنة ذكر استعصائه
على شيوخه في الدولة وتناهي مدته في الخدمة وتصور ما يتبع

باب

الخلاف من ركوب المصاعب التي تسلب النفوس حمامها والعيون
منامها والأموال المذخورة نظامها إلى ما فيه من التعرض لمكروه النوا
ئب
والتحمل لمحذور العواقب فرأى أن قبول الضيم على السلامة
من لواحق الآفات أقرب إلى الصواب وأبعد من المعاب فدعا الرسول
واستقاله عثرة ما قاله وعرض صدق الطاعة مشفوعا بفرط
الخشوع والضراعة وقال إنما أنا نبعة غرسها السلطان بيده وسقاها
بماء كرمه فله المشية في استبقائها للاستثمار أو اقتلاعها وإلقائها
على النار وصرفه على جملة الطاعة ولين القيادة والبدار إلى حيث
يحلى إليه من ديه المملكة وتلطف لتسكين من كان يفتل في ذروته
من بنيه وأوليائه بتسويله وإغوائه فعل من استشف ببصيرته
أسرار المغايب وأنفق عمره في تجارات التجارب ونهض إلى قهستان
منتظرا ما يستأنف به أمره ويتقرر عليه تدبيره إلى أن دمي به في نحر
خلف بن أحمد لإعضال دائه وتجمير العساكر طول أيامها بفنائه فبادر
إلى سجستان وبينه وبين خلف مودة وأسباب على الأيام مؤكدة
فافتتح الرأي عليه بإنزال الحسين بن طاهر عن متحصنه والانتقال
إلى غيره من معاقله ليتسبب هو بعد ذلك من قبل محمد قرابة من أولياء
تلك الدولة إلى الانصراف عن جنابه بعلة الانفتاح وظاهر النجاح

اظهار الواقعه
للاداء الطاعه

فاذا خلا وجهه له ثنى العنان اليه منتصفا منه وممتضيا حكمه
فيه فقبل مشورته وفارق اركان الحضرة الطاق حتى دخلها ابو الحسين
ابن سيمجور وصلى الجمعة بها مقيما رسم الخطبة للامير الرضى فطالعه
بذكر ما فتح الله على يده وسناه من رتاج ذلك الامر بجده وجهده ورتب
الحسين بن طاهر بها اميرا وقرر اعماله عليه تقريرا وانصرف وراءه
وسنورد ما جرى في امره من بعد في موضع مثله

ذكر حسام الدولة ابى العباس تاش الحاجب وانتقال الدولة الیه

ثم سير ابو العباس تاش من بخارا الى نيسابور على قيادة الجيوش
وزعامة العساكر وتدبير القاصى والدانى من امور الممالك
ووصل جناحه بفايق الخاصة ونصر طغز الشرابي وبني مالك
على فخامة اخطارهم وجلالة اقدارهم وسير تحت رايته اعيان
الاولياء والحشم بعد ان ازيحت علته فيما شاء واقترح من الاموال
والاسلحة والعتاد والعدة فوردها سنة احدى وسبعين وثلثمائة سنة ٣٧١
في الة راعت الابصار وهيئة اعجبت النظار وجيوش شحنت الجوانب
والاقطار ودبر الامور بصرامته ونظم المنثور بفرط شهامته
وتالف الجمهور برفق سياسته وزعامته ووافق تلك الايام

انقطاع شمس المعالى قابوس بن وشمكير وفخر الدولة ابى الحسن
على بن بويه الى نيسابور عن حرب جرت بين مويد الدولة وبينهما وسببها
ان عضد الدولة ابا شجاع كان قصد فخر الدولة وهو اخوه لاجلائه
عن ولايته التي كان ابوه ركن الدولة اوصى بها له وعقد الوثيقة على كل
منهما به على الجملة التي اشار اليها ابو اسحق الصابى في كتابه المعروف
بالتاجى فدبر ودس الى اهل عسكره من استمالهم عنه واغراهم به
فلما ناهضه وهو اذ ذاك بهمذان وتدانت الخطى بينهما خف معظم
جيوشه الى عضد الدولة مستامنين وولوه اعقاب الغدر هاربين
فلما انس خذلانهم اياه وكفرانهم نعماه وبالامس ما راى ابن عمه بختيار
كيف قطع رحمه واريق دمه خالفهم الى طريق الديلم يمما على وجهه
وملجيا بحشاشة نفسه ومتقيا بركوب شعابها المضطربة واجامها مها
الاشبة لما حاذره من مس الطلب وركض الاكراد والعرب وتوغل
تلك البلاد طاويا ما فيها الى جرجان حتى الم بشمس المعالى
قابوس بن وشمكير لاجيا اليه ومستامنا اياه فامنه واواه ومهد
له ذراه واعطاه فوق ما تمناه واشركه فيما ملكت يداه حتى جعل
الملك وهو العلق الذي طالما ضنت النفوس بابتذاله وقاية له
دون من هم باغتياله وسعى في استفساد حاله وبيان ذلك

يعني شمس الدولة

ان عضد الدولة ومؤيدها ان سلماه اليه يستردانه على شرط اموال
تحمل اليه وولايات عريضة تضاف الى ما في يديه وعلى مواثيق تستانف
في التعاقد على الصفاء والتعاون في حالتي السراء والضراء فرجع
اليهما ان الجار رحم والوفاء كرم وان للامان عنده حرمة لا يرى اخفا ها
في دين المروة وشرط الحفاظ والفتوة وعياذا لو هم به او كاد
ان ياتي عليه بيض المواضي وزرق الاسنة والعوالي فاحفظهما هذا
الجواب وحرضهما على مكاوحته وانتزاع مملكته من يده وكتب ابو شجاع
الى اخيه بمناهضته بعد ان امده بما فوق الحاجة من مهم الرجال
ونفايس الاموال فبرز من الري متوجها نحو جرجان في جيوش الديلم
والترك والعرب وسار الى استراباذ متغلبا على ما يرده من بلاد طبرستان
الى ان اناخ بها وكان شمس المعالي قابوس وشمكير بادر اليها
وجمع عسكره بها فلما تلاقيا تناوشا الحرب من لدن طلوع الشمس
الى الزوال حتى احمر بساط الارض من دماء الابطال ثم انجمت على
عسكر الجيل كشفة اعياهم ضبطها لزوال الاقدام عن المقام
فتفرقت جموعهم في خمر الغياض والآجام وعطف شمس المعالي الى
بعض قلاعه المشحونة بذخاير امواله واستظهر عنها بالاهبة للغربة
وسار نحو نيسابور فلحق وردها لحق به فخر الدولة من طريق اسفراين

فالتقيا هناك واجتمع اليهما من فرقتهم الكشفة في الطرق المختلفة
من طبقات الرجال وكتب الى ابي القاسم نوح بن منصور والي خراسان
يحيلانه في قصد دولته وتاميل الانتعاش بعونه ونصرته وافتكاك
ما غصبا عليه من الولايات بعز دعوته فورد عليهما من الجواب الضامن
للايجاب ما شرح صدورهما وشد بالنجح القريب ظهورهما وكتب
الى ابي العباس تاش باجلال محلهما واكبار قدرهما واكرام جوارهما وتقديم
الاحتشاد لردهما الى ديارهما ففعل ما رسم وتلقى بالامتثال
ما حتم وعطفت عليه اعنة الخيول من كل وجه حتى استظهر بنخب
الرجال عزم على الارتحال ونهض من نيسابور قاصدا قصد جرجان
اذ كان مؤيد الدولة بها لينتزع ولاية الامير شمس المعالي وولاية من يده
ثم يتفرغ من التدبير فيه الى غيره وعن له ان يسرح فايقا على
سمت قومس والري ليقطع الامداد والمواد عنه ويلبس اخبار
تلك الولاية عليه فيزيده شغل قلب بتوجه الجيوش اليه من وجهين
واحداقهم به من جانبين فنهض على السمت المذكور ثم بدا له فيما دبر وراى
ان التحزب للاستظهار على الوجه الواحد اصوب ومن الحزم في الاحتيا ط
اقرب فاسترده من وجهه الى الازدوار فاجتمعا على التظافر واتفقت
آراؤهم على التدابير وسار حسام الدولة تاش في تلك العساكر

الى باب جرجان وفيهم شمس المعالى وفخر الدولة حتى اناخوا بظاهرها
وتحصن مؤيد الدولة بويه بها واحتجز بخندق قد حفره ومخترق غوره
وفروج للبلد حصنها ودروب يحفظه الرجال شحنها وما دام بينهم
الحرب حتى غبر شهران كيوم واحد في مداومة الكفاح وملازمة السلاح
وضاق الطعام في ربض جرجان حتى اعيا الديلم قوتهم الذى
يحفظ على الشبات قوتهم فكانوا يبزون من نخالة الشعير المعجونة
بالطين وعملى بهم يدرجون كسبهم الى افواههم بالهوى اشباه
الفرارج منها اظهارا لشكوى الجوع والهزال وكانت كاقراص المداد
في السواد وزحف الفريقان بعضهم الى بعض وكان فخر الدولة على
الميسرة مقابلا لعلى بن كامة صاحب جيش مؤيد الدولة فاظهر الغناء
واحسن البلاء وحمل عليه حملة زحزحته عن مقامه كلما طرحته
الى استراباذ هزيما ولو اعين بمدد في الحال لفسح ضيق المجال
وجعلها آخرة القتال لكن القوم نافسوه فخذلوه لا جرم ان
كوكبة من كتائب الديلم عطفت على من تشاغل بالنهب والاغارة
من اوباش الخراسانية فطبقوا عليهم حبالة للاسر ثم عرضوا
عن آخرهم على السيف وورد بعد ذلك على ابى العباس تاش
ابو سعيد الشبيبى في رجال من جنود خوارزم ابناء الشهامة

الحرب

والشهامة واقتحم الحرب بهم فلم يضعوا ابناءهم الا في منافس الاشداق
ومواضع الثغر والاحداق وافشوا العور والفصل والعور في الديلم
يومهم ذلك فلم يزل تقوم الحرب بينهم على ساقها ظاهرة وغبا
ينتصف البعض فيها من البعض وكان ابو الفضل الهروى المنجم
اشار على مؤيد الدولة بمصابرتهم الى ان يبلغ المريخ درجة الهبوط
فيجعلها واحدة عليهم منجما او مخففا فاسر ذلك في نفسه واستعد
لوقته فلما كان يوم الاربعاء من شهر رمضان سنة احدى وسبعين وثلثمائة
ثار بنفسه وعسكره وعساكره على اختلاف اجناسهم وكان اهل خراسان
يظنون ان حربهم تلك عارض يتقشع عن قريب على الرسم فلما راوها
غماما ركاما وقتاما يدوم غراما ولزاما اقبلوا عليها مضطربين فاذا الامر
جد والخطب اد والحد حديد والباس شديد وبرز الديلم من وراء
الخنادق لملء العراء مخرجين من جهد البلاء وضنك البوس واللاواء
فاستعرت وقدة الحرب ودارت رحى الطعن والضرب وتحدث الناس
بان مؤيد الدولة قد خبب فايقا واضرابه بمال حمله اليهم سرا
واطمعهم في امثاله حيلة ومكرا ووطاهم على التساهل في الحرب لليوم
المعهود والاجل المضروب فلما حمل عسكر الديلم من تعبيتهم ولوا
الا ايك ادبارهم نفورا وثبت حسام الدولة تاش وفخر الدولة في القلب

اشارة المنجم بموجب علمه

يتصادمان بالسيوف والقنا تصادم الفحول وبرد ان الحملات المتداركة
بصدق النيات في الثبات الى ان القت ذكاء يمينها في كافر وقد انهزمت
الجيوش وتفرقت تلك الجموع وخذل فخر الدولة فصدق المقام
لتكاثر الاقبال من ذلك الوجه عليه وتوجه الاطماع من كل اوب اليه
فانقلب اذ ذاك يريد المعسكر فسلخت في منقلبه قوائم الفيل
الذي كان حصن القلب في بعض تلك المخاضات واعجله حر الطلب
عن التوقف لاخراجه فتركه على حاله وغادر بالمعسكر شاغرا
المعسكر شاغرا بما فيه من الاموال المعدة والاسلحة المنضدة والعلوفات
المحصية والغلات المجموعة ومضى على حاله الى ان عاود نيسابور
فدخلها ليلا وكتب الى بخارا بخبر الوقعة وما حدث به من الرجعة
فعاد الجواب بتقوية الامال وتمنية الرجال وتهيئة الامداد والاموال
وطير الصاحب كتبه في الاطراف بذكر الفتح على ما نطق به رسائله
وانشدني البجلي الشاعر لنفسه في مؤيد الدولة من قصيدة نظم
ما هال غيرك في هيجا ملحمة • مذكورة آل سامان وساسانا •
فاكتب لمن ببخارا امنه فلقد • غادرتهم عند نوم الناس يقظانا •
والبجلي هذا مطبوع الشعر مقبول النقد سديد البديهة
شديد العارضة فانقطع الى الامير شمس المعالي قابوس بن وشمگير

ذكر البجلي الشاعر

في آخر ايامه وفرض في جملة حاشيته الى ان قضى نحبه • ولم من شعره
فيه من قصيدة قوله

لله شمسان تذكير لخيرهما • وللمؤنثة النقصان ملتزم •
ازرى بتلك سنا من غير معرفة فيها • وزين هذا العلم والكرم •
يا ايها الملك الميمون طائره • وخير من في الورى يمشي به القدم •
لو كنت من قبل رعانا وتكنفنا • لما تهادى الينا الشيب والهرم •

ووصف ابو الحسن الجوهري الفيل المقبوض عليه في ايام اللاذن
بقصيدة اولها

قل للوزير وقد تبدى • يستعرض ادكم المعدا •
افنيت اسباب العلى • حتى ابت ان تستجدا •
لو مس راحتك السحاب • لامطرت كفها مجدا •
لم ترض بالخيل التي • شدت الى العلياء شدا •
وصرائم الرأي التي • كانت على الاعداء جندا •
حتى دعوت الى الهدى • من لا يلام اذا تعدى
متقمصا نيه العلوج • وفطنة اعيت معدا •
متعسفا طرق العوالي • حيث لا يستاق قصدا •
فيلا كرضوى حين يلبس • من رقاق الغيم بردا •

صفة الفيل

مثل الغمامة مليث اكنافها برقا ورعدا

راس كقلة شاهق كسيت من الخيلاء جلدا

فيراه من فرط الدلال مصعرا للناس خدا

يرمي بخرطوم كمثل الصولجان يرد ردا

متمددا كالافعوان تمده الرمضاء مدا

او كم راقصة تشير به الى الندمان وجدا

او كالمصلب شد جنباه الى جذعين شدا

وكانه بوق يحركه لينفخ فيه جدا

يسطو بساريتي لجين يحطمان الصخر هدا

اذناه مروحتان اسندتا الى الفودين عقدا

عيناه غايرتان ضيقتا لجمع الضوء عمدا

فك كفوهة اغلبج يلوك لطول الدهر حقدا

تلقاه عن بعد فتحسبه غماما قد تبدى

متنا كبنية الخورنق ما يلاقي الدهر كدا

ردفا كدكة عنبر متمايل الاوراك نهدا

ذنبا كمثل السوط يضرب حوله سباقا وزندا

يخطو على امثال اعمدة الخباء اذا تصدى

او مثل اميال نضدن من الصخور الصم نضدا

متوردا حوض المنية حيث لا يشتاق وردا

متمهلا فكانه متطلب مالا يؤدى

متلفعا بالكبرياء كانه ملك مفدى

ادنى الى الشي البعيد يراد من رمح واهدى

اذكى من الانسان حتى لو راى خللا لسدا

لو انه ذو لهجة وفى ذنابا الله سردا

عقته ارض الهند حتى حل من زهو هرندا

قد للوزير عبدته حتى فدا ناك الفيل عبدا

سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا

لو مس اعطاف النجوم جرين في التربيع سعدا

او سار في افق السماء لانبتت زهرا ووردا

يا ايها الملك الذي احيى وعلم كيف يجدى

ما بال عبدك لا يرى لتاخر التشريف جدا

برد الزمان ولينه مما يلاقي مات بردا

قد صد عني تلكم الالاء حاشا ان يصدا

وهند نهر جابل الذي جرت تلك الحروب على سواحله وهو يتلوى

في ارض جرجان تلتوي الحيات كثيرة الاوراد والعطفات ومنابع
عيونه جبال في سلاراته تنصب العين منها الى العين حتى تملأ النهر
وتدهده الصخر. نعم وواصل ابو الحسين العتبي كتبه
الى ولاة الاطراف بخراسان في استنهاضهم واستنفارهم ليتحدر
بهم الى مرو ويجتمع معهم بها من يقبل بهم ذوي بني تستجيشه من رجالات
خراسان على رفو ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق ومحو سمة العجز
واستعادة رونق الملك واقبلت يستعد الامر بجهده في تواصل
الكتب بجميل وعده وخلع الرضي عليه خلعة جمع له بها بين تدبير
الاقلام والقواضب واضاف له الى بزة الكتاب زي ارباب الكتائب
فكانت خلعة خالعة لروحه قاطعة لعمره خاتمة لامره وذلك
ان ابا الحسين بن سيمجور كان يشكو الفايق ما دبّاه من قصده
اياه حين عزل له عما كان اليه وكاد في نفسه وذويه ولم ينفك
يرصده بالغوائل ويطالبه بوجوه الاوتار والطوائل الى ان اشار
فايق عليه بطائفة من الغلمان السديدية كانوا رؤوس اضرابهم
في السفه والشغب والتحكم في المطالب بفرط القوة والغلب
ودس اليهم من اغراهم به بسفاتج بحثها اليهم حتى تآمروا
بينهم على قتله وتمعوا على الفتك به مغتنمين خلو نحار اعمر

يحتمي له او يحامي عليه واحس ابو الحسين العتبي بما دبر من الامر
واشفق على نفسه مما استطار من شرور الشر فشكا الى الامير الرضي
صورة الحال فيما ارصد به من الاغتيال فبعث اليه بعدة من القواد
لمرافقته الى الدار اجارة له ممن كان يخشاه وصيانة لروحه عما
تحاماه فتسامع طائفة من المشركين في التدبير عليه بحين فطاروا
باجنحة الركض على اثره ووضعوا فيه السيوف في الدآبيس حتى
لخنوه ضربا وحطما ورضا وقصما واشفق من كان في مسايرته
على انفسهم فخذلوه واهملوه فكان كما قيل

كليب وجرّ به ضباع وابشري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

وترك على الشارع صريعا يمج دما نجيعا وعندهم انه تبيك وان ليس
الحيوة اليه سبيل ونقل كما هو الى باغ فيه من مصرعه ليراعي ما يحدث
من الراى في غده فلما غشيه موج الظلام وهبت عليه رخاء السحر
آنس انة سمعها البلاغبان فبادر اليه فاذا به رمق قلق ونفس مختنق
فسعى الى دار السلطان مخبرا بثبات حسه واضطرابه على نفسه حتى
امر به فنقل الى القهندز وانهم للاطباء المثابرة عليه طمعا في انتعاشه
فاستصعبت دائرة على الدواء وقضى الله على عمره بالانقضاء
فمضى لسبيله عظيم القدر والخطر كريم الورد والصدر عميم الفضل

قتل الوزير

في سعة الرحل فتفقد النظر في الفضل الغزير لم يرو في كتب الأولين
أن أحدا من الوزراء اتسعت همته لمشاطرته على مروته ومنه عنه
فضل أفضاله وفتوته سماحة كالغيث يقذف بالوبل أو الريح
تعصف بالرمل وسياسة خفقت لها جنادب الليل وغصت بها
مثاعب السيل · وأنشدني أبو جعفر الحاجي لنفسه فيه يرثيه **نظم**

لهفي عليك أبا الحسين · عينا رمتك بكل عين ·
جرعتني غصص الحوادث وأريتني يوم الحسين ·

ولبعضهم فيه وقد زاره في جماعة من أصدقائه **نظم**

مر على قبر أخانا وكلهم قد هاله شانا ·
فلم يزيدوا على قولهم عز على العلياء فقدانا ·

وقد كان شمس المعالي وحسام الدولة وفخر الدولة بنيسابور على انتظار
معونته واستفاضته ما أسفر لهم من عدته · فحدثني أبو نصر العتبي
خالي رحمه الله وكان على البريد بنيسابور · قال دعاني أبو العباس
تاش آخر نهار يوم فلما وصلت إليه وجدت الثلاثة يتناضلون
بينهم الآراء في معاودة الحرب أو استيناف معالجة الخطب فخلطوني
بأنفسهم فيما تداولوه وسألوني أن أنهي إلى ذلك الشيخ صدق انتظارهم
لمعونته واستعدادهم للبدار إلى أمره وأقبل على شمس المعالي من
بينهم فقال اكتب إلى ذلك الصدر بأن الحروب لم تزل بين الرجال
سجالا وأنها تتصعب مرة وتصحب أخرى والحازم من يستفتح
بالجد باب النجح والظفر والعاجز من يتلف بين العجز والضجر
واضرب له أبيات المتنبي مثلا **نظم**

يرى الجبناء أن العجز حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم ·
إذا ما كنت في أمر مروم فلا تقنع بما دون النجوم ·
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم ·

قال فاستدللت يومئذ بقوله على فضله · وورد عليهم
بعقب ذلك نعي أبي الحسين فأوسعهم وجوما ونثر عليهم من التدبير
ما كان منظوما من أمورهم وعلى أبي العباس تاش كتاب السلطان باستدعائه
إلى الحضرة وتدارك ما اختل وتلافي ما انحل فاغتنم البدار
فسار حتى ورد بخارا فرتب تلك الأمور ونظم المنتثر وتتبع الجناة
على أبي الحسين فطبقهم بالقتل والتدمير وعمهم بالنفي والتسيير
واستوزر أبو الحسن المزني فعمل بالتدبير وجل في التقديم والتأخير
لتهافت الأعمال واستبداد آخرين عليهم بالإيراد والإصدار وقد
كان أبو الحسين سيمجور أنهض غر سجستاني إلى خراسان من غير أمر صدر
إليه استنفارا لنجوم الفتن وانتقاض الأعمال بها من تراجع العسكر

وزارة المزني

غرباء جرجان وتشوفا للنفاق بسوق فيما بينهما فكتب اليه ابو الحسن
المزني يقبح اليه فعله وناعيا اليه عقله وسامه ان يتحول
الى قهستان متذرعا وعن ملابسة الاعمال متورعا وان يسلم
ابناء دولته في جملته وتحت رايته الى ابنه ابي علي على ان يعاود بجستان
فيكفي امرها ويلم شعثها ويرأب صدعها ويجعل باذغيس
وكنج رستاق برسمه على ان يزاد في توليته وحبائه متى عرف في
الطاعة صدق نيته وعلانيته ولما استقر ابو العباس تاش
ببخارا اغتنم ابو علي خلو خراسان عنه وعن المناصلين دونه فراسل
فايقا يريده على مخالفته والجهار بمنابذته وترك الرضى بزعامته
فوجده سمح القياد الى المراد طوع الزمام للاعتناء واجتمعا على
توكيد العقود وامرار المواثيق والعهود وبدأ ابو علي بمصادرة عمال
ابي العباس تاش بنيسابور وسطا بهم بما كان يجتبيه اليهم من
امواله وارتفاعات اعماله ثم نهضا الى مرو يستدران الولايات
ويجبيان دون الاموال والارتفاعات حتى اضطر تاش الى مناهضتهما
وكفاية ما اهم من امرهما واستفتح الخزاين عن ذخاير الاموال
ونفايس الاسلحة والاثقال وبرز من بخارا الى اهل الشط
فخيم على طرف الرملة وترددت السفراء فيما بين الفريقين على حفظ نظام

الالفة واستبقاء جمال الدولة واخماد جمرات الفتنة فوقع الاتفاق
على ان يكون نيسابور لتاش وبلخ لفايق وهراة لابي علي وتفرق
كل منهم على رأس عمله وللخوارزمي في ابي علي وقد حصل بهراة
تهنا بالامير هراة اذ قد علا عن ان يهنا عز هراتها
وكيف تهنا الدنيا جميعا بناحية من الدنيا احتواها
وانكفأ ابو العباس تاش الى مرو وقد كان قبل قفوله من بخارا
توصل الى عزل المزني عن الوزارة بابي محمد عبد الرحمن الفارسي المتولي
لامور الكدخذائية لما نسبه من ميله الى ابي علي وفايق وادهانه في
امرهما فلما استقر هو بمرو وصرف عبد الرحمن بعبد الله بن عزير
وهو المعروف بتعنت آل عتبة ومشاحنتهم ونصب العداوة لهم وحرق
الارم كيادا عليهم فبدأ بصرف ابي العباس تاش عن قيادة الجيوش
ونقلها الى ابي الحسين بن سيمجور مضادة لابي الحسين العتبي في تدبيره
وتداركا بزعمه لما دهي من اصل تقديره وتقريره وامر بالكتاب عن
السلطان اليه في نقل العمل عنه وتفويضه كورتي نسا وابيورد منه
والابعاز اليه بالاستبدال بهما والاقتناع وحذف عنه خطة الزعامة
والاقتصار به على ما كان موسوما به من الحجابة فلما وصل الكتب اليه
احس بامارات الشر ودلالة الختل والختر وعلم ان ذلك فاتحة الخطب

عليه والتشفي منه والوضع من قدره والثلم في جاهه ومحله
واستحضر وجوه القواد واعيان الحشم وعرض عليهم الكتب
وعرفهم دأبه ودينه في طاعة السلطان ومناصحته والاخلاص
للدولة والذب عن حوزته والشكر لما وسعه قديما وحديثا من نعمته
واقباله مدة مصاحبتهم اياه بحسن رعايته ورفق زعامته
وايالته نيابة عنهم في تحسين اوطانهم وتثمير مساعيهم واثارهم
ومواساته لهم بما اتسعت يده من خاص ماله وحاصل ملكه وانه
يوثر ذلك في نفسه ومحبته مقصودة عن باب مالكه وولي نعمته مردود
ولا يمنع من جهته احدا منهم عن رايه واختياره في معاودة بخارا او اللحاق
باي جانب شاء فليختر كل واحد منهم ما احب غير ممنوع في قصده
ولا مدافع عن وجهه فاستمهلوه ريثما يعلمون من وراءهم من اهل
العسكر صورة الحال ويعرفون ما عندهم من الراي في المقام والارتحال
وتجمعوا بعد ذلك دفعات متتابعة في الاخبية مرة ومتقاربين
اخرى الى ان اتفقت كلمتهم على موافقته وترك مفارقته والاذعان
لرياسته وموافقته على ما يلقاهم الزمان به من سلم وحرب وذلول
وصعب وسهل وحزن فسره وحزن وكاتبوا بخارا اساليبين
ردا لرغامة عليه ورعاية لحق خدمتهم وتحكيما للكرم في تحقيق

مسئليهم واستبقاء لوجوههم كما طاعتهم فابى ابن عزيز ان يقع لهم
نجاح او يتم سعيهم لاولياء الدولة صلاح وكتب اليهم يمنيهم الزور
ويدليهم الغرور ويشير ابا بقبيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه
لم يجده شيئا فسامهم معاودة الحضرة تطميعا لهم وتنفيقا
للنفاق عليهم فلما عرفوا صورة الجواب ازدادوا بصيرة في
ابي العباس تاش ونفاذا في خدمته وتصرفا بتصاريفه وخضوعا
له في وجوه تكاليفه

ذكر انقلاب فخر الدولة الى ولايته وما جرى بعد ذلك بينه وبين حسام الدولة ابي العباس تاش من المحابة والتعاون الى اخر عمره

اتفق بعد معاودة ابي العباس تاش بخارا ان قضى مويد الدولة
نحبه ولقي ربه وقبل انقضاء الحرب كان فيما بينهما ما دهمه الخبر
بوفاة عضد الدولة اخيه فتماسك عن اظهار المصاب اناة
بالخطب الذي كان امامه حتى كفته حفيظته المرة وبقضيته
بعزيمته المستمرة وتشاور اولياء تلك الدولة فيمن ينتصب
منصبه ويسد في الرياسة مسده فاشار الصاحب اسمعيل

ابن عباد الى فخر الدوله اذ لم يكن في ذلك البيت احق بالامارة واتم
استقلالا باعباء الرياسة والسياسة سنا وكفاية فطيروا
البريد اليه في البدار الى ما ورثه الله من عقيلة الملك وذخيرة الملك
عفوا لا منة لاحد عليه فالحق يحتم لسانه بشكره واستخلفوا
اخاه ابا العباس خسرو فيروز بن ركن الدوله على ضم المنتشر وتقويم المناود
الى ان يلحق بهم فيتولى تدبير ما يليه ويتولى عنه تدبير ما يشتبه
برايه ويمليه وبادر فخر الدوله من نيسابور الى جرجان تطاير البرق
بين جناحي الافق فاستقبله العسكر خاضعين طائعين على صدق
الملاة والموالاة متابعين وتبوأ مقعده من سرير الملك وارثا
ما اوصى له ابوه به وسائر ما كان يدبره اخوه كذلك يؤتي الله الملك
من يشاء وينزع ممن يشاء وهو الفعال لما يريد

نظم وانشدت لابي الفرج بن ميسرة ابياتا من قصيدة

فلو قبل الفداء لكان يفدى * وان جل المصاب عن التفادي
ولكن المنون لها عيون * تكد لحاظها في الانتقاد
فقل للدهر انت اصبت فالبس * برغمك دوننا ثوبي حداد
اذا قدمت خاتمة الرزايا * فقد عرضت سوقك للكساد

وكتب الى ابي العباس يذكر ما اصاره الله واعلقه بيديه ولك

ذلك كله موقوف على احكام مشيئته ومصروف الى اقسام ارادته
وانه لم يرتح لاستجابة ايامه النافرة واعتياد دولته العاتية
ارتياحه لما تمكن به من معاضدته على مصالح احواله ومرافدته
على مناجح آماله شكرا لما كان مهده من مقامه قبله وقدمه
من جهده في ايثار الخير به وارتياد النجح له فاجابه مهنئا بما اتاحه
الله له من كريم صنعه وزفه اليه من هدي ملكه وشاكرا له ما اوجبه
ودراه وشاكيا اليه ما رهقه ودهاه فكتب اليه بانه مهيمن فيما
يليه وقيمه على ما يحويه وان امره ممتثل في كل ما يرومه ويتنخبه
فليبين امره على ما يقف عليه اقتراحه منتظرا لما يقتضيه شركة المفا وضة
من التسمح بالملك والمال في ترتيب الرجال في اعقاب الرجال وكان قد
انهض ابا سعيد الشبيبي وهو الملقب بشيخ الدولتين الى ما قبل
فخر الدوله رسولا فصرفه في العاجل بقدر من المال من زهاء الف
فارس من اصناف العرب والاتراك فورد نيسابور وانضم اليه
ابو محمد عبد الله بن عبد الرزاق مواليا لابي العباس تاش
على ابي الحسين بن سيمجور فاجتمعا على التعاضد واتفقا على التكاتف
والترافد وانجذب تاش الى نيسابور فسبقه اليها ابو الحسين
وانحاز المقيمون بها انتظارا لوصوله في سواد خيوله ولحق بهم

فصفت له الايدي واحدة والقلوب على الاخلاص متعاقدة
وقصد باب نيسابور من جانبها الغربي فخيم بظاهره وناوش
ابا الحسين الحرب اياما عدة وهو متحصن بالبلد ودروبه فتحجر
بضيق مداخله فسدوده ولجئ بابي العباس تاش نحو الفي رجل
من خلص الديلم ونخب الاتراك يقدمهم ابو العباس فيروزان ابن الحسن
نكبة الفوادم ممن يعضون على الزبر ويدخلون في خرت الابر فلما
احس ابو الحسين بن سيمجور باناختهم علم قوتهم على حرب المضيق
واعجلهم باطراف الزانات والمزاريق فاتخذ الليل جملا وترك
البلد مهملا وسار بريد قهستان ساترا عورة الانهزام بلباس
الظلام وسمع عسكر ابي العباس بانجفاله فشدوا على اثارهم واثقالهم
واصابوا منه غنائم موفورة وانفالا غير محصورة ودخل ابو العباس
تاش نيسابور وجباها ونهاها الى المعسكر بظاهرها مما يلي الجانب
الشرقي حميد الظفر مرضي الاثر وانشدني ابو منصور الثعالبي
لنفسه في تلك الوقعة

نظم

قل للذي انا في هواه خاشي ... صاد الفؤاد بصدغه الجماش
صدغ يرى عند الرياح كانه ... قلب ابن سيمجور احس بتاش

وله ايضا

ان الشتاء مضى بفتح فاش ... واتى الربيع لنا بخصب راش
ومضى ابن سيمجور بقبح فعاله ... وانتاش ابنا الكرام بتاش

ولزم تاش مناخه ذلك يواصل الكتب الى بخارا في الاستمالة
والاستقالة والضمان لانف الطاعة وعرض النفس والملك بلسان
الضراعة فلجت بابن عزير صلابته في عداوة آل عتبة دون مغايظته
ومعاداته ومعاندته فطفق ينفق على الامير الرضي ووالدته
التي كانت كافلة بالملك ان تاش معتصم بالديلم وقاصد قصد
الاجحاف بالدولة وانه متى ارخي من عنانه فيما يستدعيه وجب
التعزي عنها والتكبير عليها حتى ظننا ان الامر حازم فوكل التدبير
اليه وجعل رباط الخير والشر بيديه وقد كنت اروي لصديق
لي في تلك الايام بيتين لابن المعتز سمعتهما في الشباب

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الاحباب

فقال ان الايق بحكم الوقت والحال بيتين في وزنهما وصياغتهما
للحسين بن علي المروروذي

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما ... راي النساء وامرة الصبيان
اما النساء فميلهن الى الهوى ... واخو الصبى يجري بغير عنان

فانصف لعمري فيما وصف، وحكم حكما يشهد به العيان، ويسجل بصحته
الامتحان، وابى الله ان يكون نظر في شفقة الام، وخال بمنزلة العم، مثل لطيف
وعسيف بمثابة الصاحب، ووزير بمحل الملك الغالب المستبد برايه الصائب،
ولم يمل ابو العباس تاش بما اهمه من امر ابي الحسين بن سيمجور وقصده
مداراة لولا التدبير بخارا واستمالته لهم واستبناء واستذرارا
بهم وامساكا للوحشة من الازدياد، وصيانة للقروح من الامداد،
وهم ما بينهما يهتبلون فرصة الرخاء، ويغتنمون فسحة الاهمال
والامهال، ويقبلون على مواصلة الاحتشاد، والاستعداد، ومداومة
الاستمداد والاستنجاد، وكتب ابو الحسين بن سيمجور الى ابي الفوارس
ابن عضد الدولة بفارس فامده بالفي فارس من نخب الاعراب
وانضم اليه فايق في خواص غلمانه وسائر من استجاشهم من اطراف
خراسان وكروا باجمعهم على ابي العباس تاش في خيول غص عرض
الجبوب، وضاق عن ضمها اضلاع الشمال والجنوب، وفيالق تحاكي
رمال القيافي عددا، وتضاهي نجوم السماء اهبة وعددا، وتشابه
قطرات البحر الزواخر مددا، ترجف الجبال الشوامخ تحت اقدامهم وتجيع
الاساود السود عند جراءتهم على الموت الذريع واقدامهم، فلما
قاربوا نيسابور خالفوا معسكره الى البلد لامتلاكه ومبادرته

الحرب عن ظهر منعة واقتدار، ورجال نجدة واستظهار، فعارضهم
ابو العباس تاش في مسيرهم بعبد الله بن عبد الرزاق وابي سعيد
الشبيبي في خواص غلمانه، وناوشهم الحرب من حيث متع النهار الى
ان صار كعين الاحول، فظلت حملاته تحطمهم حطما، وتوسع اركانهم
هدا وهدما، وكانت المجاعة ما بين سرخس الى مقامهم ذلك
قد بلغ منهم مبلغا احرج صدورهم، واقنع بالاجفال جموعهم
ايثارا لفسحة المضطرب، والخلاص للجماعة عن ضيق المعترك، وحمل
ابو العباس تاش آخر النهار حملة قدرها خاتمة القتال، وآخرة
النزال، فتلقاها ابو الحسين وابو علي ابنه بشكائم قوية، وعزائم
في الثبات صريحة، وردوا مطلقات الاعنة بمشرعات الاسنة
ووردوا مشرعات الحتوف بمرهفات السيوف، فلما انقلب الى
مقامه وقد تفرق في تلك الحملة عنه سواد حماته، وحفظة راياته
شدوا الحملة عليه دفعة واحدة فاضطروه الى الانهزام واسلامهم
المقام، وتداركت الحملات على عسكر الديلم من جانب فايق حتى زعزعت
صفوفهم، واضطربت جموعهم، فتداعوا الامان من قرع السيوف
خلا من انجته صهوات الخيول، فجمعوا في قيد الاسار على حال
الذل والصغار، ثم حملوا الى بخارا على الاجمال في الجوالق آية ونكالا

وتشفيا ممن ساقهم الى خراسان أرسالا فاستقبلتهم المخانيث
بالدفوف والمعازف بدلا عن السيوف والعوامل وأمرتهم الى مجالس
قهندز الى ان اقتسمتهم الايام بين ممات ونجاة

ذكر انتقال أبي العباس تاش الى جرجان ومقام أبي الحسين بن سيمجور على قيادة الجيوش

وانتحى أبو العباس تاش الى جرجان فتلقاه عنها فخر الدولة متوجها
نحو الري واخلاها له ولاهل عسكره وترك دار الامارة محفوفة
بالفرش الفاخرة والخزائن العامرة والاهب الوافرة حتى
المطابخ بما فيها من الآلات الصفرية والاواني الذهبية وتقدم
بان يسلم اليه خزانة كانت قد اعدها للحمل اليه قبل الكشفة
مشتملة على خمسين الف دينار والفي الف درهم شاهية وخمسمائة تخت
من الوان الثياب الى غيرها من عتاق الافراس وجياد المراكب والدواب
واعداد الاسلحة والوقايات من تجافيف ومغافر ودروع وجواشن
وتنسية وزانات اكثرها مغشى الظهر والنصب بحلي الفضة
والذهب وسوغ له دخل جرجان ودهستان وابسكون واستراباذ
الا قدرا كان مصروفا الى عمارة القلاع وارزاق مستحفظيها

من الخواص وأمر أبو العباس تاش بتفرقة تلك الاموال والمبار بيمن
صحبه من القواد وطبقات الاجناد حتى جبر كسرهم وقوى اسرهم
وواصل لهم الاقامات والاطماع حتى ارتاشت احوالهم وخصبت
رحالهم فصاروا بجرجان احسن منهم بخراسان حالا وارغد عيشة وانعم
بالا وجعل فخر الدولة يتابع اليه الحمول من طبرستان زيادة في تاثيل
حاله واستبقاء لنظم جنوده ورجاله فعل من لا ينفس على اخيه بنفائس
ما يحويه ولا يضن على صديقه بجليل ملكه ودقيقه وقد كان الصاحب
يسرف ما يوجبه له من الاحسان والمواساة وصلة الصلات
والكرامات وعن قبل ما نصح له في استعراض خراسان برجاله مخالفة
لسلفه فيما اختاروه من مسالمتها واغتنام السلامة منها فقال
له ذات يوم ان حقوق ابي العباس علي حقوق لو نزلت معها عن
جميع ما افاءه الله علي من ثمرات هذا الملك حتى احل له عروة هذا القميص
لوجدتني في ادنى درجات المكافاة واشار الى واحدة تكفيه امارة على
ما اوجبه الايام مقامه قبله اشفاقا على مهجته وحرصا على محبته
وذبا عنه في حال غربته وهي ان اخويه عضد الدولة ومؤيدها ارسلا
اليه بيتردانه على اموال عظيمة تحمل الى خراسان في كل سنة للسلطان
اولا ولا ثانيا مشفوعة بمجلوبات العراق من وشي الثياب

وفوّه العتاق واغليا في الاستيام والتطميع حتّى لم يبق للردّ
مجالٌ ولا للسان العذر مقالٌ واتاني خبر الرسالة فاستطلت
ضوء النهار واستخشنت جانب القرار وقمت من الحيوة على شفا
جرفٍ هارٍ اذ لم يكن في الهرب مطمعٌ ولا في قوس الرجاء منزع
وبتّ بليلة انقد ابي النشر كأن قد الى ان اصبحت وقوائي متخاذلة
واركاني متهافتة خوفًا لاذن بالداء العياء والداهية الدهياء
فاتاني حاجبه بعد فراغه من الاذن داعيًا وادبًا فلم ادر اداعٍ هو
ام ناعٍ وآدبٌ هو ام نادبٌ وطالع ضيافة ام طارق آفة وخمنت
في الفهي كناية عن المحذور وتورية دون القدر المقدور فركبت
اليه وسير عناني لحصف مرة من يناني عليه الى ان حصلت في
مجلسه فصادفت من حسن القيام وقوة الالتزام وفرط الاكرام
والاعظام وفضل البر والايناس ونصرة الرجا على الياس
ما لم اكن عهدته فيما مضى من مجالسه وقرانه وما زال يرقيني ببشره
ويسحرني بلطفه وبره الى ان ثابت نفسي اليّ وانحلّت عقدة الخوف
عليّ وتطاير الهم عني شعاعًا وذهب سوء الظن عني جفاءً
ثم ناولني الرقاع الواردة عليه فنشرتها عن انياب الاراقم وحماة
العقارب على الرسم المعتاد من كيد الاقارب ثم اقبل عليّ فقال

كنتُ عليّ ان اكتم للامير صونة ما ورد صيانة لقلبه عن نوازع الظنون
وللاوهام لكنّني فكّرت في حكم الحال التي تجمعني واياه فرايت اطلا عه
طلع ما كتب والافضاء اليه بحقيقة ما طلب املك لسكونه واوقع
لطمانينته وانفى لخلاج الشك عن خاطره واقسم بجميع ما يغلظ به ايمان
البيعة انه لا يعدل خراج العراق باسره على نفاسة قدره بشعرة
من بدنه ولا بنبرة من بنيّته وان جميع ما املكه من صامت وناطق وقاعد
وقائم حتى فص هذا الخاتم وزرّ هذا القرطق وقاية لمهجته ووقف على
مصلحته ومعدّ لدرء الحوادث عن ساحته ومبتذل في الانتقام
له ممن نافسه في ملكه ونازعه حق ارثه حتى ياذن الله في ردّه الى
بيته قرير العين منشرح الصدر صاعد النجم ماضي الحكم على الخصم
ايستحق من يسمح بمثل هذه الاكرومة طوعًا وطبعًا لا عن رغبة
في رغبته ولا اميال اليه ولا تطلع الى وجه مطمع ان يتغافل عن
معونته وارفاده ويتجاهل دون ما يجذب اليه نظام مراده لا ورب
الكعبة وحق ركن الدولة لا اعرف للناس نفيه هذا الحق العظيم
وقد استسهلت طريق المكافاة واصبت عون الله على حسن المجازاة
على ان الفضل له لسبقه الى البر وان جهدت في المقابلة وشددت
الى الغاية في المساجلة فتعجب الحاضرون من هذا الكلام والكرم

الذي عزّ سماع مثله في سالف الأيام. واحتشد الصاحب
في بعث لمصالح أبي العباس تاش مناصحةً لصاحبه. وكفالةً عنه
بما يقضي الحق عليه ويقيه شرف الوفاء له. وبقي أبو العباس
بجرجان يلتهب بنار الحنين عن القرار جافي الجفن دون الغرار
شوقًا إلى خدمة سلطانه. وحرصًا على عرفان حق اصطناعه وإحسانه
وإشفاقًا من تأويل حسّاده في انتباذه عن خراسان خلع حق الولاء
ونزعه عن رقبته طوق الطاعة والوفاء. وجُلّ همه معاودة بخارا
لاستئناف الخدمة والسلامة من المذمة. وأرسل أبا سعيد
الشبيبي إلى فخر الدولة في الاستعانة على معاودة خراسان
فجهز إليه اسفهسكر دوبه وعدةً من أعيان القواد في زهاء ألفي
رجل من خلّص الديلم. وكتب إلى نصر بن الحسن بن فيروزان وهو بقومس
في صلة جناحهم والزعامة عليهم في إيرادهم وإصدارهم والصدر
في ذلك كله عن رأي حسام الدولة ومثاله والتصرف بتصريفه
في حالتي حلّه وارتحاله وتاراتي سلمه وقتاله. وحمل في صحبته
من المال لإقامات أهل عسكره ضعف ما كان خلّفه عليه عند
فصوله من جرجان. فسار أبو سعيد إلى قومس فانتدب نصر لقراه
وقرى القواد في صحبته كما قرى تميم ضيفها وجارها ابن الحضرمي

حذو النعل بالنعل. وذلك أنه أمر به في صحن داره فلحظته السيوف
يمنةً ويسرةً حتى برد. وعمد إلى الآخرين فحبسهم في سرب وأوقد
الفحم عليهم وسدّ منافس السرب دونهم حتى اختنقوا بين حرّ
المحبس وعدم المتنفس. واقتات بتلك الأموال المحمولة والدواب
المقودة راضيًا بشيمة الغدر. وقاضيًا على نفسه بالخزي
آخر الدهر. وانفلت الباقون نحو الري لا يلوي واحد منهم على
أحد إلى أن وردوها فقرّروا الصورة وقرؤوا الصحيفة المنشورة.
فورد من ذلك على فخر الدولة ما أطار واقعه وهاج وادعه. وعلى حسام
الدولة ما أقلقه وأكمده. وأضعف عن كل شيء قلبه ويده. وكتب إليه فخر الدو لة
بذكر ما رآه من تجهيز الجيوش إليه قد تحدّره إلى استراباذ ليصير
المقصود محصورًا بين العسكرين ومضغوطًا من كلي الجانبين إلى أن يأذن
الله فيه بالبوار أو الانتباذ إلى غيرها من الديار. وانحدر أبو العباس
تاش إلى استراباذ وخيّم بهزارخان فأخذ نصرًا ما قدم وحدث وأمّر
وخبث ورأى الحين قد فغر فاه والسيوف تطلب وجهه وقفاه.
فلاذ بالاستسلام وفزع إلى الضراعة والاسترحام وطفق يكتب
في الاعتذار إلى الجانبين بأنه كالعير كحياء مما ارتكبه وخجلًا من
عوار ما اكتسبه. وتحمّل بشفاعة حسام الدولة في الاستعفا ح

واستقالة ما تخبط بسوء الاختيار حتى كتب في بابه بأنفس من
خناقه وتحرم فخر الدولة بقبول إنابته رعاية لحق شيبته وقرابته
وعاد أبو العباس تاش إلى جرجان على أن يتأنف تدبير خراسان
وكان فخر الدولة قد استوحش من ابن أخيه بهاء الدولة لأحوال
أخل فيها بحقه وترخص معها في المفروض من إجلال قدره ومحله
فناهضه في معظم جيوشه من أحماله في أعمال خوزستان ومعه بدر بن
حسنويه في جنود الأكراد ذوي البسالة والجلادة وسار حتى غلب على كورها
مدلاً بالقوة السابغة والنجدة الوافرة وأنهض أبا العباس ودارا بن
الحسن نحو البصرة لاستصفائها واستضافتها إلى أخواتها فلما
عبر نهر موسى استجاش المقيمون بها من عسكر بهاء الدولة أهل البصرة
عليهم فنهد منهم خلق عظيم إلى المسالك بينه وبينهم فبثقوا أنهار
الأهواز عليها حتى عميت الطرق وأعوز المجال والمخترق وبقي هو ومن
معه في مخاضات ووحول سدت عليهم وجوه الاختيار وطمست
دونهم معالم الإقبال والإدبار ووافتهم إقبال خيول من الموصل
على عوادل الطرق لمظاهرة المقيمين بالبصرة فلما أخذتهم أبصار
أصحاب أبي العباس ورأوا فيهم شوكة ووفوراً ولوا على أدبارهم
نفوراً وكان بدر بن حسنويه قريباً منهم فلما رأى الكشفة جاء ممانعاً

وثبت بنفسه مدافعاً وأعباه سد ما اختل ورد من أخذ فاستمرت
الهزيمة بهم إلى فخر الدولة وهو بسوق الأهواز وشكوا إليه ضيق الحال
وتجمعوا على تشبثهم للمطالبة بالمال لمغالظة ما ظهر في الأول من عجزهم
وتخوفهم وما انتشر في الثاني من سوء فعلهم وإثمهم فانكفأ بهم راجعاً
إلى همذان على ظاهر هدنة وقع التغاضي عليه ومنها إلى الري
وذلك في شهور سنة سبع وسبعين وثلثمائة وحدث وباء بأرض
جرجان خرج عن الحد في هذه السنة فهلك من أصحاب أبي العباس
تاش ووجوه قواده وأعيان رجاله والمذكورين من كتابه وعماله وسائر
حاشيته وغلمانه خلق عظيم وعرضت له بآخرة علة صعبة ختمتهم
به فمضى لسبيله رحمه الله وقد كان أصحابه أوغروا قلوب
أهل جرجان برسوم ذميمة ابتدعوها ومعاملات قبيحة اخترعوها
وأحوال عنيفة أوقعوها فلما فشا خبر وفاته صاروا يداً واحدة
على أصحابه يكبسونهم في الدور والحجر ويطلبونهم تحت كل حجر
ومدر وجعلوا القتل جفلى وانتظم الكبير والصغير والشريف والمشروف
في سلك القتل والتنجيد للإبادة والتمثيل وشغل وجوه أهل
عسكره بهذه المصيبة عن الفراغ لقمعهم ودفعهم وإخماد جمرتهم واستخفاف
معرتهم واقتضتهم صورة الحال البروز إلى ضاحي البلد لضبط الأمر

وضم المنتشر واتقان التدبير في اختيار من يصلح للتامير فبرزوا اليه
واتفقت كلمتهم على ابي احمد ابن اخت له وقدموه وطالبوه بمال البيعة
فاطلق لهم ما وجد في خزانة الماضي مضافا الى ما امكن تحمله وجبايته
عشر بيعة واحدة حتى هدأت فورتهم وسكنت سورتهم وتولى
النفر من البلد بمد اهلية ايديهم الى عورات نساء الخراسانية بغيا
وكيادا الخمر كستهم الحمية للانتقام من الاراذل الاعلاج والاغتام
وركبوا على سمت بكراباذ لمحاربتهم وثار اراذل الاشقياء اليهم
متهافتين في الدماء تهافت الفراش في النار فلم ينشبوا ان حمل
اهل العسكر عليهم حملة كشفتهم عن رؤوس بلا غلاصم وايد بلا معاصم
وفرشوا ارض ذلك الفضاء بجثث القتلى متشحطين في الدماء
وضربت الدور والحوانيت بالنفاطات فبسطت عليهم الايدي بالغارات
فجرى عليهم ما لم يجر بعد يزيد بن المهلب مثله نكاية رادعة وعقوبة
وازعة قامعة وعندها ارسل مشايخ جرجان وصلحاؤها يطلبون
الامان ويناشدون الله والايمان فكفوا عن القتال وانكفأوا
الى الرحال فسكن نابض الفتنة ووقع طائر الهيج واللوثة واختلف
العسكر في الاختيار فمال القواد وكبار الغلمان الخاصة الى خراسان
واستحبت الدارية الانقطاع الى فخر الدولة والاختصاص بخدمته

وكتب الصاحب اليهم اجمع بالتوقف ريثما يلحق بهم الاستاذ ابو علي
فيطلق اموالهم ويحقق في الولايات والزيادات آمالهم فحفز هم
جند خراسان على التوقف واعجلهم طول العهد بالاوطان دون التثبت
فساروا على سمت الري معاودين نيسابور للاتصال بابي علي بن سيمجور
وهو اذ ذاك صاحب الجيش مكان ابيه واقام الباقون من الدارية الى
ان وردها الاستاذ ابو علي فاستعرضهم واثبت اساميهم واطلق
اموالهم وسيرهم الى الري فامر فخر الدولة بنقلهم الى الدار وتو جيهم
على امثالهم بمزيد الاكرام والايثار رعاية منه لحق ابي العباس تاش
مرحابه واستظهارا بهم من آخر وقد كانت جرجان تموج بالغاغة
وذوي العيث والخرابة ممن قتلوا اهل خراسان ومثلوا بهم فوضع
الاستاذ ابو علي الارصاد لهم وبث العيون عليهم وقتل ممن حمل
من جملتهم يوما واحدا حدبدا زيادة على ثلاثة الاف رجل صلبا وصبرا
وغيلة ومكرا فتمت بذلك سياسته واستفاضت هيبته واستقامت
اموره وصفت جرجان في ايامه ممن يعيث في فساد او يحلم بغير
استقامة وسداد

ذكر ابي الحسين بن سيمجور في قيادة الجيوش الى ان قضى نحبه وانتقال الامر الى ابنه ابي علي

فاستقامت بولايته وقرار نيسابور واتخذ ابو العباس تاش
الجرجان محليا امور خراسان وانصرف عسكر ابى الفوارس الى كرمان
وعاد فايق الى بلخ واستقر ابو علي بهراة وكان ابن عزير يستحث
ابا الحسين على قصد جرجان ويوثبه على انتقاد عنها وهو يستمر
على العلوم من عادته في استشعار الحلم واستحباب السلامة
والسلم اشفاقا من عثرة قدم تفضي الى ندم كالتي عرضت لابي العباس
تاش بجرجان من الكشفة التي جلبت على الدولة من الوصمة ما سار
في البلاد خبره الى ان اقيم ابو علي محمد بن علي الدامغاني للوزارة في ذلك
في جمادى الاولى سنة تسع وسبعين وثلثمائة ونفي ابن عزير الى خوارزم فجهد
ابو علي في تسديد الاعمال وحفظها على الاعتدال فاعياه ما اراد
لانسداد الولايات وتراجع الارتفاعات واستشراء الحشم وضراوة
الاتراك وتسحبهم على الوزراء واحتكامهم في المطالب خلعا للجام
المراقبة وامنا من حد السياسة وصدق المواخذة فصرف بابي نصر
ابن زيد وهو الشهم الذي يطبق المفصل في افعاله ويصيب المحز
في اقواله ويبذ الكفاة بغنائه ومضائه وصواب تدبيره وارائه
ثم بدا لهم في امر ابي علي فرد ثانيا الى مكانه من صدر ديوانه واتفقت
لابي الحسين بن سيمجور بين هذه الاحوال نهضة الى خرك بعض متنزهاته

بواحدة من خطاياه فخانته نفسه خلال الرقشة فخر الى الارض
عن صدرها ميتا واخفي خبر وفاته الى ان رد الى داره واستعد
لاظهاره وورث ابو علي ابنه رياسة بيته واخوته وجيشه فسد
الثلمة الحادثة بابيه برفق سياسته وحسن رعايته وحفظ ايالته
ودرايته وحسن طاعة ابي القاسم اخيه وساير اخوته له وعم رضا هم
به وبلغ ابا علي ان هراة سميت لفايق فقصدها ابو علي وكتب اليه
يعاتبه على ما استجازه من الخطبة على خطبته ثم اتفقا على ان تكون
هراة لفايق ونيسابور مع قيادة الجيوش لابي علي ورتب كل
منهما اصحابه بناحية عمله وحملت الخلع من بخارا على الرسم لولاة الجيو نش
وابو علي يظن انه هو المقصود بها والمحبو بالكرامة فيها حتى اذا
بلغ الرسول منتصف الطريق عدل الى فايق بما صحبه فعلم انه مكر
مكروه وغدر اسروه وانه المقصود بالسوء والمراد بالمحذور
فلما علم ان فايقا شخص عن هراة نهض ابو علي من نيسابور كالسهم
المرسل والشهاب المرصد حتى انقض عليه فيما بين هراة
وبوشنج فعل من اتخذ الجد خدنا وصاحبا ونكب عن ذكر العواقب
جانبا وعلم انه متى استمرت به تلك الحيلة ونفذت فيه تلك
المكيدة وعرف جبنه وخوره لم ترتفع له ولا لاهل بيته راية ولم تعرف

الانتقاض للأمور عليهم وانسياب المحذور اليهم من كل وجه غاية
فصدق قتاله اخذاً بفرط الجد والتشمير ودق عسكره دق المضبب
أستاه المسامير فولوا به منهزمين الى مرو الروذ واردفهم ابو علي
بعدة من قواده للتشبه به في هزيمة فوافقوه بقنطرة مرو الروذ
مستعدة للمدافعة ففضهم حتى اسر منهم عدة وحملهم الى بخارا
وسار ابو علي الى مرو خاطباً عمل ابيه ومدلاً بسابق حرماته
ومساعيه ومكثراً باخوته وذويه فحقق الرضى سؤله وجرد اليه
فيما استدعاه رسوله وقرر قيادة الجيوش عليه وناط مصالحهم
بيديه وجمع له بين ولاية نيسابور وهراة وقهستان ولقبه بعماد
الدولة فانكفأ الى نيسابور وقد نال ما اراد فهذب الاعمال ورتب
الاحوال والرجال واخذ امره يزداد نمواً وبهاء ويتضاعف
قوة واستعلاء الى ان تلقب بامير الامراء المؤيد من السماء
وامتدحه الخوارزمي بقصيدة اولها

ان الالى خلف الخدور ... هز الضمائر في الصدور
وقفوا الغيبة عليهم ... فغدا ابيته على العبير
لما مشين على الثرى ... تاه المعثار على المعثير
واعرتهم نظري فما ... ردّ المعار الى المعير
فغدوت في حال الاسير ... ورحت في حال الحسير
وكذاك من عشق النجوم ... ورام صيداً للبدور
يا سائلي ما في الهوادج ... والبراقع والستور
فيها الرضاع من المنية ... والفطام من السرور
وسألت من زوج المنابر ... حين تخطب والسرير
فهو الامير ابن الامير ... ابن الامير ابن الامير
المشتهى المدح القليل ... بماله الجم الغفير
من سيفه كسر الجبير ... ومن سيبه جبر الكسير
والناظم المعنى الطويل ... بلفظه النزر القصير
يرمي اعاديه بسهم ... من سعادته طرير
حتى لو افترشوا الحرير ... لشاكهم مس الحرير
وتوثبت بهم الذكور ... بتدلكم البيض الذكور
وسهامه نوب الخطوب ... وقوسه عقب الدهور
ورماحه حشو العدى ... وعداته حشو القبور
استغفر الرحمن بل ... حشو الحوامع والنسور
ويصوم صارمه فيفطر ... بالجماجم والنحور
واذا اتاه سائلاً ... رب الشويهة والبعير

أبصرته بفنائه رب الخورنق والسدير

أتمحمد محمد هذا الثماد من البحور

لو كانت الدنيا تدوم على الخلائق للأمور

ما صيغ تاج محمد إلا من القمر المنير

وأتاه البديع الهمذاني وهو يمدحه بالقصيدة التي أولها

على أن لا أريح العيس والقتبا • وألبس البيد والظلماء واليلبا •

وأترك الخود معسولاً مقبلها • وأهجر الكأس يعود شربها طربا •

حسبي الفلا مجلساً والنوم مطربة • والسير يسكرني من مسه لغبا •

وطفلة كقضيب البان منعطفاً • إذا مشت وهلال الشهر منتقبا •

تظل تنثر من أجفانها حبباً • دوني وتنظم من أسنانها حببا •

قالت وقد علقت ذيلي تودعني • والوجد يخنقها بالدمع منسكبا •

لا در در المعالي لا يزال لها • برق يشوقك لا هوناً ولا كثبا •

يا مشرعاً للمنى عذباً موارده • بيناه مبتسم للأرجاء إذ نضبا •

طلعت لي قمراً أسعد لمنازله • حتى إذا قلت نجلو ظلمتي غربا •

كنت الشبيبة أبهى ما دجت دجت • وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهبا •

أستودع الله عيناً تنتحي دفعاً • حتى تؤوب وقلباً يرتمي لهبا •

وظلتنا الخنت منه النوى وطراً • من قبل يقضي الهوى من خلمه أربا •

غضي عليك فلم الصبر إن لنا • إلى الملك أوبة مشتاق ومنقلبا •

أي المقام بدار الذل لي كرم • وهمة تصل التخويد والخببا •

وعزمة لا تزال الدهر ضاربة • دون الأمير وفوق المشتري طنبا •

يا سيد الأمراء افخر فما ملك • إلا تمناك مولى واشتهاك أبا •

إذا دعتك المعالي عرفها انتهت • لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا •

أين الذين أعدوا المال عن ملك • يرى الذخيرة ما أعطى وما وهبا •

ما الليث مختطماً والسيل مرتطماً • والبحر ملتطماً والليل مقتربا •

أمضى شباً منك أدهى منك صاعقة • أجدى يميناً وأدنى منك مطلبا •

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً • لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا •

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت • والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا •

يا من يراه ملوك الأرض فوقهم • كما يرون على أبراجها الشهبا •

لا يكذبن فخير القول أصدقه • ولا يهابن في أمثالها العربا •

فما السموأل عهداً والخليل قرى • ولا ابن سعدى ندى والشنفرى غلبا •

من الأمير بعشار إذا اقتسموا • مآثر المجد فيما أسلفوا نهبا •

ولا ابن حجر ولا ذبيه يعترني • المازني ولا القيسي منتدبا •

هذا إذا ركبته أو ذا إذا رهبته • أو ذا إذا رغبته أو ذا إذا طربا ••

نعم واستولى على بلاد خراسان وارتفاعاتها فجبيت له عن آخرها

[illegible]

وكتب الرضي اليه يستنزله عن بعضها لاطلاع حشمه وعوارض مؤونته
فاعتل عليه باستغراق اعطيات جيوشه ارتفاعات خراسان وحاجته
الى زيادة تتحملها لتتمة اطماعهم في السنة وهو في ذلك غالطه طاعة
بجفاء ويسر حسوا في ارتغاء ونصب ابا علي النسفي لصحابة
الديوان وبسط يده في المصادرات والاستخراج حتى كنس خراسان
فلم يبق بها ذو در الا ادمى خلفه والصق بظهره بطنه ثم طالبه
بما رفع عليه وامر بدق يديه على جنبيه الى ان اعفي ببعض المال ومات
باخرة على شرجاب. وصار يكاتب الملقب بشهاب الدولة وظهير
الدعوة هرون بن ايلك خان وهو ببلاد الترك سرا على ان يتشاطرا
خراسان وما وراء النهر متى ملك على الرضي بخارا فكان مثله كما قيل

سلوا سيوفا محمدين بمحمد فضربوا بها هامات آل محمد

وهو في ذلك كله يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة استعمالا بزعمه
للتقية او تجملا الى الرعية. وقد كان طائفة من دهاقين ما وراء النهر
المتهم ايام تلك الدولة فغرمت نفوسهم الى الاستنجاد بذوي الاحماض
به عن خلة الالفة والاعتياد فواصلوا بغراخان بكتبهم في تورد
ذلك الحريم وشاحذين عزمه في المضاء والتصميم فصار يتطرف
تلك الحدود شيئا فشيئا كالباني يحل بضاح اجفانه على التنبه

تائبا اليه من الوحشة وتسكينا من الروعة وتضرية على القنص
الى ان ورد اسبيجاب فانهض من بخارا ابن الحاجب في طلبه ورده على
عقبه فالتقيا على حرب اشابت الذوائب واثارت الكواكب ثم انجلت
عن اسر ابن الحاجب في الكثير من القواد والكثير من الافراد واستحكم
لذلك طمعه في تورد سائر البلاد

ذكر فائق وما انتهى اليه امره بعد الوقعة المذكورة

اقام فائق بناحية مرو الروذ على رم الرث وجبر الكسر واسو ما فشا
في عسكره من كلوم الحرب فلما التحم امره وانضم نشره سار يريد
بخارا من غير استيمار واستطلاع رأي فارتاب الرضي به فلما
قاربها برز الى فضاء السهلة ببابه ورماه بالج وبكتوزون الحاجبين
وسائر مواليه وصوالي ابنيه فلما رهقه الكفاح وعضه السلاح اجفل
اجفال الظليم واقتسمت الهزيمة اصحابه بين القتل والتنكيل
والاسر والتذليل ووافى الشط منهزما فوجد السفن مغيبة
فركب الخطر واحتال حتى عبر وسار الى بلخ على ان ينتاش منها او
يرتاش واقام بها اياما ثم عبر الى الترمذ وواصل بغراخان بكتبه يبعثه
على الانحدار ويحثه على البدار وخوطب من بخارا والي الجوزجان

ابو الحرث احمد بن محمد الفريغوني بنفسه وحشده فجمع بوشا عظيما
وساق من ارض الجوزجان بهما فانتدب لهم احد غلمانه وكان يعرف
بايهلاان اخو سلار في زهاء خمسمائة من الترك والعرب فانقضوا عليهم
انقضاض الصقور على بغاث الطيور فمزقوهم بددا وجعلوهم
طرايق قددا وفرشوا الفضاء بجثث القتلى وغنموا مالا لا يعد
ولا يحصى وعادوا الى بلخ ظاهرين وقد كان طاهر بن الفضل ملك
الصغانيان على ابي المظفر محمد بن احمد وهو واحد خراسان جلالة قدر
ونباهة ذكر ومتانة راي وحجر ورصانة نظم ونثر فانقطع ابو المظفر
الى جانب فايق صارخا فزعا فاحسن اصراخه وامده بمن برزه وراءه
فاغتنم المقيمون بها المدافعة ونهدوا للمناجزة وتناوشوا القتال
وصدقوا المصاع والصيال وثقف بعض العرب مكان طاهر بن الفضل
فقصد قصده بطعنة ادرته عن مركبه وبادر اليه فاحتز راسه
عن مركبه وثار الصياح بقتله فولى اصحابه على الادبار ما بين بين
سمع الارض وبصرها وما بين اشاجرها ومدرها ولما جرى في
امر الحاجب ما جرى ونقل الى بلاد الترك في زمرة الاسرى
انتقضت مراير الاعمال بما وراء النهر ووهت قواها وتداعت
قواعدها وبناها واشفق الامير الرضي واركان دولته من ان

يتفاقم الامر ويتراكم الشر ويعضل حادث الداء وينضب باقي الماء
فخوطب فايق في الاستمالة وقوبل عثرته بالاقالة واستنهض الى
بخارا للاستظهار على سد الخلل وتعديل الميل وسرب عنها
بعد حسن القبول والاقبال وازاحة العلة بالاموال الى سمرقند
فلم يرعه الا خبر بغراخان وهو الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة
وقد استخفه اليه قوادم الطير ركضا لم يبل فيه حماما ولا غمضا
فولى فايق من بين يديه هزيما ولم يلو على تعرف الحال مقيما وجعل من
كان معه من اصحاب السلطان عرضة للسيوف وفريسة لانياب الحتوف
وتوافقت الشهادات على ان انهزامه عن مواطاة منه لبغراخان على
آل سامان فعل من لا وفاء يزعه ولا حياء يردعه ولا نعمة تحفه
ولا حرمة تكفه وسار كما هو حتى اقتعى بعقوة بخارا فراع السلطان
بالداهية الدهياء والخطة النكراء والقضاء المبرم من السماء حتى
اضطره الى مفارقة الدار والتباعد بنفسه للاستتار

ذكر ورود بغراخان بخارا وهجرة الرضي عنها وانصرافه ثانيا اليها بعد قفول بغراخان عنها

ودخل بغراخان بخارا فاستقبله فايق مختصا به ومنخرطا

في سلكه وكثرا لسواده وطلبا إليه لين قياده كأنهما كانا على
ميعاد وتلاقيا على سابق صحبة واتحاد ولما استقرت الدار
به قرارها استأذنه فائق في النهوض إلى بلخ لاستنضاء فيئها إلى
ولايته وإثارة أمواله لخزانته فأذن له فيه فسار إلى الترمذ وبعث
بعثا إلى بلخ فاحتاط عليها ونصب بها من يجبي الأموال ويدبر الأعمال
واهتبل الرضي فرصة البروز من مستتره في بزة التنكر حتى عبر
النهر إلى آمل وقد هاجر إليها أمامه عدة من خواصه وحجابه وغلمان
داره عابرين حائرين فاعتدوا مقدمه عيدا وظنوا أنهم أنشئوا
خلقا جديدا وتلاحق بهم مزيد من أبناء الهجرة فنموا عدة وعديدا
واعتمد الأمير الرضي أبا علي البلعمي للوزارة وضبط أطراف
ذلك القدر من الإمارة فعجز عن التدبير لضيق الحال والمجال
وانسداد وجوه الأموال وتزايد عدد المهاجرين من الرجال وقد كان
نفي عبيد الله بن عزير إلى خوارزم بعد صرفه عن الوزارة وأمر الرضي
بالكتاب إليه في استنهاضه لاستئناف الاعتماد عليه فيما كان
يليه واستكفائه المهم منه وفيه فبادر إليه مغتنما خدمته في
تلك الحال ومتوصلا إلى ترضيه بوجوه الاحتيال وقد كان الرضي
من لدن نجوم الشر واستطارة شرره بأعالي ما وراء النهر من

جهة الترك يكاتب أبا علي محمد بن محمد بن سيمجور وهو الملقب بعماد الدولة
والمعتمد لحياطة الملك وحراسة البيضة في الاستنفار والاستمداد
ويتلطف له في التجشم للجهاد وتطهير تلك البلاد من ذوي البغي والعناد
بعد أن سامحه بأموال خراسان وأغضى له عن ارتفاعاتها ترضيا
له وتحسيما للأمنية واستبقاء للصنيعة عنده وطمعا في الانتفاع
بشأنه والاستظهار بمكانه فقعد عن الاستعداد للنهوض والاحتشاد
للبروز حتى استغرقت مواعيده شهورا عدة ثم نهض من نيسابور إلى
سرخس ومنها إلى مرو وفي مثلها من المدة يتربص أثناء ذلك زحفة القوم
وتغلبهم فيشاطرهم الملك على حاجز النهر فيكون له ما دونه ولهم
ما وراءه وكان اتصل به وبخاصته طائفة يزينون له هذا الرأي
ويحلونه في عينيه ويجلونه في معرض التصويب عليه تقربا إليه
ويوجهون إليه أنها دولة قد تمت أيامها وحان أن تنوح عليها أصداؤها
وهامها لاستمرار العثرات عن الأطراف بها وانثيال الفتوق من
كل وجه عليها وأن المعنى بنصرتها مخذول بخذلانها ومحكوم عليه
لإدبار زمانها وهي قواعدها وأركانها فلما استفرس ذلك اللطف
بآمل انتظار كتب إليه بأن الخفاء قد برح والبلاء قد برح وأن له
أن ينتاش بعز الأحدوثة في مظاهرته ولا امتداد بسلفه الذين هم

صنائع دولته ودولة آبائه في طاعته ونصرة دعوته وكفى الاذى
عن وجهه وردّه الى دار قراره ومعشش اوليائه وانصاره فقد قطع
طمعه الا منه واستشعر الياس الا من لدنه وقبل هجوم
بغراخان بخارا ما واصله بكتبه في الاستصراخ والاستغاثة
ومجاوزة التلطف الى التضرع في الاستنفار والاستجاشة فمن تلك
الكتب فصل حفظته عن انشاء ابي علي الدامغاني وهو
وانما تحتاج الدولة الى حماتها اذا قصدها من يزعزع راسياتها او ثابتها
فالله الله في هذه الدولة فقد جاءتك مستغيثة ايامك الان بك
وكان تأثيره فيه تأثير الرخاء في الصخرة الصماء لا حرش ولا حك
ولا شق ولا شك وفي تضاعيف ذلك فراش الدالة في الاقتراح
يستزيد ترتيبه في المخاطبة على ما كان يخاطب ابوه وغيره من
اصحاب الجيوش به ولم يرض بذلك حتى اقترح الجمع له بين التلقيب
والتكنية على العنوان منسوبا الى مولى امير المؤمنين وانما ورثه
آل سامان وقابل الرضي جميع ذلك بالايجاب ووفاه بما اشتهاه
من تشريف الخطاب وقد كان يقترح ذات يوم على لسان خادم
للرضي ورد عليه رسولا يعرف بارسطاطاليس ايام مقامه
بآمل زيادة على المبذول له فجرى مجرى الشطط والمحال فقال

فصل من نثر ابي علي الدامغاني

ايها الامير ان ذلك السلطان اليوم بحيث لو اقترحت عليه مخاطبتك
بالتأمير لفعل ولكن وراء اليوم غد فاختر لنفسك ما هو اجمل
بك وازين في الاحدوثة عنك فحالت عند ذلك العيون ان تصوب
والقلوب ان تذوب واستمرت القسوة به فلم يزد على وعد مطال
وتسويف ومطال ثم ان الله تعالى كفى الرضي شغل ما دهاه
ونصره وآواه واعاده الى الخطة ومثواه وختم بالخير عقباه
واسلم الغادر لما كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد

ذكر انصراف الرضي الى بخارا بعد جلاء بغراخان عنها

واتفق ان مست بغراخان علة استوبل لها المقام ببخارا فانزعج
عنها عائدا وراءه ومعاودا هواءه وعمد اهل بخارا الى نفاضات
عسكره فطحروهم طحرا ودحروهم دون حوايجهم دحرا وبادر الاتراك
الغزية على اثره قتلا وطردا وعركا وطحنا ولم ينفك يمضي
على الاحجام والانهزام على ما به من الم السقام حتى ذاق كاس الحمام
وحين احس الرضي بانجفاله على حاله ابتدر العبور الى بخارا فيمن
انثال اليه من حاشيته ورجاله فتباشر الناس بما اتاح الله من
عوده الى دار ملكه وقرار عزه تباشير الصيام بهلال الفطر

ودوى المحول والاعدام باستهلال القطر وصفت له بخارا وسمرقند
وما صاقبهما من ولايته وسائر مملكته ولما رأى ابو علي استقام
له الامر وسقط من ناجم الشر وخمد من نائرة الفتنة التي قدرها
صماء لا تسمع ودهياء لا تنقطع وانضاف الى ذلك ان بغراخان
لما القى عصا القرار ببخارا كاتبه على الرسم الذي كان ولاة خراسان
يكاتبون اصحاب جيوشهم بها غير واف له بالشريطة التي كانا تعاقدا
عليها وتواصيا بها من النزول على رتبة التماثل واقتسام جانبي
الملك على حكم التناصف والتعادل سقط في يده وفت في عضده
وذهب عليه امره واظلم عليه رايه واسف (?) الاختيار عن خلاف تقديره
وانكشاف العواقب عن ضد ما اجاله من قداح تدبيره فاستشار نصحاءه
فيما دهاه واستقدح آراءهم فيما عراه فاشاروا عليه بمعاودة التقرب
واستيناف التلطف واحتيال ما يزيل عنه عارض الوحشة ويمحو
سمة المعصية ويرد خلل التقصير في الطاعة فاعد من صنوف
الاموال والهدايا ما رام ترضيه به واستمالة قلبه عليه وسنح
لفائق بعد احساسه بعود الرضي القرار (?) ملكه ان ينهد الى بابه
متغلبا عليه ومتحكما على رسمه فيه وقد كان دها الرضي من جهته
مثل ما دهاه من جانب ابي علي تصامما عن ندائه وتقاعدا عن فنائه

وتعاميا عن فرض طاعته وولايته فضرب الرضي وجهه بوجوه حجابه
ورجال بابه وناوشهم الحرب بغلمانه وكفاة اعوانه حتى استلحمت
العدد الجم من الفريقين وفرشت الفضاء بالقتلى من الجانبين
ثم انفل عنهم هزيما وجشم مركب النجاء حرصا على النجاة هشيما
فعبر ابعض الاطراف وتلاحق بهم من اخطأته ظباة السيوف وحلق
الاسار من اصحابه فانحدر بهم الى ابي علي متفيئا في حبله ومنخرطا
في سلكه ولائذا بذمته ومستذريا بظل طاعته ووافق ابو علي
منه منيته التي خطبها على الدهر باقتراحه ويعد همه على الحادثات
احد سلاحه واستقبله باهل عسكره على اتم اجلال واعظام واعم
اكبار واكرام واحسن ترتيب وترحيب وبشر رقيق وبر خصيب وتنسم
بمكانه روح الغنى عن الرضي فصرف اليه ما كان اعده له من الهدايا مفصحا
بالجفاء والخلاف ومصرحا بالتمرد والانحراف وتحالفا على الصفاء
والوفاء والتظاهر على الاعداء ونهضا الى نيسابور للاستعداد وتخمير
الرأي في حسم الفساد ولما يئس الرضي من صلاحهما له ودنو (?) الاستعلاء
عليهما والانتصاف منهما بمن يستند باسه ويجد في اللقاء مراسه
فوقف به التدبير على الامير ابي منصور سبكتكين لما توسم فيه من امارة الخير
باعتكافه على غزو الهند احتسابا لثواب الله تعالى وادخارا الكريم القربة

ثم وصل الاعتذار

الى الله فارسل اليه ابا نصر الفارسي النايب عنه بنيابة وكتب
على يديه بذكر ما اعتياه من الداء بمكان موليه ابي علي وفايق
وخطبهما على دولته وقصدهما اياه في نفسه ومملكته واستنشائه عليه
بان تغلبات جوزته غير راجعين الى حشمه ولا راعيين لحق نعمه ولا مستمسكين
من الحياء بعصمة وان الذي دهمه من امرهما قد سد عليه وجه
الخلاص وطريق الانتصاف الا من جهته وما يرجوه من معونته ولطف
القول في استدعائه وتطبيعه في جمال ما يتحلفه من نصرة اوليائه
بفرط قوته وغنائه فصادف فصول الكتاب والرسول نفسا منه
مرتاحة لاجابته منشرحة لطاعته تواقة الى مقام الجمال بارتهان
رضاه وضوافقته وبادر بالعبور الى ما وراء النهر للقاء الرضي ومساهمته
واستمهاد المقصود من رايه واشارته ونهض الرضي الى ناحية
كش فخيم بها على موعده ووصل اليه الامير سبكتكين فالتقيا
هناك على احسن ما سمع به في مثله من تسوية المواكب وتعبية الخيول
والكتائب وقد كان الامير سبكتكين يستعفي لشيبته عن منزل
الخدمة وملتزم للارض على رسم الطاعة فاعفي عنه اكتفاء بصدق
العناية والرعاية منه حتى اذا اختلطت الخيول وامتدت الصفوف
واصابت عينه صفحة وجه الرضي اخذته روعة الملك وابهة العز

للنزول والتبرع بما كان يستعفي منه قبل الوصول فتلقاه الرضي
بانواع الاعظام والاكرام ونهاية التحفي والانعام وجرى مشهد لم يسمع
بمثله في الفخامة وتباشر الخاصة والعامة وامر الرضي باقامة
ما وجب اقامته من صنوف الانزال واتباع ذلك بما يصلح اتباعه من طبقات
الرجال وسأله بعد ذلك ان يتفرغ له بنفسه ويصرف الى قصد ابي علي
وفايق غزوه وكفاية شرهما عنه فضمن له حسن الطاعة وبذل الوسع
والاستطاعة واستاذنه في الانكفاء الى وطنه ريثما يجمع متفرق
الاهبة وينظم منتثر العدة ثم يواجه الخطب بجد جديد وحد حديد — وصل التوجه
وباس شديد ورجال يموجون في بحار من حديد فاذن له وصرفه وامر له
من الخلع الفاخرة والاحبية الباهرة بما ضاهى جلالة قدره واكد
الثقة بصادق وعده ورجع كل منهما الى مكانه واقبل على استصلا — ح
شانه ومحادثة سيفه وسنانه وورد على ابي علي من ذلك ما ابهم
عليه وجه التدبير وسد عليه باب التقديم والتأخير وجعل الراي
شورى بين اصحابه فيما كثر له الامر عن نابه فكانت زبدة محضهم
مكاتبة فخر الدولة ومعاقدته ومصادقته ومعاهدته وتأبيد حاله
في جانبه يرجي ليوم العسرة ونائبة الليل والنهار فارسل اليه
ابا جعفر بن ذي القرنين بما عرض من تخفيف خراسان وافراد الصاحب

ملاطفة في السنة

بمثل ذلك طمعا في حصول الغرض المقصود من انجاحه على يده وحسن
سفارته ووساطته ❊ وحدثني ابو جعفر انه دخل على الصاحب
فعرض عليه ما كان صحبه ثم قال مخاطبا غير صاحبه مثلنا في حمل هذا
التافه الطفيف الى الصاحب الجليل مثل من يستبضع التمر الى هجر
فقال الصاحب قد ينقل التمر من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
الى هجر لا للحاجة اليه ولكن للتبرك به ❊ وسعى الصاحب لتمهيد
الحال وتوكيد اسباب الوصال حتى تمت الالفة واشتبكت العصمة
ودرت المحالبة واستحكمت الصداقة ❊ وقد كان مامون بن محمد
صاحب الجرجانية وابو عبد الله خوارزمشاه قد احسنا التقرب الى الرضي
ايام الخيبة الى امد بما ساعدهما الوقت عليه من مال ورجال
فعرف ذلك لهما واحب ان يجزيهما عما خدماه به وقدماه من قديم الطاعة
له فجعل نسا بن سهم مامون بن محمد وابيورد بن سهم خوارزمشاه وعقد
لكل منهما على عمله فانهض كل واحد منهما من يقوم بضبط عمله
وتدبير ما اضيف به فافرج ابو علي لمامون عن نسا لحال في المودة بينهما بلغ
قديمة واسباب للاتحاد وكيدة ودفع ابا عبد الله خوارزمشاه عن
ابيورد اعتلالا بانها ولاية اخيه ابي ابراهيم وانه لا يمكنه النزول
عنها الا بعوض له منها فامر بطرد اصحابه عنها وتسليم دونها

فاسر ذلك خوارزمشاه في نفسه الى ان تمكن من الفرصة في امره فاشتفى
منه على ما سنذكره عند الانتهاء الى ذكره ❊ وطلعت خلال ذلك
رايات الامير سبكتكين من غزنة على ما كان سبق من وعده وجمع
واحتشد واستمد واستنجد وقام في الاحتياط والاستظهار
وقعد وساق امامه الفيول التي ملكها على ملوك الهند في غزواته
ومقاماته وعبر الرضي الى الجوزجان والتقى مع الامير ابي الحرث
الفريغوني واليها واقام الى ان وصل الامير سبكتكين ولحق به الشار
ومن جرى مجراه من زعماء البلاد في طبقات الاجناد فاجتمع سواد شرقت
بهم المسالك والمذاهب واجدبت عليهم المراتع والمشارب فنهض
ابو علي وفائق من نيسابور الى هراة وبها ايلمنكو غلامه وصاحب جيشه
فخيما بها مدافعا عنها ومراميا دونها وضوى اليه من كان مقيما
من جهته بمرو الرود وبادغيس وغيرها اخذا بالحيطة واحترازا من الغرة
وسار الرضي ثانيا للامير سبكتكين حتى اناخ بناحية بوغ وارسل عند
ذلك ابو علي الى الامير سبكتكين يذكره الحال التي كانت بينه وبين ابيه
من المواثيق المهيبة والحرمات الوكيدة وما استمر عليه بعده من سيرته
في الاتحاد والوداد والاشتراك والاشتباك ويسأله ان يتوسط
الامر بينه وبين الرضي على ما يجلو حزازة قلبه ويطفي حرارة غيظه

ويسترد شارد اناته ويستسمح جانب مرضاته محتجا عليه بما
يستصوبه في حسم الداء وتسكين الدهماء وتأليف الأهواء فاحسن
الأمير سبكتكين الإصغاء الى ما سأل وشد النطاق لما التمس
ومال بجملته الى الاستصلاح ووضع السلاح على عادته في كراهة
الفتن واماتة الأحقاد والإحن وسأل الرضي في مجالس
عدة شفاها ورسالة ان يأخذ بكتاب الله تعالى في العفو والغفران
واقالة العثرة بفضل البر والإحسان ايثارا للذي هو اقرب للتقوى
واحمد في البدء والعقبى ولم يزل به على اتصال نفرته واستعجال حمرته
حتى سمح بالإجابة واسمح بالعفو والإقالة على ان يفتدي من ارش عصيانه
بخمسة عشر الف الف درهم يؤديها في ثلاثة انجم على رسم الموافقات
وكتب الأمير سبكتكين بذكر ما استتم من الصلح على يديه وانتظم من عقد
الصلاح بسعيه ووكل وشاور اصحاب ابي علي ووجوه قواده
في اقتسام هذا المال بينهم معونة له على ما لزمه من الغرامة واغتناما
لما يتجوز عليه من السلامة فصادف ذلك حين رشدا منهم ونزقا
من احداثهم ذهابا منهم بانفسهم عن الاذعان للمخافة والرضا بالصلح
الجامع لمصلحة الكافة وثار من ذؤبان الأكراد وسرعان الصعاليك
طائفة الى معسكر الأمير سبكتكين فاختلسوا منه غلاما له كان يلي امر

الصلح على مال

فتنة العقد صح

فنكلته وقتلوه في عدة ممن اصابوا غرتهم وانضاف الى ذلك ان
رسول الأمير سبكتكين لما كرر وراجعه بجواب حملة وافق ابا الفضل
الزيادي احد انجاب ابي علي موكلا ببعض تلك المهام فقال له
هيهات ان شيخك لفي ضلال وان صلحك لا ينطق الا في مجال
ماخر باحلاس الصلح وابنائه ما دامت هذه العيون حافظة سوادها
والعواتق حاملة نجادها يعني به قول القائل

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم

فلما نمت هذه الأخبار الى الأمير سبكتكين استشاط غضبا وقضى
فزاد به القوم عجبا وعزم على المناجزة واستخار الله في صدق
المجاهدة وارسل الى ابي علي ان خذ في اهبة سيفك وسنانك
فقد جئتك بما لا يغنيك منه غير حدة الحسام وثبات المقام وزحف
الى الفضاء الرحب بغزنه فرتب الخيول مقانب ومناسر وعبى الجيوش
ميامن ومياسر وشحن الصفوف بفيلته المجففة كأنها شواهق اعلام
او طوارق غمام ووقف الرضي به وبالأمير محمود وكان في القلب مشحونا
بحماة الرجال ومحفوفا بكماة الأبطال

من كل اروع يرتاع المنون له اذا تجرد لا نكس ولا جحد
يكاد حين يلاقي القرن من حنق قبل السنان على حوبائه يرد

ترتيب العسكر

م

وسار فخيلت الارض سائرة والجبال مائرة والنجوم منكدرة
والسماء منفطرة وثار من وقع السنابك نقع اوهم كسوف النهار الشامس
او عود الظلام الدامس وقد كان ابو علي رتب جيوشه فسوى الامير
سبكتكين فجعل فايقا في الميمنة واخاه ابا القسم بن سيمجور في الميسرة
وثبت في القلب مع حماته وذوي الوفاء والحفيظة من ثقاته فكانوا
على الحقيقة جنس الطواويس من وميض الحديد ولمعان الحمر والبيض
واشرقت عليهم الشمس فبرقت لها الاحداق وتلألأت الافاق
حتى اذا تدانت الخطى بين الفريقين بدأت الفايقية بالحملة على ميسرة
الناصري فبددوا نظامهم وزعزعوا عن المقام اقدامهم وثنى ابو القسم
بن سيمجور بمثلها على من قابله فصنع صنع الاخرين وحمل دارا بن شمس
المعالي قابوس بن وشمكير من قلب ابي علي فظنوه يسعى لشرف
المقام او رعاية حق الانعام حتى اذا بلغ بين الصفين وثنى ظهره
بترسه واقبل على صف الامير الرضي بوجهه فاستامن اليه ووقف
للقتال بين يديه وانخزل اصحاب ابي علي لما اخفره من الذمة وقطعه
من العصمة اشفاقا من مواطاة اضرابه اياه على مثل صنيعه
وعندها حمل الامير محمود على قلب ابي علي في سواد فدح بثقله
كاهل الارض وسد بقسطله مناكب الافق فلم يلبث احد من

اصحاب ابي علي لكفاح او مدافعة بسلاح بل انفضوا عن موقفهم
انفضاض العقد خانه النظام وانسل منه الفرد والتوام وجعلوها
هزيمة انتكست بها الاعلام وغصت بمجموعهم الاباطح والاعلام
وركب الامير محمود اكتافهم بضربات تفلق الهام انتصافا وتسقي
النفوس سماما ذعافا فلم يفته الا من عاذ بتلك الجموع ومن
خفف عن ظهره ثقل الجواشن والدروع وغنم اهل العسكر اموالا
لو افتدي ببعضها عن الصلح المعقود لبقيت الوجوه بمائها ووضعت
الحرب تلك الاوزار عن ابنائها وسار ابو علي بالفل من اشياعه
الى نيسابور فاقبل بها على جبر الكسير وريش الحسير استعدادا للانحياز
عنها قبل رهق اللحاق وموتنف التلاق وخيم الرضي والاميران
سبكتكين ومحمود بظاهر هراة ريثما استجمت ركابهم ووفرت
على الاولياء رغائبهم ولقب يومئذ الرضي الامير سبكتكين بناصر الدولة
ووارث ملكه السلطان بسيف الدولة وقلده قيادة الجيوش
سادا مكان ابي علي به وسار الى نيسابور في هيبة اشعرت النفوس
مهابة وملأت قلوب الاعادي كآبة ورجال كالقروم المصاعب
وافيال كالاسود مخطوطة بالاساود وفي ذلك يقول ابو الفتح
البستي بسيف الدولة اتسقت امور رأيناها مبددة النظام

بسماء وحمى بني سام وحام فليس كمثله بسام وحامي
وسيجري ذكره آنفا بسيف الدولة الى ان افاء الله الملك منه الى مظنته
الاستحقاق وشهره بلقب اليمين في كور الآفاق ثم ارتحلوا على
وجه نيسابور ولما تسامع ابو علي بنبائهم فارقها متحدرا الى جرجان
على الوثيقة التي كان اخذها على فخر الدولة في بذل المشاركة وصدق
المساهمة حتى الم بها وارسل ابا نصر الحاجب اليه في تقرير حاله
واستدعاء معونته بذاته وماله واستنتاب الصاحب في تنجز
ما كان يعده لنفسه على الايام من بركة وصاله ويعده لها من ثمرة
وداده فامر بمال يقام مياومة لوكيله وبالفي الف درهم من ارتفاعات
جرجان لاهل عسكره واقام هو وفايق حتى انحسر عن غرة الربيع
قناع الشتاء وقد كان انضم الخوف عند انحدار الامير بن سبكتكين
وسيف الدولة الى نيسابور بعبيد الله بن عزير الطوسي انحرافا
عليهما صورة لديهما من اصابتهما اياه بالمكروه علما دعته النصيحة
اليه من مناقشتهما في بعض الاعمال والاموال فنهض الامير سيف الدولة
محمود على اثره اظهارا للبراءة واستشفاعا للطاعة واستيماما
للخدمة وازاحة لعارض الظنة وطار عبيد الله بن عزيز بقوادم
العقاب تحت خوافي الليل الى مرو على عوادل الطرق اشفاقا على

نفسه من عادية التضريب فعل المتهم المريب وتلقى الرضى مورد سيف
الدولة باتم اقبال واشبال وصرفه وراءه على احسن حال وانعم بال
وارتحل العقبة الى مرو لاحقا بوزيره ثم منها الى بخارا حتى استقر
بها على سريره وقد كان الامير سبكتكين وسيف الدولة لما وصلا
الى نيسابور فرشا مهاد العدل ورفعا عماد الامن وتتبعا رسوما
كانت جائفة من قبل فنسخاها ببث الرافة وحسم المخافة وارتياد
مصلحة الكافة فانشرحت الصدور واستقامت الامور وامنت
الطرق واتصلت القوافل والرفق ثم سنح للامير ناصر الدولة
سبكتكين ان ينقلب الى هراة لمطالعة ما كان برسمه فيها واقام
سيف الدولة بنيسابور على قيادة الجيوش وزعامة الجمهور وقد
كان ابو علي طمح الى زيادة من المال تحمل اليه معونة له على اقامة
عسكره من الري فكتب اليه ابو نصر الحاجب باني عرضت الكتاب
وقررت المراد وكان من جواب فخر الدولة ان مثل الملوك مثل الا نهار
العظام تصطفق مياهها وتزخر شعابها فيهم الناس ملتقى
عبابها ومصطفق امواجها ويغفلون عن عدد الجداول التي
تغترف منها والسواقي التي تتشعب عنها ولو انا قدرنا على مثل
خراسان لاستضفناها الى ما نليه من سرة الارض وواسطة الاقا ليم

نسخة كالملوك

تكنا سمحنا بما تيسر والعذر ظاهر فيما تعذر فاستوحش
ابو علي من جوابه واستشار فايقا ووجوه قواده في تدبير الامر
بصوابه واتيانه من بابه فاختلفت اراؤهم بحسب اجتهادهم في
المشورة ورويتهم في استشفاف العواقب المستورة فاشار
بعضهم بلزوم جرجان واستخلاصها واقامة الخطبة للرضى
بها والكتاب اليه بالطاعة وضمان الاتاوة اذ كانت تلك الولاية
قد اعيت صيد الملوك وصناديد القروم على خطبتهم لها بتهم العساكر
وطلابهم اياها بسمر الرماح وبيض البواتر وادالتهم عليها مصونات
الرغايب وتغريرهم فيها بكرايم النفوس والحرايب وقد حصلت
له عفوا صفوا وانفتحت عليه سهوا رهوا وبيع العين بالضمار
محال واقالة النقد بالشي النسي ضلال واشار فايق بمناهضة
الامير سيف الدولة ومناهضته لاعتراض الفرصة عليه بتفرق
الجموع عنه واخلال ابيه منه ومخالفه هوا جرجان طباع
عسكرهم ونكايته فيهم فعسا يتمكن لهم الفصل ويحتدم عليهم
الحول فوافق هذا الراي جمهور العسكر لحرصهم على الوطن ونزاعهم
الى الاهل والسكن فاتفقوا على هذا الراي وتطابقوا على
الانكفاء واضطر ابو علي الى مساعدتهم واتباع ارادتهم

المراثي للصاحب بن عباد

وعند ذلك ورد الخبر بمضي الصاحب بن عباد لسبيله وكان
معنيا بمصالح ابي علي وتحسين اثاره ولديه اشارة على فخر الدولة
باغتنام جواره ومعاونته على ثاره فكره الى ابي علي تعبيه
فضل المقام واغراه بتعجيل الانتقال ولما استاثر الله بالصاحب
اكثر شعراء العصر في مرثيته فمنها قول ابي محمد الخازن

يا كافي الملك وفيت حقك من مدح وان طال تمجيد وتابين
فت الصفات فما يحكيك من احد الا وتزيينه اياك تهجين
هذي نواعي العلى قد قمن نادبة من بعد ما ندبتك الخرد العين
تبكي عليك العطايا والصلات كما تبكي عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف اقعدهم واستيقظوا بعد ما نام الملاعين
لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا مضى سليمان فانحل الشياطين

ومنها قول ابي سعيد الرستمي

ابعد ابن عباد يهش الى العلى اخو امل او يستماح جواد
ابى الله الا ان يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معاد

ومنها قول ابي عيسى المنجم

والله ما افلحتم ابدا بعد الوزير ابن عباد بن عباس
ان كان منكم وزير فاقطعوا ذنبي او كان منكم رئيس فاقطعوا
راسي

ومنها قول أبي العباس الضبي وقد اجتاز بباب بعد موته

أيها الباب لم علاك اكتئاب * أين ذاك الحجاب والحجاب
قل بلا رقبة وغير احتشام * مات مولاي فاعتراني اكتئاب
مات من كان يفزع الدهر منه * فهو الآن في التراب تراب

ومنها قول أبي الفتح البستي الكاتب

مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده * كريم يروي الأرض فيض غمامه
فقدناه لما تم واعتم بالعلى * كذاك كسوف البدر عند تمامه

ومنها قول أبي منصور الثعالبي

ألا يا صاحب الدنيا * وعين السودد اليمنى
أما استحيى أبو يحيى * لقبض العالم البحري
لئن ختمت بك الدنيا * لقد فتحت بك الأخرى

ورحل أبو علي من جرجان على سمت جوين غرة شهر ربيع الأول سنه ٣٨٥
سنة خمس وثمانين وثلثمائة وتقدم فايق على طريق اسفراين حتى
إذا قارب حدود نيسابور عدل إليه واختلط به وساروا مسير
المستعدين للحرب المجدين في الطعن والضرب وبلغ سيف الدولة
خبرهما فكتب إلى الأمير سبكتكين بإقبالهما وبرز إلى ظاهر البلد
في خف من العدد وخيم به على انتظار المدد فأعجلاه عن المراد

وناوشاه الحرب قبل وصول الأمداد فأضرم عليهما نارها وباشر
بنفسه وخاصته أوارها من حيث ترحل زاد الضحى إلى أن ألقت
ذكاء يمينها في كافر فتعصفرت أرض الوغا بدماء القتلى وأضحت
مناسم الفيول رجالا كانوا أركانا للصفوف عند اشتجار الزحوف
واختلاط الأسنة والسيوف وهم أصحاب أبي علي بالانخزال
جبنا عن النزال ثم تداعوا مناص طلبا للخلاص فحانت حملة وافقها
القدر ولحق سيف الدولة بمعظم جيشه إلى مناخ أبيه الأمير
سبكتكين في أمان من لباس الظلام أرصادا للخصوم بيوم الكرور
على الثار وإسلامهم لقدار الأقدار وتخلف عنه ما أعياه استصحابه
من أثقال وفيلة ثقال وعجز عن صحبته طائفة من رجال الهنود
وسائر أفناء الجنود فذكت عند ذلك شعلة لأبي علي أطمعته
في استقلاله وعوده إلى المعهود من حاله لكن الله تعالى قضاها
سببا لاجتثاثه واستيصاله وأشير عليه عند المقام بنيسابور
أن يتبع آثار الأمير معجلا لهما عن الارتياش والانتعاش
وقوة الاستنجاد والاستمداد فأرته بها فعل من كلت بصيرته
وانحلت مريرته وعمي عليه قصده ونبى إليه جده وأخذ يعتل
بصفورة يده وخلو خزانته وإشفاقه من خذلان عسكره

اياه ان دعاهم الى البراح وسامهم خطة الكفاح فاخذ كتب
الى بخارا معتذرا عن جنايته ومتنصلا من بادرته ومستقيلا عارض
عثرته ومستميحا قبول معذرته وارسل الى الامير سبكتكين رسالة
الواهي جلده المتناهي جمده المتخاذل لسانه ويده يحيل بالكشفة
التي استمرت بالامير سيف الدولة على فايق وساير اهل عسكره لاكراههم
اياه على مفارقة جرجان ومعاودة خراسان وانه لو وجد الى مراده
سبيلا او في ذرى اختياره وهواه مقيلا لما التفت لفت خراسان
ما عاش تفاديا عن وحشته وتحرزا عن كراهته وساله ان يهب
له ثانيا ويستوهب الرضى خطاه وعثاره فلم يزده برسالته الا
التطميع في اغتياله والتنبيه على اختزاله والتضرية على اقتناصه
واياسه من فوته وخلاصه وبث الامير سبكتكين كتبه الى من تفرق
عنه في ديار مملكته واطراف ولايته من قواده واجناده في استنهاضهم
الى مخيمه واستعجالهم الى حضرته وانهض ابا نصر بن زيد الى الامير
خلف بن احمد والى سجستان يحثه اللحاق به وكتب الى والى الجوزجان
ابي الحرث الفريغوني بمثله وطالع حضرة الرضى باستعداده وانتظاره
ما يرد عليه من مثاله فكتب الى القواد بنواحي خراسان بالبدار اليه
وتتابعت الامداد من كل جانب اليه فصار للامير سبكتكين جيوش

لو راموا الحق لاستنزلوا طيته او وردوا البحر لابدوا قرارته
وسار الى انتقام مسير الليل غابت كواكبه والسيل ضاقت مذاهبه
وقد كان فايق عدل الى طوس يكاتب الامير سبكتكين مداهنا ويطمعه في الانحياز
اليه مهادنا فيتلقى وجهه بمثاله ويحيل عليه بمحاله وتكفل اميرك
الطوسي احد الامرا الشابودية لابي علي بين الطاعة والمناصحة والموافقة
والمنافقة تقدم رجلا للورود ويؤخر اخرى للقعود فارسل
ابو علي ابا القسم الفقيه اليهما لاستمالته وتحذيرهما قدر الصلاح له
فنهض اليهما واخذ له الميثاق عليهما وكتب اليه يستعجله اللحاق
بهما فسار ابو علي وتلقاه فايق واميرك بناحية الطاران فاتفقت
كلمتهم على النظام والنظر فرد خلصت نياتهم في التساعد والترافد
والمحبة وعسكروا بقرب اندرخ فخيموا به وقد كان ابو القسم
اخو ابي علي قد عتب عليه لعدوله بولاية هراة وثمرات اعمالها عنه
الى ايلمنكو غلامه وتقصيره به فيما كان يخطبه ويقترحه عليه من
امثالها على وفائه له وولائه اياه والتزامه حكم المشاركة له في كل ما نابه
وعراه فتقاعس عنه عند نهضته من نيسابور اعتلالا عليه ببقية
من اشغاله حتى اذا تنفست مدة انتحاله ايسه من وصوله ووصاله
احوج ما كان الى عونه ونضاله فزاد ذلك في انخزاله وكسوف باله

وحث الامير سبكتكين الخيول في قصد ابي علي حتى اناخ بطوس
مقابلا لمعسكره فثارت فتية تلك الخيول وشبان الجنود الى
النطاح والتجالد فبقوا على ذلك سحابة يومهم فلما قبض الليل
سالفة ابصارهم عادوا الى مضاربهم وشاور ابو علي وجوه
قواده في معاودة الحرب فاشار عليه امير الطوسي وذوو الحصافة
منهم بتلجي شعب الجبل والاستظهار على الامير سبكتكين بمناعة ارجائه
وغزارة مائه وسعة العلوفة من ورائه ومماطلته الحرب على اغرار الرجالة
الطوسية باطراف عسكره مبيتين ومحاربين ومغيرين وعابثين
الى ان يدركه الملال ويلحقه الفشل ويتفرق عنه الحشر فعندها
يناجزونه على بصيرة وقوة مرية واستماحة خيرة فشغب من
سمع هذا الرأي من احداث العسكر فقالوا ما لنا نطاول القوم وندافع
الوقت لا نعرف لنا سن انا نميل عن المصاولة الى المطاولة وعن
المبادرة الى المصابرة فها نحن نساقيهم المنية ونصبحهم منها
كاسا روية فانتقض عليهم التدبير وصار المامور هو الامير
ونشط العسكر عند انفلاق الصبح الى استعداد اللقاء
والاحتشاد لحدة الهيجاء واقبلوا على تسوية الصفوف مشحونة
بالالوف كاجام الليوث من ذوابل القنا والسيوف وحضر الامير

سبكتكين مواقف عسكره بنجب فيلته فحكت تحت التجافيف اطوادا
فارعة واسوارا متدافعة ودنا الفريقان بعضهم من بعض فلم يرع
ميسرة ابي علي الا رهج ثار عليهم من وراء قرية فرضتهم ذات اليمين
فاذا هم بالامير سيف الدولة في الطم والرم والليل المدلهم وتزلزلت
اقدامهم وضلت احلامهم وافهامهم وراوا ان قلب ابي علي قد حمل
على قلب الامير سبكتكين فصدهم على حملتهم تفاديا عن اقبال الامير
سيف الدولة بهم فمزقوا صفوفه ونفضوا عن الزحام صوفه فوقف
لهم الامير سبكتكين فيمن احتف به والتف عليه من خواص غلمانه
ورد حملتهم في وجوههم فارتدوا على ادبارهم وقد اطل سيف الدولة
عليهم من ورائهم فبقوا محصورين بين العسكرين واخذتهم السيوف
من كلا الجانبين وثار قتام خلط البعض بالبعض فلم تسمع غير
وقع البيض على بيض الهام في حطم الدبابيس ما بين الطلى والعواتق
وظلت خراطيم الفيول تسلب الفرسان من صهوات الخيول وتلحق
القاتل بالمقتول وبلغ سيف الدولة من الايقاع والايجاع
فيهم والانتقام منهم وصب السيوف عليهم ما لو سمع به رستم في زمانه
لرهته خرق عنانه وهذبته اداب سيفه وسنانه وفات المحصورون
بقايا المهج تحت غواشي الرهج وردايا الارواح من بين مشتجر الرماح

رج

فانجلت المعركة عن قتلى مصرّجين في الدماء وجرحى مطرّحين على
العراء واسرى آيسين من الفداء وركب سيف الدولة اكتاف الفلّ
فاسر منهم من قصر عن اقتحام شعاب الجبال وعمي عليه وجوه
تلك المغارات والمداخل وكان من جملة المأسورين ابو علي بغر الحاجب
ونحرير وارسلانك ابو علي بن نوشتكين وابا سعيد رجا سعف وفد
ابجيلي ونكهستار جعفر الديلمي فهؤلاء اعيان عسكر ابي علي ووجوه
قواده ووجوه اركانه واعضاده وسار ابو علي وفايق بين
مهاوي تلك الجبال ومصاعد تلك القلال الى ان اناخا بقلعة كلات
وهي التي تخفى الرياح بين نعافها وتزل الابصار دون ذوائب شعفها
فاضافهما بها اميرك الطوسي الى ان ظهر لهما عدد من سبق ومن لحق
وجملة من اجتمع ممن تفرق وكان ابو علي قد سرّب الفيلة التي
قبضها بباب نيسابور الى كلات في جملة ضبنته وكتب ابو علي بن بغرا
الحاجب وساير الاسراء يذكرون ان للامير سبكتكين استبقاهم
ومنّاهم ووصلهم وحباهم ووعدهم للافراج عنهم متى ردت تلك
الفيلة الى مرابط امثالها من مناخه وسالوه ان يفعل ذلك
تنفيسا عنهم وتخليصا لهم فتقدم ابو علي الى اميرك بردها والافراج
عنها ونهض هو وفايق على سمت ابيورد مصحرين عن تلك المضايق

فبعث اميرك تلك الفيول الى الامير سبكتكين وكتب اليه يريه انه المتقرب
بردها المتفرد بخدمة فاستنعم بذلك نيته واحبط على ابي علي
قربته ‌ وفي ذكر هذه الوقعة يقول ابو الفتح البستي

الم تر ما اتاه ابو علي ‌ وكنت اراه ذا لب وكيس
عصى السلطان فابتدرت اليه ‌ رجال يقلعون ابا قبيس
وصيّر طوس معقله فاضحى ‌ عليه طوس اشأم من طويس

فسار ابو علي وفايق الى سواد ابيورد على ان يقصدا كورة نسا
فسنح لفايق ان يعدل الى سرخس لرايٍ رآه فخذل ابا علي على الكره وسار
بمن معه من الغلمان فلما سمع ابو علي بنبائه ارسل اليه بانه غير مفارقك
على اية حال تصرفت بنا من اجداب واخصاب واحزان واسهال وان
ركوب هذا الطريق كان على ما سنح لنا بادي الراي من الصواب اذ قد بدا
لك في التدبير فاني تابع رايك ومهما اتا من ورائك فوقف له الى ان لحق به
وسارا الى سرخس ومنها الى مرو وحين تشاع الامير سبكتكين بخبر عدولهما
عن سمت ابيورد نهض على اثرهما واستخلف الامير سيف الدولة على ما فوض
اليه من اعمال نيسابور ضامنا عنه كفاية امرهما فقضيا اوطارهما
بمرو ثم اخذا في مفازة آمل الى الشط متحيرين بجدوبة المفازة
وصعوبة المفازة وانسداد المناهل وانبهام المسالك والقبا

عصا الفراق بينهما وأرسل أبو علي أبا الحسين محمد بن كثير وفائق
عبد الرحمن بن أحمد الفقيه وزيّنهما إلى بخارا في استعتاب الرضي
واسترضائه واستيفاء آثار الرعاية لحقوق موالاته وأوليائه
فأما أبو الحسين بن كثير فإنه صرف وراءه على وجه جميل وكتب إلى أبي علي
في تمنيته وتأميله ورسم له أن ينحرف إلى الجرجانية فيقيم بها إلى أن
يستأنف تدبير أمره بواجبه وأما عبد الرحمن بن أحمد فإنه أمر باعتقاله
ووضع في المجلس على أمثاله وندب من بخارا بعض المسودة بجنب
المأمون بن محمد والي الجرجانية ليتقدم بتقرير حاله وذكر ما انتشى من
الريب في بابه فامتعض فائق لما قوبل به رسوله وعزم على أن يعبر النهر
إلى ما وراءه ملتجئا إلى ايلك ومستصرخا إياه ومستعينا به على ما
دهاه وأشار إلى أبي علي بأن يساعده ويجمع إليه يده وساعده
فإن الغرض المقصود في طرحه إلى الجرجانية تفريق ذات بينهما في المساعدة
والمرافدة وليه اجتماع على الحال التي هي باليد الواحدة وأن الذي
نما فيه أيديهما من الخلاف على تلك الدولة لاضطرار كان أو اختيارا
يوجب الإغضاء عن تبعته والذهول عن نفثات أنيابه وحماته
فاختار أبو علي مباعدته على مساعدته ومجانبته على مقاربته
سترا الله فيما حكم به من صدع شمله وقطع حبله ووضع رجله

فليس لرحل حطه الله رافع وليس لأمر شاءه الله دافع
وافترقا عن مناخهما فأما فائق فعبر النهر إلى ما وراءه عادلا إلى ايلك
مستجيرا إياه وواصلا عروته بعراه فأنهض من بخارا على إثره بكتوزون
الحاجب فصادما بحدود نسف وولى كل واحد منهما صاحبه ظهره بعد
أن أبلى في اللقاء عذره فقبله ايلك أحسن قبول وقراه أحسن مقول
ومفعول وضمن له الوفاء بأمله ورده إلى ما استنزل عنه من عمله وأما
أبو علي فأخطأ الطريق وحرم التوفيق فسار متثقلا بما اجترحه من
العصيان خجلا مما فاته من فرصة البر والإحسان قد حملته يد القدر
بورود الحين والبوار وغمت عليه غياهب القضاء مذاهب الفضاء
فهو يخبط خبط عشواء مستبسلا للمقدور مستسلما لطوارق
المحذور ❊ أنشدني أبو حاتم الحنيفي المذكر مثل حاله

لبعضهم

إذا أراد الله أمرا بامرئ وكان ذا رأي وعقل وبصر
وحيلة يعملها في كل ما يأتي به مكروه أسباب القدر
أغراه بالجهل وأعمى عينه وسله من عقله سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه رد إليه عقله ليعتبر

ثم ومر أبو علي قدما على سمت الجرجانية إلى أن بلغ به المسير

هرارسف وهي قرية تقابل بلد خوارزم من الجانب الغربي فأرسل
اليه خوارزمشاه من اقام له نزلا وقدم له عذرا ووعد العبور
اليه غدا للمشاهدة وقضاء حق وفادته وقد كمن له زهاء الفي
رجل من افناء عسكره في خمر الغياض والآجام لاغتياله جنح الظلام
وحكى لي ابو علي الخشنامي احد ثقات ابي علي وكان قد نهض رسولا
من جهته الى ابي عبد الله خوارزمشاه انه انشده ابياتا لابن المعتز
ورسم تبليغها الى ابي علي على معنى النصيحة

اذا امكنت فرصة في العدى فلا تبد شغلك الا بها
وان لم تلج بابها مسرعا اتاك عدوك من بابها
واياك من ندم بعدها وتأميل اخرى واني بها

قال فرويتها له وذلك قبل استيحاش ابي عبد الله منه فقبلها منه
بمنة ثم ذهل عنها كأن لم يقرعها قط سمعه ولم يستودعها يوما الغفلة
من الدهر ذرعه ولم يعلم انها كانت رمز الايام له بارتقاب النوائب
واتقاء العواقب ولم يدر ان للاعمال وللافعال جزاء يحيق بأربابها
خيرا او شرا ومحسنا او مسيئا وغفل ليلته تلك عن الاحتراس
واقتدى بغفلته سائر الناس حتى اذا اثقل العيون كراها ونفه
النجوم سراها ضجت الآفاق بخفق الطبول وغطغطة الخيول

[illegible]

واحيط بالقصر الذي نزله ابو علي على قتاله او نيل المراد من استنزاله
فثار من حف حوله من غلمانه للدفاع وثارت جمرات المصاع وخف
بنفسه الى زعيم القوم يسأله ما خطبك ولماذا حربك فقال ان خوارزمشاه
امرني فتقرب اليه برفق الاذعان دون عنف الضراب والطعان فهو للفتنة
اطفى وللاحنة انفى ولباع الانتقام اقصر ثم انت بالرأي ابصر
فبادر ابو علي الى النزول فاستردفه الزعيم حتى عبر به النهر نحو صاحبه
وذلك قبل الفجر من ليلة السبت غرة شهر رمضان سنة ست وثمانين
وثلثمائة فأمر به الى بعض القصور معتقلا فيه وشد الطلب على اصحابه
وقواده فأسر منهم الاعيان والاركان وافلت ايلمنكو صاحب جيشه
بمن اتبعه نحو الجرجانية وتوهى في الافراد وخدم القواد من اقام بنوبة هرارسف
ابيح دمه فتفرقوا ايدي سبا في الاقطار كشوارد الامثال واعتقل
الباقون على صغار وخسار الى ان اذن الله في خلاصهم بوالي الجرجانية
مأمون بن محمد وذلك انه لما سمع بنبأ ابي علي وما ارتكب منه خوارزمشاه
اضطرب قلقا واضطرم حنقا وبات يرعى النجوم ارقا الى ان استتب
له التدبير عليه فرماه بعسكر جرار يستخفون مثاقيل الاعمال ويخوضون
مشارع الاهوال وينسفون رواسي الجبال ويستنزلون العصم
من شعف القلال وسار فيهم ايلمنكو في خواص ابي علي رجال

فدل أعينهم الحفائظ والإحن وأحرجتهم النوائب والمحن فهم يسعون
الى النار ونفي العار ودرك الثار فعبروا الى الكاث بمدينة خوارزمشاه
واحاطوا بها احاطة الأطواق بالأعناق وناوشوه الحرب من كل
اوب ودرب فظلت تلفح وجوه رجاله بجمراتها حتى اجلتهم عنها
مدحورين وحصلتهم في ربقة الإسار مقهورين ودمروا على
خوارزمشاه في قرارة بيته فأعطاهم بيديه ووصل الى ابي علي يحمل
ثقل قيده على كعبيه وتباكت حالاهما في رقعة من اديم النهار فصار
الأسير منهما اميرا والأمير اسيرا وكان ذلك على الله يسيرا
وتحمل ابو علي نحو الجرجانية في احسن شعار وحمل ابو عبد الله على
قتب عار بين خزي وعار فاستقبلهما مأمون بن محمد تقابل الحالين
بالإجلال وعومل ابو عبد الله من ضروب الإذلال بما جل عن المقال
واستنجح مأمون بن محمد عن محموده في اكبار ابي علي وإجلاله ومشاطرته
صنوف امواله واقام الخطابة بالعامة لرجاله حتى اشطمت احوالهم
وانسد بها خلال لمّهم واتفق ذات يوم وكان قد اتخذ مجلسا كأنما
عمل عليه صناع صنعاء تزيينا وتحسينا وتنضيدا وتنجيدا فاقترح
عليه الشرب لحفالة مسلة لطف اذ كان قد هجر الشراب وودعه
منذ زمان فلما اخذت الكؤوس مأخذها منهما اقترح احضار خوارزمشاه

فأحضر يحجل في قيده ولم يزد في جواب ما سئل عنه وعيّر به على الإطراق
وسمّر الأرض بالأحداق وجملة امره انه امر به فأذريت هامته عن منكبيه
فتدحرجت الى الأرض شيبته البيضاء كذلك يفعل الله ما يشاء
وصفت خوارزم للمأمون بن محمد فرتّب بها من اقام الخطبة برسمه وجبى
اموالها على حكمه وتابع كتبه الى الرضي متشفعا في امر ابي علي وساعيا
في تدبير امره بما يؤنس وحشته ويجبر خلته فخوطب هو وابو علي في الملتمس
بصحيفة المتلمس رضى بما ينطوي على حقد دفين وداء في الصدر دوي
فأم ابو علي بالمسير الحضرة السرير فلاحت له اماني قعد بها جده واصلد
عليها زنده فشخص نحو بخارا سائرا الى حتفه بقدمه وقد اغفلت الأيام
قلبه عن ذكر فعلاته وزلاته ليبلغ قدرا مقدورا وليقضي الله امرا
كان مفعولا ولما شارف بخارا استقبله الوزير عبد الله بن عزير
والقواد على طبقاتهم مهنئين مبركين ومضى فيهم الى السهلة ونزل بها
واخذ يلثم الأرض الى ان بلغ السدة ورفع الحجاب وسار امامه الحجاب
الى ان وصل الى الرضي فاستوفى ادب الخدمة ولبس ذل كفران النعمة
واستنزل بعقبه المنكوس بكبرا خرته وقواده حتى اذا نودي بدابته
للخروج من الدار عدل بهم الى بعض الحجر وسلك هو والآخرون
في القيود والأصفاد واطلق على الوقوف بالباب ايدي الأولياء والحشم

صحيفة المتلمس مثل يضرب لمن يحمل كتابا فيه حتفه

فطبقوهم بالسلب والنهب وسلخوهم بين كل مضيق ودرب
وخمدت حال ابي علي بوهن ذلك يوم تطامن فيه صورته واستقام صعره
ونضج له ثمره واعيا على ورده صدره كذلك كفران النعمة
لا يرضى الا بسخط صاحبه وابساء الزمان بانيابه ونوابه
رحمه الله من قال فلقد احسن المقال

اذا المرء لم يرض ما امكنه ولم يات من امره ازينه
واعجب بالعجب فاقتاده وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يوما ويبكي سنه

وقد كان الامير سبكتكين منيخا بمرو فلما بلغه ايقاع خوارزمشاه
بابي علي عدل الى بلخ فغنى بها على جملته في الطاعة وارتياد مصلحة الحال فيه
الى ان ورد ابو علي بخارا واوعز في بابه بما تقدم ذكره وطلع اثناء ذلك
كتاب الرضى عليه بما يهم به ايلك من انحدار غازيا الى حيازة ما في
ايدي عماله من اعمال تلك النواحي وسأله تجشم الخفوف في وجهه والعبور
لكفاية شغله متمما للصنيعة عنده في استحياء دولته واستبقاء
ملكه وحوزته فاستشار في ذلك وجوه نصحائه ووزرائه فتزججت
الاجوبة بين تبعيد وتقريب وتخطية وتصويب فلحزنه العزة
بالوفاء وهزته الحفيظة للنداء فعدل عن مشورة النصحاء الى

الصريمة العزيمة والراي واقبل على الاستعداد والاحتشاد
وبث كتبه الى ولاة الاطراف وزعماء البلاد بتعجيل الورود وتقديم
الوفود وعجل هو الى العبور قبل تلاحق الجمهور ومضى الى ما بين كش
ونسف فخيم بقرية تدعى دارا الى ان وصل اليه ولاة الجوزجان والختل
والصغانيان وسائر اطراف خراسان وورد الامير سيف الدولة عليه
من نيسابور في هيئة راقت العيون وهيبة راعت القلوب ورجال
قد ربتهم الحروب في حجورها وارضعتهم التجارب من شطوبها فلم يسمع
معسكر بما وراء النهر جمع من كبار الملوك واعيان القروم وطبقات الجنود ما
جمعه ذلك المناخ وبلغ ايلك عبورهم للكفاية فارسل الى الامير سبكتكين
عدة من شيوخ بابه يذكر انهما اخوان في ذات الله تعالى لاتفاقهما على
نصرة الاسلام واقتسامهما ديار الترك والهند بالغزو والانتقام
وانهما بحكم مساعيهما في اظهار دين الله وافلاج حجة الله احق
بارتفاعات خراسان وما وراء النهر من متخلس بينهما على مآرب نفسه
وشهوات بدنه لا يشهد مقاما محمودا ولا يشهر حساما مغمودا وان
اجتماعهما على خطبتهما اعود عليهما من ركوب الخطر واجتلاب الضرر
لحظ يخلص الى غيرهما فانه لا يستحل في دينه ان يعدل بالسيف عن
اعداء الله الى وجهه الا اذا اضطره ابتداء وساءه الدفاع عن نفسه

اعتداء فليختر اي الامرين راه من وفاق وافتراق وائتلاف واختلاف
فهو يتسم بناره ويجد على غراره فرجع اليه ان اعتياد الرضى اياه
بتأميله حين خذله ابناء دولته وكفره اثناء نعمته بعد ما ألبسه
الاغماض دون حيف يجري عليه وظلم يراد انتزاعه من يديه وان
تغريره بجمع ملحوظه على استغراقه ايام العمر فيه لجدير بان يبعده من
سمة الخذلان واختيار الاساءة على الاحسان فليقطع طمعه عن
النزاع حول تلك الرباع او فليأذن بحرب تتحطم فيها متون الصفاح
وتتقصف معها عوالي الرماح وترخص عندها غوالي المهجات
والارواح فلما علم ابو علي خبره وذاق بلسان الخبرة ما عنده قرع
للامر ظنبوبه وشمر للحرب حيزومه ورمى بحبال القتال بقداح من فيما
بينهم علامات الاستنفار فثار اليه الطم والرم

جيوش تضل البلق في حجراتها ترى الاكم فيها سجدا للحوافر

وكتب الامير سبكتكين الى الامير الرضى يستعجله اللحاق به ليقدم
هيبته في مناهضة الخصم وفل حده وزحزحه عن صدد الملك
العاء والاحده واشفق ابن عزير على نفسه من حركته للهنات التي كانت
لجناته الى الهرب فالتجأ به من حجر الطلب تنتصح للرضى بان
الامير سبكتكين داعية ولاة الاطراف عنه والتهم في احسن عدة وعتاد
وابلغ استظهار واحتشاد وان المحن التي استمرت بك قد نفضتك
عن تحمل مثلك واخلت بزينة الملك رحلك فقبيح بك ان تجاوز رحاله
احلى من حالك ورجاله اتم استظهارا من فرسان رجالك وارى
لك ان تستعفيه عن شهادتك بنفسك عن ان تحشر اليه وجوه القواد
في جماهير الاجناد من اطراف البلاد وتكلم فيما يراه من مسالمة او محاكمة
ومكافحة او مصافحة ليكون فيصل الامر بيده على الوجه الذي هو
اخف عليه فكتب الرضى بذلك اليه فعلم ان ذلك من تسويل ابن عزير
وافتعاله وتمويهه واحتياله وقصد ان يحبط عليه سعيه الذي سعاه
في العبور واستجاشة الجمهور وتحمل الاثقال واستنفاق الاموال
فسرب الامير سيف الدولة واخاه بغراجق في قرابة عشرين الف رجل
الى بخارا لازعاجه عن مكانه وسير معهما ابا نصر احمد بن محمد الزيد
لتدارك امر الديوان كان في عهدته فلما احس ابن عزير باقبالهم ولى ليث
الموت كاشرا عن نابيه وعقاب العقاب ناشرا جناحيه للانقضاض
عليه فابتغى نفقا في الارض او سلما في السماء حتى اذا اعياه ما توخاه
فزع بالانحجار ولاذ بالاستتار فولى الرضى ابا نصر الزيدي ما كان
يليه وهو الشهاب الثاقب والنقاب الذي هذبته المناقب واقام
كفايته عماده وقوم مناده وحذف عنه ما كان قد آده .

ووصفه ابو الفتح البستي بأبيات في الصدق حقه

فديت أبا نصر المرتجى لتفريج كل ظلام يظل

له قلم حده لا يكل اذا كان في الحرب سيف يكل

فيوجز لكنه لا يخل ويطنب لكنه لا يمل

وكيف يمل وتوفيق من أفاد العقول عليه يمل

يجود فيحسنه بالبديع عفوا الجود القراح المغل

مدق مجل واولى الكفاة باعلى الصفات مدق مجل

وكتب اليه عند استقرار الوزارة عليه

ابلغ مقالي كل عاف مجتد ومؤمل في قصده ان يهتدي

عرج على الشيخ الجليل المرتجى وزر الوزارة للعميد محمد

فتراه ملء العيون وحبه ملء القلوب ويمنه ملء اليد

يقري امور الملك رأيا فيصلا وعزيمة يزري بكل مهند

ويفيض نائله كسيل زاعب فيقول سائله غرقت قدي قدي

فأتى الرجاء الى علاه فانه غوث الردي غيث الصدي بدر الندي

لا زال في يوم أغر مبشرا بسعادة غراء تطلع في غد

ليقيم كل مأود وينيم كل مسهد ويضم كل مبدد

وقد كان للأمير سبكتكين حرص بابقاء ابن عزير على أبي علي وجد في النضال

عنه لما يقدره في الأيام من التسلح به فلوح للرضي بميله الى ما نقع
من نقله الى جنابه فأوجب قبل وصول سيف الدولة اليه اسعافه
وحمل هو وايلمنكو في عمارية كانت خاتمة لعمره قاصمة لظهره وأمر
الأمير سبكتكين فنقل المحرور في محمل لو رأى من قبل مثله في منامه
لعاف برد الماء على زرق جمامه واستعفى عن طيب الحيوة باقي أيامه
ثم وأخذ فيما بين نهوض سيف الدولة الى بخارا ايلك في قبائل الترك
واستأنف مسئلة الصلح فأوجب الأمير سبكتكين اجابته الى ملتمسه
لقعود الرضي عن مشاهدته وفتوره في أمر نهضته واشترط عليه
ان يتزحزح عما دون قطوان فلا يطلق عليه عنانه ولا يسرح اليه
عماله وأعوانه على ان يقرر سمرقند على فائق اجابة لشفاعته ورعاية
لما سلف في بيت الرضي من حق طاعته وعقدت وثيقة الصلح على
هذه الجملة بمشهد الفقهاء والأعيان من الجانبين وانصرف كل
منهما عن وجه صاحبه وعاد الأمير سبكتكين الى بلخ وسار سيف الدولة
نحو نيسابور وهدا على الرضي ما كان متموجا من أمور الأعمال وأقبل
أبو نصر على مهمات الوزارة واكثرها شغل الاثارة لتقلص الولايات
وقصور الارتفاعات عن الوفاء بما كان مثبتا في القيم من وجوه
الاطماع والاقامات وجعل يزجي فيها يوما بيوم ويغسل دما بدم

الى ان ثار به غلمانه فقتلوه وذلك على راس خمسة اشهر من وزارته
فضاق الرضي ذرعا بما دهاه لاشفاقه من ظن الامير سبكتكين
ان هناك قصدا في امره ورضى بالحادثة به واظهر الاكتياب
واستعظم المصاب وبرز من الدار فصلى على جنازته وامر باقامة
التشييد على الفتكة به . انشدني المصرابي لوسحي في مرثيته

فلو نال الناس الم سقاما ... ونفس المجد والهمة سقيمة
وما فجعت بك الدنيا ولكن ... تركت بفقدك الدنيا يتيمة

ولبعض اهل العصر

لما ثوى صدر الوزارة احمد ... وهوت نجوم المجد في ملحوده
اذريت من فرط المصاب مدامعا ... كالغيث بعد بروقه ورعوده
قال العذول وقد رأى فرط الجوى ... والطرف يمزج دمعه بصديده
خفض عليك فقلت قول زاجر ... دعني ابكيه بنسخة جوده

ذكر ابي القسم بن سيمجور اخي ابي علي وما افضى اليه امره بعد تقاعده عنه

ولما انخزل ابو القسم عن اخيه اقام مدة الى ان ورد الامير سبكتكين
خاسر من نيسابور فنهض اليه متعرضا للقائه وتمهيد حال
في موالاته وولايته فرعى حقه ورفع قدره وقوى اسره وضمن له ماسره

وخطب له الى الرضي ولاية قهستان فاجابه اليها وامر له بالمنشور
عليها واضاف اليه ذلك عدة عرفته يمن الطلعة وكسته يمنة العز
في الاختلاط بالجملة فاوى الى قهستان ساكن الجاش ظاهر الرياش
اثيث الجناح مريع المسرح والمراح الى ان سنح للامير سبكتكين عبور النهر
لتدبير امر الترك فكتب اليه يستنهضه الى مجمع اركان الدولة واعيانها
ليضرب معهم بسهم الغناء في كفاية الامر الحازب وممانعة الخصم المغالب
فحملته تقوى العواقب على اساءة الظن بالنوائب وطراءة عهده بخبر
اخيه فيما ادرع من لبس الهوان وجرع من كاس الذل والامتهان
على ترك المسير والادلاء ببعض المعاذير وعلم ان تقاعده عن اجابته
سيورثه بعد فراغه له داء عضالا ويكسبه خطبا لا يطيق به استقلالا
فنبذه الى نيسابور مغتنما خلو خراسان عن حماتها وطابقه ابو نصر
محمود الحاجب على فعله ورايه فتظاهرا على الاستظهار بجمع المال
واثبات اصناف الرجال وحين سمع الامير سبكتكين بهما بادر بالكتاب
الى سيف الدولة في الانحدار الى نيسابور وامده باخيه بغراجق
والى هراة لنقض ما امر من امرهما وخضد ما نجم من شرهما فسار
اليهما ولم يرضهما حتى انحط على اثرهما من بلخ كالشهاب في اثر
العفاريت فلم يرع ابا القاسم وابن محمود غير اطلال الجيوش

عليهما فارخيا مطايا الهرب وسارا الى اسفرائين متقيين حر القضب
وركب الاميران اكتاف مهامه لا يهتدي بها شكل النعم حتى لفظتهما حدود
خراسان الى تخوم جرجان وامتد الامير سبكتكين الى طوس فاناخ بها
الى ان تطاير خبر اقباله فزاد في حفزهما الى الانهزام واعجالهما دون
المقام وعطف اليه سيف الدولة وبغراجق بعد فراغهما من تفريغ خراسان
عنهما لتجديد العهد به وقد كان فخر الدولة على رسمه قد تقرب الى الامير
سبكتكين عند مقامه ببلخ على سبيل الملاطفة بجملة من المبار ومال
من العين واللجين على سبيل النثار اقتناصا لمحبته واستخلاصا
لرضاه وموافقته فقابله الامير سبكتكين باضعافه من الالطاف وزاده
عليها ثلثة من الفيلة الخفاف وارسل بها المعروف بعبد الله الكاتب
لحذقه فنمي الى فخر الدولة تجسسه عليه عند اجتيازه في غوامض الطرق
المفضية الى بلاده فكتب الى الامير سبكتكين يشير الى ان رسول المرء
لسانه وعنوان ضميره وترجمانه وان فلانا ورد فخالف باطن افعاله
ظاهر مقاله وكان من بعض فصوله انه لو اراد لعلم ان سرير الملك
لم يستقر في سرة الارض الا بغلب غلب واسود سود فجرى هذا
الكلام في صدره وخدش وجه الحال التي خطبها فخر الدولة الى وده
ثم اردفه بكتابة ذلك باي انفاذ الرسول احد وجوه بابه واصحبه مشافهة

مشتملة على ذكر الحال التي يروم عمارتها في مودته وان الرضى تبرع
له باثر عناية الوافرة وبذل المحال ببلال المصاهرة ولكنه يبني نظام ذلك
وقوامه بما يوجبه من مواصلته وعمارة حاله من ذات صدره وسأله ان
يثق بالاخلاص له من قلبه والاسعاف بما يحب بيدي ملكه وملكه وان ينطوي
له على مثل ما بذله من نفسه لتستحصد المرائر وتتوكد الاواصر وتنحسم
التخالف والتألف ويرتفع التخالف والتجانف فاحسن الامير سبكتكين
اجابته الى ما طلبه وانجح من سره ما خطبه وصفت الحال بينهما عن
الشوائب وانتفت عن وجوه المقابح والمعايب واستأمن ابو القاسم بن
سيمجور الى فخر الدولة عند اليأس من خراسان فاستدناه الى الدامغان
وقومس وجرجان فرض له ولمن اشتملت جريدته عليهم من حاشيته ورجاله
ما لا يدر عليهم وسنأتي على بقية ذكره في موضعه   وورد على الامير
سبكتكين مونس الخادم عن الرضى يستشيره فيمن يرشح للوزارة لخلو
مكانها بعد ابي نصر ابن ابي زيد عمن يرعيها ويستقل باعباء الكفاية
فيها فوكل الاختيار الى رايه واظهر مطاهرة من كان من وزرائه فاختير
ابو المظفر محمد بن ابرهيم البرغشي لما وجبى بالخلعة والكرامة فيها وتقلد
بالامر كفاية الندب الحدب المهذب وقام بالتدبير قيام المنقح المشذب
الى ان اختطف الرضى اجله وعثر عثرة امله وعطف الامير سبكتكين

بعد ذلك الى بلخ وعاد سيف الدولة الى نيسابور وقد كان ابو الحسين
بن ابي علي بن سيمجور مقيما بقاين عند الوقعة بناحية طوس فلما سمع
بانكشاف عسكر ابيه ركب المسافة نحو الري فآواه فخر الدولة واكرمه
وخلع عليه فضل تكرمة وامر له بخمسين الف درهم مشاهرة يدر عليه
عند ورود كل شهر واضاف اليه من الهبات والصلات ووجوه الحبية
والكرامات ما تميز به عن اشكاله رعاية لحق ابيه وتبجحا بحصول مثله
في جملة اوليائه وحملة ايالته فاغراه سوء القضاء ودرك الشقاء
بالهرب من مفترش الراحة ومتوسد الدعة ومضطجع الرفاهية
ومرتفق السلامة والعافية حتى زج بنفسه في قحمة الثبور من كونه بنيسابور
مطاوعة لهوى له كان زعم بها فظن ان استتاره يطوي خبره ويخفي
عينه واثره الى ان يقضي من هواه وطره فلم يرعه الا احاطة الطلب
من حول مستتره فاحترشوه كما يحترش الضب من جحره وعجلوا به الى الحبس
من فوره وحمل بعد ذلك الى معتقل ابيه الى ان نفذ محتوم القضاء فيا له من
اسير هدّ اسره وختم بطابع الشقاء عمره ورحم الله ام المؤمنين ام سلمة
رضي الله عنها حيث تقول

لو كان معتصما من زلة احد كانت لعائشة الرتبى على الناس
قد ينزع الله من قوم عقولهم حتى يتم الذي يقضي على الراس

وكان اميرك الطوسي قد اختلط بعسكر الامير سيف الدولة فلما عزم
له عبور النهر لتدبير امر الترك راى الاحتياط في الاستيثاق منه
فالحق بابي علي وذويه الى ان حاق بهم القضاء وحق عليهم الانقضاء وكذلك
يفعل الله ما يشاء   ولما استقر الامير سبكتكين ببلخ منصرفه
من طوس ورد الخبر بنفوذ قضاء الله في ابي علي ومن كان معه في حلق الوثاق
واستتبع خبر موت الملوك والعظماء باطراف خراسان والعراق في مدة
اتصلت كعوب ايامها وتناسقت فرائد نظامها فكانهم كانوا على ميعاد
وذلك انه تلا خبره خبر مامون بن محمد والي الجرجانية فتك طائفة من
اصحابه به في مادبة صنعها صاحب جيشه واستحالت المادبة مندمة
والدعوة مناحة والغناء عويلا والسرور حزنا طويلا   وردفه خبر
الرضي في مرضة لم تمتد فيها ايامه حتى الم به حمامه وانتقل الى ربه بماء
شبابه وكانت وفاته يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة
ولقبه كتاب بابه بالرضي فرحمه الله عليه رحمة تبرد مضجعه وتروح روحه
فقد كان طود الملك زال بزواله وزال عن مراسيه بزلزاله وتتابعت
المصائب على الامير سبكتكين بعده في تلك المدة بشقيقة كانت اعز اهله
عليه واولاد صغار وغلمان كبار وهلم جرا الى ان سقط على الفراش
وايس من الانتعاش فتاق الى غزنة استروحا الى طيب هوائها

واستشفاء بتسنيم ارضها وماءها فاخذ المقدور عليه بالمرصد
واخترمته يد المنون دون المقصد فنقل في تابوته الى غزنة ومن عجب
العجائب في امره انى حضرته ذات يوم وقد جرى حديث الملك في اقبالها
وزوالها فقال وهو يشير الى كاتبه ابى الفتح البستي مثلنا ايها الشيخ
في اختطاف المنايا ارواحنا مثل القطيع يعمد الجزار الى الضائنة
منها فيطرحها الى الارض ويوثق قوائمها للجزر فلا تزال تقلق خلاف العادة
وتضطرب من خوف الابادة الى ان يقضي الجزار منه وطره فيحل
وثاقها ويحسن اطلاقها فترتاح لما يتاح لها من النجاة ويعاد اليها من
روح الحيوة حتى اذا كانت من قابل عاد الجزار لعادته فيها فطفقت
لها بين امل وياس ونفرة واستيناس بظن انه هم كما عهدته مرة وتخشى
خلاف العادة اخرى الى ان تقع الافراج عنها فتظفر فرحى بالنجاة
وتعود مرحى في النبات حامية الا الثالثة حتى تسلمها الجزار الى الجزار
فتمر الشفرة على ودجيها اوثق ما كانت بالعادة وابعد ما كانت من المخافة
وامنها من الافة كذلك نحن فيما تتعاقب علينا من الامراض ويتم بنا من
الاوصاب بينا نحن نحسن الظن بما يطرق منها اذ قامت الداعية وسارت
بنا الناعية وكم بين هذا التمثيل وبين ان قضى نحبه قيد عفار النخل
فقضينا العجب بعد من الاملاء المقدور في شانه على لسانه

وقد كان قبل وفاته استجد عمارة الدار المعروفة بسهلاباذ وانفق
عليها مالا عظيما فلم يتمتع بسكناها حتى خذله الرجا وحق عليه القضا
واعتافها ولده من بعده فاهملوا امرها حتى تداعت بالخراب وسمعت
بعض الافاضل ينشد وقد اجتاز عليها بعد مدة يسيرة
عليك سلام الله من منزل قفر فقد هجت لي شوقا قديما وما تدري
عهدتك من شهر جديدا فلم اخل صروف النوى تبلي مغانيك في شهر
فلحى الله دنيانا فرضية تاكل اولادها عقوقا وجافية لا ترعى
لاضيافها ذمة وحقوقا والى الله المشتكى من تبدل الزمان وصرف الحدثان
ورثاه ابو الفتح البستي كاتبه بقوله
قلت اذ مات ناصر الدين والدولة حياه ربه بالكرامه
وتداعت جموعه بافتراق هكذا هكذا تقوم القيامه

وله

توكل على الله في كل ما تحاوله واتخذه وكيلا
ولا تخدعنك شوب صفا فاني قليلا واروى غليلا
فان الزمان يذل العزيز ويجعل كل جليل ضئيلا
الم تر ناصر دين الاله وكان المهيب العظيم الجليلا
اعد الفيول وقاد الخيول وصير كل عزيز ذليلا

وخف الملوك به خاضعين وزفوا اليه رعيلا رعيلا
فلما تمكن من أمره وصار له الشرق الا قليلا
واوهمه العز ان الزمان اذا رامه ارتد عنه كليلا
اتته المنية مغتاظة وسلت عليه حساما صقيلا
فلم تغن عنه حماة الرجال ولم تجد فيل عليه فتيلا
كذلك يفعل بالشامتين ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا

ولبعض كتاب اهل العصر

مضى الامير نصير الدين متشحا في قبره بمساع اشبهت علما
قد عاش مدة ما قد عاش منتصبا لله والدين والاسلام منتقما
كالليث والغيث طبعا ان حمى وهمى والنجم والرجم شكلا ان سما ورمى
يا من اسال رقاب الكافرين دما فقدك الآن ابكيت الدموع دما
لئن اباح صروف الدهر ساحته فانظر الى الملك والاسلام اجرهما
فالدين منثلم والملك منهدم وظل حبل العلى والمجد منصرما

ووردت الحكاية به النعي بفخر الدولة على بويه وكانت وفاته في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان سبب انقراضه انه فرغ القلعة التي استجدها على جبل طبرك مرتاحا للانس واشتهى طباهج من لحم البقر فتحرت بين يديه واحدة وطفق اصحابه ينضجون له من اطايبها وهو يتناول منها واتبعها بعنبا فيد كرم ودارت عليه الكؤوس بينهما بلاء وآلاء فلم ينشب ان لوى عليه جوفه واتصل عليه صوته الى ان حتم عليه موته ورثاه ابو الفرج الساوي بقوله

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم حسن ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فاني اخذت الملك منه بسيف هلك
وقد كان استطال على البرايا ونظم جمعهم في سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما لقال لها عتوا اف منك
ولو زهر النجوم ابت رضاه تأبى ان يقول رضيت عنك
فامسى بعدما فرع البرايا اسير القبر في ضيق وضنك
اقدر انه لو عاد يوما الى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعي يا نفس فخر ملوك مضوا ابل انقراضك ويك فابكي
ولا يغني هلاك الليث شيئا عن الظبي السليب قميص مسك
هي الدنيا اشبهها بشهد يسم وجيفة طليت بمسك
هي الدنيا كمثل الطفل بينا يقهقه اذ بكى من بعد ضحك
الا يا قومنا انتبهوا فانا نحاسب في القيامة غير شك

فاما ماضون بن محمد فان ابنه عليا ولي الامر بعده وتبع الناس الى

بيعته وعاد الملك به إلى بهائه ورونقه   وأما الرضي فقد كان
عهد بملكه إلى ابنه أبي الحرث منصور بن نوح فلما استعز به الموت
ومضى لسبيله تناصر على بيعته الأولياء والحشم ووزع بقايا الأموال
وخبايا الذخائر والأعلاق في أعطياتهم وحقوق أطماعهم حتى استوسقت
أمور المملكة واتفقت الكلمة في الطاعة وبقي أبو المظفر محمد بن إبرهيم
على الوزارة   وأما الأمير سبكتكين فقد كان عهد إلى ولده إسمعيل واستخلفه
على أعماله وأوصى إليه بأموره وأولاده وعياله وجمع وجوه قواده وحجابه
على طاعته ومتابعته والرضى بإيالته وولايته فلما طرق الناعي به
تبادروا إلى عقد البيعة له وإمضاء الوصية فيه واستقر إسمعيل
بعد قضاء المأتم على سرير الإمارة وأمر بفض الختوم عن بيت الخزانة
وصب الأموال حتى أرضى الرجال   وأما فخر الدولة فإن عسكر الديلم
اجتمعوا على ولده الأمير مجد الدولة أبي طالب رستم بن فخر الدولة ففوضوا
الأمر إليه وحفظوا نظام الملك عليه ولقبه السلطان بمجد الدولة
وكهف الملة   وسيأتي بيان حال كل واحد منهم في موضعه على الأثر
وأنشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه في عجائب هذه السنة وتبدل أحوالها
وتنقل أمرائها قصيدة منها هذه الأبيات
ألم تر مذ عامان أملاك عصرنا يصيح بهم للموت والقتل صائح

فنوح بن منصور طوته يد الردى على حسرات ضمنتها الجوانح
وبابوه بن منصور في يوم سرخس تمزق عنه ملكه وهو طائح
وفرق عنه الشمل بالشمل فاغتدى أسيرا ضريرا تنتحيه الجوائح
وصاحب مصر قد مضى لسبيله ووالي الجبال قد علته الصفائح
وصاحب جرجانية في ندامة ترصده طرف من الحين طامح
تساقوا كؤوس الراح ثم تشاربوا كؤوس المنايا والدماء سوافح
وخوارزمشاه وجه نعيه وعن له يوم من النحس طالح
وكان علا في الأرض يخبطها أبو علي إلى أن طوحته المطاوح
فعضه ناب من الشر أعصل وعن له طير من الشؤم بارح
وصاحب بست ذلك الضيغم الذي براثنه للمشرقين مفاتح
أناخ به من صرعة الدهر كلكل فلم يغن عنه والمقنة سانح
خيول كأمثال السيول سوابح فيول كأمثال الجبال سوارح
جيوش له أربت على عدد الحصى تغص بها قيعانها والصحاصح
ودارت على صمصام دولة بويه دوائر سوء نبلهن فوادح
وقد جاز والي الجوزجان قناطر الحياة فوافته المنايا الطوائح
وفائق المجبوب قد حب عمره فقاظ ولم يندبه في الأرض نائح
مضوا في مدى عامين فاختطفتهم عقاب إذا طارت تخر الجوارح

وكان بنو سامان أطواد عزة فأضحت لصرف الدهر وهي أباطح
أما لك فيهم عبرة مستفادة بلى إن نهج الاعتبار لواضح
تسل عن الدنيا ولا تخطبنها ولا يخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ومكروهها إما تذكرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها ذعاف ومركب شهي إذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونق الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح

ولما أفضى أمر الإمارة إلى أبي الحارث منصور بن نوح وهو في حرفة البلوغ وميعة الشباب وعند مشتعل الحركة ومستصبح النجابة ومستوضح الأصالة والإصابة أقام أبا المظفر محمد بن إبراهيم وزيرا وفوض الملك إلى فائق كفالة وتدبيرا وكان عبد الله بن عزير أنفى شوكة الأمير سيف الدولة عند قصده بخارا بالإصعاد إلى الأعالي فلما انقرضت حياة الرضي أطمع أبا منصور محمد بن الحسين الإسبيجابي في صحابة الجيش بخراسان وحمله على الإخلاد به إلى بخارا مستعينا بإيلك الخان على نيل الأرب المنشود وإصابة الغرض المقصود فنهض إيلك لمصاحبتهما وسار إلى سمرقند بهما حتى إذا أناخ بمرج على ظاهرها أتاه أبو منصور في خف من غلمانه زائرا فاحتبسه بعلة الطعام وأصحابه بزانجيم واستجمام

فأمر به وبابن عزير فشدا في حلق الوثاق وقرنا في قرن الاعتقال وأرسل إلى فائق فلما أتاه أجله ورفع محله وخفف عن مكانه إكبارا له وضم إليه ثلاثة آلاف رجل وأمره بالمسير إلى بخارا على مقدمته فسار على ما رسمه له فلما بلغ أبا الحارث خبر إقدامه أزعج عليه وجه الصواب وضن عليه رجل الغراب وأعجلته فظاعة الخبر عن التدبير فبادر إلى العبور بمن معه من صغير وكبير ودخل فائق بخارا فبادر إلى التراب ولثم خد الأرض وجلس مجلس الحجاب وأظهر القلق والالتياع لإخلال أبي الحارث بدار عزه وشرفه ومقر الماضين من سلفه وتجشم مشيخة بخارا إليه في مسألته بتقديم الإياب وتعجيل الانقلاب فوثق إذ ذاك به وأمر بالكتاب إليه في إحماده على طاعته وتقربه فكان مفتتح ما خوطب به من جعل المخالصة ولعمر الله نعما يمده والمناصحة أماما يهديه ويرشده لمسعود وقوفه حيث وقفته همته ومحمود تصرفه حيث صرفته تلك وارتاح أبو الحارث للانصراف حذارا من جانب الخلاف وسير قبل صريمة آراء بكتوزون وهو الموسوم بالحاجب الكبير على بابه إلى نيسابور على قيادة الجيوش ولقبه بسنان الدولة ثم عبر النهر عائدا وراءه فتلقاه فائق مقيما رسم العبودية ومؤديا فرض الطاعة المحتومة وانكفأ به إلى بخارا واستقام له الأمر وخمد ذلك الجمر

وقد كان بين فايق وبكتوزون سخيمة وأحنة في الصدور قديمة فاستحلفه
ابو الحارث على الاغماض له فيها والاغضاء عنها والعفو عما حز في
صدره منها استثباتا لاقدامهما في الطاعة أو استجماعا لاهوائهما
في المتابعة فاظهر الانقياد وحلف بما اراد واستقرت امور
السلارية على بكتوزون فجبى اموال خراسان لابي الحارث من غير منازع ولا
مدافع الى ان طارت النعرة في راسه فانتقض قصد سلطانه وولي
نعمته الى ما عرض به الملك للهلك والدولة للعولة وارخ الدهر
بعار لا يرحض عنه وضره ولا يرفع عن وجهه قتره

ذكر ما جرى بين الامير سيف الدولة محمود والامير اسمعيل اخيه بعد انتصابه منصب ابيه

ولما اخترم الامير سبكتكين واستقر الامر على اسمعيل طمح اهل
العسكر الى مال البيعة فامر به واطلق لهم استحقاقهم المعين
استصلاحا لذات البين ثم اجتر القوم خوفا في عوده ورخاوة
في عنان تدبيره لحداثة سنه وطراوة شبابه ولاشفاقه على نفسه
من جانب اخيه وقصده وانتزاعه الامر من يده فاستوطأوا مراكب
الطمع واستسهلوا جانب التحكم وتحزبوا للمطالبة

بزيادات على الراتبة لهم حتى استغرق ذلك ما خلفه الامير سبكتكين
وخلت الخزانة عما يسع الاستظهار به فاضطر اسمعيل الى ان يفرغ
فيما ينوبه انفا من مؤن اطماعهم الى العدة التي كانت مذخورة له بغزنة
فلو بقوا على جملتهم في التسحب عليه لاسرع تمزق شمل تلك الاموال
وتفرق جميع الاولياء والرجال ولما ورد على الامير سيف الدولة نعي
ابيه وقضى ايام المصيبة بادر بالكتاب الى اخيه اسمعيل في تعزيته عن عارض
الرزية واتبعه بابي الحسين الحمولي في اذكاره بحق الكبر وما يجب له بحق الرعا مته
على اهل البيت وتعريفه انه منه بمنزلة العين الباصرة او العز واليد
الباطشة او امن وانه سيبلغ في امره كل ما يهواه ويرضاه ويتعلق به
مناه وان الامير سبكتكين انما افرده بالوصية لاعجال المنية اياه عن
وضعها منه موضع الاستحقاق للضرورة العاجلة من بعد المسافة
وتقاذف الشقة وان الراي فيما يحتزله من توفيته حكم الرياسة
ومشاطرته الارث من ذخاير الامارة وافراده بغزنة التي هي وكر
عشيرته وجامعة معشر خاصته وعامته على ان يحفظ عليه مكانه
من بلخ وما يليها او ينقله الى نيسابور على ما كان رتبه من اعمالها ونوا جيها
فاستشعر اسمعيل ما كتب الله عليه من النكبة في ايامه حتى كانه يراه
لاي العين ويدرس عليه كتاب البرهان فلم يرده على الاباء والالتواء

وتعريض تلك الاموال للانواء وتوسّط والى الجوزجان ابو الحرث
بينهما على ان يكسر نائرة الخلاف ويقف بهما على نقطة العدل والانصاف
واراد كلّاً منهما على التلاقي قبله ليشافه كلّ منهما اخاه بما يقترحه
من مراد ويقتدحه من زناد اذ كانت لوجوه المشافهة حرمة يعزّ
مثلها على ظهر البعاد وفي حال التحيّز والانفراد فامّا الامير سيف الدولة
فانّه رأى ذلك صوابا واوجب من نفسه اسعافا واطلابا واما اسمعيل
فانّه ندّ في الاجابة ولحظ الامر بعين الاسترابة ورأى التسمّح بما يقترح
عليه من مال الارث وان كان فادحا ثقله اهون عليه من ذلك مراما وايسر محملا
والتزاما ذعرا تمكّن من نفسه وسرى الى صميم قلبه وخيفة سالت به
في اودية الظنون ونفّرته عن ضمّ القوادم للسكون وانشد ذات
يوم ابياتا لسيف الدولة الحمداني في اخيه ناصر الدولة معرّضا بالالفة
التي هي اوطأ مهادا واخصب مرتعا ومرادا وهي

رضيت لك العليا وقد كنت اهلها — وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
ولم يك بي عنها نكول وانما — تغافلت عن حقّي فتمّ لك الحقّ
ولا بدّ لي من ان اكون مصلّيا — اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

فنجعت عن مقاصدها من ذرعه وطاشت سهامها دون الغرض المقصود
لها من سمعه وبعث الامير سيف الدولة يتدبّر ما عراه لاستجابة الرفق

على الخرق وايثار الرفق على الخرق وميله الى المداراة على الملاحاة والمواتاة
على المناواة واختياره البرّ على الجفاء وادّخاره الكيّ لآخر الدواء حتى
اذا غار نجم الهوادة ورقّ جلباب الحشمة استعدّ لاتيان الامر من بابه
وردّ المنتزع منه الى نصابه وخاطب الامير ابا الحرث بما عنّ له من المهمّ الذي
لا يسعه غير تلافيه ونثل كنانة الوسع والطاقة فيه وسار في خواصّ
غلمانه ورجاله وقوّاده المذكورين لاتباع مثاله الى هراة واستانف بها
مكاتبة اسمعيل بين وعد ووعيد وتمنية وتهديد وترجيح بين الياس
والامل وتنبيه على موقف الندامة والخجل فلم يغن ذلك منه فتيلا ولم ينقض
من قوى عقده سحيلا وتراجعت المكاتبات بينهما حتى جدّ مزاح الكلام
واشتدّ لقح الخصام واعيا فيصل الامر الا احدّ الحسام ودعا الامير
سيف الدولة عمّه بغراجق الى مساعدته ومرافقته واتباع مصلحة البيت
بمتابعته فسارع الى الطاعة ورأى الحقّ عليه في متابعته وابلغ رايته
وخفّ معه الى بست فيها الامير ابو المظفّر نصر بن ناصر الدين سبكتكين
فصادف الامير سيف الدولة منه وليّا مطيعا وصفيّا الى الانقياد
سريعا هوى منه لم يرض بزمام ولا خطام ومحبّة لم يذلل باسراج ولا
الجام تبرّع بالانقياد وتسرّع الى المراد وجرى في حلبة الطاعة طلق
الجواد ولمّا سمع الامير اسمعيل برحيل الامير سيف الدولة على جانب

غزنة سبقه اليهما من جانب بلخ متجردًا للممانعة محتشدًا للمقارعة
والمدافعة وسار الامير سيف الدولة في عمه واخيه وساير اوليائه
وحواليه حتى اناخ بظاهر غزنة وقد تطاير اليه من قبل كتب الاعيان
من قواد اسمعيل في ممالاته عليه لما عرفوه من وهي امره في الرياسة
وضعف يده عن حق السياسة وتردد السفراء بينهما في الاستصلاح
وكف عادية الكفاح فابى الله الا ما كان مقدورا وجعل الحق مشهورا
والمحق منصورا وانتدب الامير سيف الدولة للحرب يعبي المواكب ويرتب
الجيوش كواكب ودلف الى القتال في رجال كالرماح او كانهن الرماح
يمشون للقراع هشاشة الاطفال للرضاع ويرتاحون للكفاح ارتياح
الهيم للماء القراح

سفع الدروع وجوههم فكانهم ... وابوهم سام ابوهم حام
نجدوا الحديد من الحديد معاقلا ... سكانها الارواح والاجسام
مسترسلين الى الحتوف كانما ... بين الحتوف وبينهم ارحام
آساد موت مخدرات ما لها ... الا الصوارم والقنا آجام

وبرز اسمعيل بمن شايعه من مواليه وتابعه من رجال ابيه وقد حصن
الصفوف بفيلته العظام كانها اركان يذبل او هضاب شمام ودنا
الفريقان بعضهم من بعض ضربا بالسيوف البواتك وطعنا بالرماح الفواتك

ورضا للهام تحت الترايك وظلت رحى الحرب تعركهم بثفالها وتدور
عليهم باثقالها الى ان رمت الشمس بجمرات الظهيرة وقد لاذ بالامن
من سبق وعده وطلع بالاقبال سعده وعندها حمل الامير سيف
الدولة بنفسه فتداعت الرجوف وتخالطت الصفوف وخبطت على
مناسر الرقاب السيوف وثارت عجاجة اخذت العيون عن الاشباح
واذهلت النفوس عن الارواح ونثرت الاعناق بايدي الصفاح ووقعت
الجماجم من وقع السلاح وظلت سنابك الخيل تردي على جثث النفوس
وتلعب باكر الرووس

تجري الجياد من القتلى على جبل ... ومن دمائهم يخضن في وحل
ومن جماجمهم يصعدن في نشز ... ومن ذوائبهم يقمصن في شكل

فلم ينشب ان اسفر قتامها عن مساقط ابدان تحت ابدان واجسام
فوق هام وهام الآخرون على وجوههم يسحبون طول الارض خوفا من
حر العقاب ومر الحساب والتجا اسمعيل الى قلعة غزنة متحصنا
بها في العاجل من مس الطلب الى ان تلطف له الامير سيف الدولة
فاستنزله على امان وحسن ضمان وجاوزه بمعروف واحسان

ذكر ماجرى بين ابي القاسم السيمجوري وبكتوزون بعد ذلك

وقد كان أبو القاسم السيمجوري انتقل الى جرجان بعد انقراض فخر الدولة
على طاعة ولده فضوى اليه من شذ عنهم من عسكر ابيه وموالي اخيه
ومواليه واتصل به طوائف من ابطال الاكراد والعرب واشتدت به
مناكبه واحتدت انيابه ومخالبه وكانت الحسيكة التي ينطوي
عليها فائق لبكتوزون تصل بالحبائل تهيبه باغوال الغوائل فارسل
الى ابي القاسم يحرشه عليه ويغريه به ويعده ما يليه من قيادة الجيوش
متى اجلاه عن مكانه وجلاه في معرض العجز على سلطانه حتى احمضه
عن جرجان تاركا للعين بالضمار وعرضا للملك على خطر القمار
فكان مثله كما قال

وانى وتركي ندى الاكرمين ... وقدحي بكفي زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض اخرى جناحا

فنفصل عنها قاصدا قصبة نيسابور في جماهير اصحابه ممن ضرستهم
وقائع الحروب ونجذتهم قوارع الخطوب وكوتهم صروف الايام بمياسمها
ودارستهم احداث الليالي بمناسمها وافرط ابو علي براي القاسم المعروف
بالفقيه على مقدمته الى اسفراين وبها بعض قواد بكتوزون فالتقيا
هناك على جوهة الحرب وتساقيا كؤوس الطعن والضرب وتداركت
الامداد على ابي علي لقرب الخطى بينه وبين صاحبه فجفل عنه

اصحاب بكتوزون منهزمين الى نيسابور وقد اقتسموا بين جريح
وكسير وقتيل واسير وسار ابو القاسم سير السحاب تحثه ريح
الجنوب حتى اناخ بظاهر نيسابور مستطيلا بشوكة رجاله وشكة ابطاله
فارسل اليه بكتوزون يعلمه ان الحروب سجال وحسن الظن بعواقبها محال
وان في قرع باب البغي تعرضا للبلاء واستبدادا على سوء القضاء
وانما يصبر على الكفاح من لم يجد وجها للصلح والصلاح فاما من
كان في فسحة من الراي ومندوحة من الاختيار فانه ينفس بنفسه عن التغرير
بها في مباشرة القتال ومساورة الابطال ومغامسة الاهوال
وان الراي له ان يعدل الى قهستان لينتجز له من الامير الحارث
ولاية هراة مهادا عليه لحق خدمته وقدمته وسوابق موالاته وذمته
فضربه ابو القاسم باذن مستكة عن الانتصاح منسدة عن الصلاح
وحمله الادلال بخيله ورجاله على التحكم والتسحب والتمنع والتعصب
واهاب بعسكره الى الحرب فاصبحوا على مساقاة الطعن والضراب
ومعاناة الحراب بيض الصفاح وزرق الحراب ذاهلين عن مصرع الغرر
واثقين بمطلع النجح والظفر وعبى بكتوزون رجاله القتال واشباله
الاتراك في سائر مراكزهم رايته من قواد الامير الحارث والمنصبين
والمخصصين بنصرة شعاره فالتقوا قبالة قرية تدعى بسنج بظاهر

نيسابور واجتلى ابو القاسم منهم نجوما دهما ولاقت بكارنه الحقاق
قروما فاشتبكت الحرب بينهم نفحا بالمناصل وضربا بالمعاول
ووخزا باطراف العوامل واستعل اصحاب ابي القسم فيهم كالنار
في دقاق العوسج او يبس العرفج ضربا هبرا وطعنا نترا ورميا سعرا
وطرحوا ميمنتهم على ميسرتهم طردا ودحرا وقهرا وقسرا حتى اذا ظنوا
ان قوادم الهزيمة قد افرخت عن خوافي الغنيمة صال بكتوزون قلب
ابي القاسم بحملة ازلقتهم عن المقام واعجلتهم للانهزام فانصاعوا
مخذولين مفلولين يقودهم الخجل ويسوقهم الخوف والوجل وقبض
منهم على ابي القاسم الفقيه احد اركان ابي علي في ايامه المشهور برايه
ودهائه والمذكور بغنائه ومضائه وعلى عدة من قواده ووجوه سواده
وفر ابو القسم في شرذمة عسكره يمما على وجهه حتى امتد به الوجيف
الى قهستان وذلك في شهر ربيع الاخر سنه ثمانين وثلثمايه وكتب
بكتوزون الى بخارا بذكر الفتح وما يسر الله له من النجح فسر اجمعهم واثلج
الصدور ما خلا فايقا فانه اغتم واهتم وكاد يعقد الماتم لما تم
وسار ابو القسم بعد ادباره وانتعاشه الى بوشنج متحكما في اموالها
واعمالها وناهضه بكتوزون لانتزاعها من يده وتوسط السفراء بينهم
على وصلة انعقدت بينهما ورهنه ابو القسم ابنه المعروف بابي سهل

فارتفع بينهما الخلاف وحصل الاتفاق والائتلاف وعاد ابو القسم
الى قهستان وورد بكتوزون الى نيسابور في رجب من هذه السنة وجرت
بين فايق وابي المظفر محمد بن ابراهيم ملاحاة في تدبير الاعمال والاموال فارصده
لها بالسوء وقصده بالمكروه من اكثر الوجوه فلاذ بابي الحرث من قصده
واستامنه على نفسه فاواه داره وادر عليه مباره واتاه فايق
يسأله تمكينه منه واشار به فجبهه بالرد واغلظ له في القول
فخرج من مجلسه على حد منكب يتحدث بالانقطاع الى الترك والاخلال
بكفالة الملك حتى سفر بينهما مشايخ بخارا وفقهاؤها وافاوا عن
رايه واستماحوا الامير ابا الحرث حسن عفوه واغضائه وسير ابو المظفر
الى ناحية الجوزجان وسد مكانه بابي القاسم البرمكي فصدقت
فيه فراسة المعروف بالمضراب الشاعر ابوشجي حيث يقول

وكنا زمانا نذم الزمان ونرثي الوزارة بالبلعمي
فلخزنا العمر حتى انتهت من البلعمي الى البرعشي
وسوف تؤول على ما اراه منه قريبا الى البرمكي

وكان ابو القسم هذا موسوما بالفضل الا ان اغلب الصفات عليه
صفة البخل حتى ولي الوزارة ناقش اوليا ذلك الباب في اعطياتهم
الواجبة وجراياتهم الراتبة وعارض اطماعهم في خاصته بزيد شحا
ح

ووجه على الرد وقاح فلم يرعه الا دبابيس الاتراك تهشم قذاله وترض
على عظامه اوصاله ولقد احسن من قال

يقول لي دعبل في ثوبه خبل ولو بمس ثيابي دعبل خبلا
لا والذي سبك الصهباء من ذهب في الكاس ياقوتة ما ساد من نجلا

ذكر انزال اسمعيل
من قلعة غزنة

واستنزل الامير سيف الدولة اخاه اسمعيل من قلعة غزنة على امان
بذله وضمان احمله وتسلم منه مفاتيح الخزائن واحاط بزوايا الاعلاق
والدفائن وجبر له كسر حاله واعاد اليه رونق ماله وجماله وشحن
غزنة بثقاته والكفاة من حماته واغذ الى بلخ في عامة اوليائه
وانصاره وقد انتظم له ما انتثر بعد ابيه واستقر عليه ما سعى
في تلافيه فغصت شعاب بلخ وضواحيها بطبقات رجاله وعلامات
الاعلام من اقياله فكتب الى الامير ابي الحرث بذكر اقباله وحذفه فضل
الشغل كان باخيه عن باله وانه قام مقام ابيه في المحاماة عن الدولة
والنضال عن الجملة والاقبال على حقوق ما يعرفه من بركة اصطناع
الرضي واصطفائه وتقديمه على اعمام حشمه واوليائه فارسل
اليه ابو الحسن العلوي الوصي الهمداني في تهنيته بمقدمه واظهار

اليمن بموطئ قدمه وعقد له على بلخ والترمذ وما والاهما وديار هراه
وبست وما تاخمها ودانا بها وتلطف في الاعتذار اليه من امر نيسابور
حرصا على ترضيته وكراهة لصرف كنور من الابعلة بتقضيته
فعلم الامير سيف الدولة ان تلك المناقشة صادرة عن نوبة الحساد
وتلبيس المناوين والاضداد وان دا الحقد ليس له علاج وان
ضلوع النجح بغير فاتحة الاخراج فارسل الى الامير ابي الحرث ثقته
ابا الحسن الحمولي بهدايا تضن بها سمح النفوس وتضيق عن قدرها
رحب الصدور ورسم له ان يحجب سمعه عن تضريب المضربين وتثريب
المثربين ويتلطف لاستخلاص سره له واستصفاء محله قبله لترتفع
الحشمة وتتاكد العصمة وتستحكم الثقة بان يخيمه بعرصة خراسان
عاموا لاته وتدبير اموره وولاياته فلما ورد بخارا اعرض عما وجه فيه
وغرضت الوزارة لموافقة مورده وخلو صدرها عمن يستقل بامرها
فكان مثله كما قيل

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسودد

واشتغل بالوزارة عن حق السفارة واقبل على الامر بوجه المجد
المستبد يريد ستر ما انشق عليه النهر وكتمان ما نم عليه الجهر

ولن يصلح العطار ما افسد الدهر

وانشدني المضراب لنفسه

وكنا نذم الدهر من غير حنكة ۞ ببني سيفه والبلعمي وغيره
الى أن رمانا بالغفيّ بعدهم ۞ وعاندنا في عبده وعزيره
وما قد دهانا بابن عيسى وجوره ۞ وفي ابن أبي زيد الخبيث وسيره
فلم نرض بالمفقود فيهم فأمّنا ۞ بجلٍّ كسير في الورى وعويره

ولما أحس الأمير سيف الدولة بصورة الحال في تناقض الآراء وتخاذل
التدابير والأهواء، واشراف الملك على الضياع بمداهنة النصحاء
واغتنامهم صلاح أنفسهم في وجوه المقاصد والأنحاء عن اجتيان
الى نيسابور على ما كان عليه في جماهير أوليائه وموالية وحين سمع بكتوزون
باقباله تزحزح عن نيسابور قصيًّا إبقاءً على عدته وعتاده وإشفاقًا
على عدد رجاله وأجناده وكتب الى الأمير أبي الحرث بفصوله عن مكانه
أخذًا بالوثيقة ومحاماةً على الحقيقة واحترازًا من غرة اللقاء
قبل تخمير العزيمة والرأي فحملته سكرة الحداثة ونزقة الصبا والغرارة
وقلة النظر في العواقب وعدم الحظ من التجارب على الإغذاذ الى خراسان
فيمن انتهضه الأمر لمصاحبته من وجوه خاصته وسائر حاشيته
وسار الى سرخس كالسهم صادرًا عن وتره والسيل صائرًا الى منحدره
فعلم الأمير سيف الدولة أن قصده إياه من نتاج التغرير وفائل
الرأي والتدبير ومهانة الناصح والمشير إذ لم يكن في منة القوم مقاواته

على شدة بأسه وملاقاته على قوة مراسه إذ لو تقدم فيهم بعض رجومه
لغادرهم رمادًا تذروه الرياح العواصف وتقتسمه الشمائل والجنائب
لكنه رأى أن يغضي جفن الاحترام ويحمي ستر الاحتشام ويرعى سابق
الحق والذمام فخالف طريقه الى مرو الروذ منفرجًا له عن نيسابور الى أن
يتمكن من ارتجاعها ببينة تشترك في معرفتها القاصية والدانية
وحجة على مناويه ومخالفيه تتصورها الحاضرة والبادية وعطف
الى قنطرة راغول فخيم بها مراعيًا لما يسفر عنه التدبير ويتكشف
عن حقيقته الضمير وبادر بكتوزون الى مناخ الأمير أبي الحرث وهناك
فائق في قضه وقضيضه ولفه ولفيفه فلما وصل اليه أنكر محله
لديه لتقصيره في حق مقدمه فجناه عليه وشكا الى فائق ما أنكره فشكا
اليه فوق ما ذكره وتداولا بينهما ذكر معايبه وتقاولا خشونة
جانبه وحزونة أخلاقه وضرائبه وأغريا أهل العسكر بخلعته والتماس
الراحة في الاستبدال به فانخرطوا معهما في جرير المساعدة حرصًا
على لذة الاستطراف واغتنامًا لنهزة الاستضعاف فاستحضره
بحنوه من بعلة اجتماع العسكر لمهم احتيج الى نظره فيه وإشارته
ووجه الصواب في تلافيه حتى إذا حضر حصره ووكل به من سمل بصره
غير آوٍ لفجيعته بطليعتي حيوته أحسن ما كان في رداء جماله وعود اعتدا
ل

وطلعة هلال في روعة عزة وجلال ولقد اجهش اليه عند الاستسلام
في حاجة له ثلاث خفاف المؤنة عليه منها صيانته من قامت عنه عن
ذل المناظرة على مال المصادرة فحايده بخلاف حاجته وتنفيس مسألته
انتهابا لنار الحسرة في صدره مضاعفة لثقل المحنة على ظهره فعل
الموتور بما لا شوى له ولا بقيا معه وعمد هو وفايق الى اخيه عبد الملك
ابن نوح وهو اصغر منه سنا واضعف ركنا فاقاماه مقامه وسدا
به مكانه وملج الناس بعضهم في بعض للفتنة الشاغرة والاحوال
المتنافرة وتنفس الامير سيف الدولة انه قد خيم بقنطرة راغول
نكروا على ادراجهم كاليعافير الراعية راعتها الفوارس ولحاطت بها
الجلاذ النواهس حتى لحقوا اقرانهم بمرو وارسل الامير سيف الدولة
الى الخاملين بالذنب يهجر اليهما ما ارتكباه في ولي النعمة من اذالة الحشمة
واضاعة الحقوق والحرمة غير ناظرين للدين ولا متحرجين لاسلام المسلمين
ولا متهيبين لاحدوثة الشنعاء على السنة الذاكرين مدى دهر
الداهرين واشتدت المراجعة بينهم في احداث الحادث وهما يختلانه
عن انتهاز الفرصة فيهما واهتبال الغرة منهما تطميعا له عن
صاحبيهما في جديد الرعاية ومزيد الولاية وذلك هم بالاحجام على
وجه الاخرام طالبته سعادة الجد بالاقدام وحرضته على الانتقام

للدين والاسلام ثم رأى ان ينحف عن مناخه الى ظاهر مرو ليكون
لطائفه الصلح وجاما او سفائه السيف شفاها ولما تسامع القوم
باقباله دب الفشل في تضاعيف احشائهم وسرى الوهل في تفاريق
اعضائهم واستطار الخوف في مزاج دمائهم ولما سقط في ايديهم
ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا لنكونن من الخاسرين
فابى الله الا ان ينتقم منهم بسيف سيف الدولة جزاء عن فعلهم
الفظيع وخطئهم الشنيع وسعيهم المذموم عند الجميع فصبه عليهم
صب غيث الى الغيث من المرزمين غير انه غيث قطره عيث وغيم حشوه
ضيم وسحاب حمله عذاب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي
ظالمة ان اخذه اليم شديد وبرز فايق وبكتوزون بلواحيهما عبد الملك
ابن نوح وساير اهل العسكر الى ظاهر مرو مقابلين لعسكر الامير سيف
الدولة بعقلين جلادة ويسران بلادة ويقدمان طائر العيون في مجال
خيفة الحرب الزبون فقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت فجيوب الاقطار
عنهم مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجرورة وبجوارح الادبار جوانح
الدهر من خلل اوبالهم محشوة وظل القوم على علم بانهم يبغون
على الدولة وبينهما تنور تهافت الفراش في النار ويقتلون الانصار بسيوف
الانصار كما قال الله تعالى يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين

فاعتبروا ايا الى الابصار وترددت السفراء بينهم وبين الامير سيف الدولة
في مواضعته على سلم يسلمون معها في العاجل من شدة باسه ويفتدون
بها من مرارة كاسه فاحسن الامير سيف الدولة اجابتهم الى مواضعتهم
على علمه باستبطانهما الختل والحيلة واستشعارهما الغدر والخديعة
الزاما للحجة وحسما على الشبهة واعذارا الى الكافة وبراءة من
خطة البغي في دفع المحافة فما كان الا ان قوضت للرحيل خيامه
ونشرت للقفول اعلامه حتى ثاروا يباشرون القوم على اثره لانتهاب
عسكره يظنون بانفسهم الظنون وانما يتعجلون المنون ويدوسون
اذناب الافاعي لو كانوا يشعرون ولما راى الامير سيف الدولة
ركوبهم مقطعة الضلال واقتحامهم مسبعة الاجال معلقين خيوط
الرقاب بالحرص الغالب والطمع الكاذب لا يثنيهم حلمه عن
التسفه والتخبط ولا يحميهم كرمه عن التهور والتورط علم ان
ذلك امر يراد وداء خلطه البغي والعناد وايقن ان رسهم بالفساد
مغمور وان السفيه اذا لم ينه مامور وامر بالثابين فجاش اليهم من
حواشي الجيوش من طبقوهم بالعرض والطول واضجعوهم الا من شاء
الله على صعيد الارض واستخار الله في الكر على بغاة السوء
مجاملا اياهم الى البيض القواطع ومدليا بنبينات الرماح الشوارع

وصفوف من الجيوش

ومستجلا على الانتصاف منهم بشهادات النسور والخوامع واقبل
فرتب الجيوش قلبا كثهلان وميمنة كرضوى وميسرة كابان وحصر
المصاف بزهاء ما يثير من فيلة كرعن الجبال او كدكر السحاب الثقال
مغشاة تجافيف لم يعور منها غير حدق النواظر وحرائد الانياب
الفواقر تهول سواسها عليها بمرهفات كالبروق الخواطف وصفارات
كالرعود القواصف وقد نشرت عليها التماثيل السود كانها الاساود
والاسود تخيل اضطراب الرياح فيها انها تزحف للالتهام او تنقض
للاختطاف الهام وتعالت عليها اطراف العوامل فكانها اجام السوا حل
ثاويها شياطين الانس فرسانا وعفاريت الترك والهند مردا وشبانا
تبص عليهم سابغات داود كصفائح الماء تجلوها الشمس سافرة
وتنزها الشمال سائرة قد جعلوا الدروع وقاية الاجسام وظاهروا
عليها بالقلوب حرصا على الانتقام فهم يانسون بمباشرة القتال
ومشاورة الابطال واستشارة المنايا عن مرابض الاجال انس العيون
باناسيها الباصرة والقلوب بامانيها الحاضرة ووقف الامير سيف
الدولة في القلب بنفسه واخويه نصر واسمعيل ابنى ناصر الدين سبكتكين
وعمه بغراجق فكانما عناه ابو فراس بقوله
علونا دوشنا باشد منه واثبت عند مشتجر الرماح

بجيش جاش بالفرسان حتى ظننت البر بحرا من سلاح
والسنة من العذبات حمر تخاطبنا بافواه الرياح
دلاوع جيشه ليل بهيم وغرته عمود للصباح
صفوح عند قدرته كريم قليل الصفح ما بين الصفاح
فكان ثباته للقلب قلبا وهيبته جناحا للجناح

وزحف بهم نحو الخصوم على هيبة وافرة وهيئة حاضرة فكانت الارض تمور والجبال تثور والنهار الناهر يحول والفلك الدائر يزل او يزول ونذر القوم باقدامه واقبال الويته واعلامه فقامت عليهم القيامة واستفاضت فيهم الحسرة والندامة واقبل بعضهم على بعض يتلاومون على ما ارتكبوه من الامر الادم واجتلبوه من التسليم الاد وحفزهم حافز الضرورة عن الاشورة ففزعوا الى الاحتشاد وبعثوا بالركوب الى القواد والافراد وبرزوا من جدران المدينة في اقواف واصباغ يوم الزينة وهم اكثر ما كانوا قط في معركة لحشرهم من اطراف خراسان وما وراء النهر من كل فارس وراجل وحامل عضب او عاسل سوى من استبقتهم تلك الدولة من كل فحل بازل وبطل باسل وشجاع مقاتل واقاموا الصفوف على الموازاة قلبا كمجتمع الليل وميمنة كمندفع السيل وميسرة مشحونة باشاهب الخيل وماج الفريقان

بعضهم في بعض كالجراد المنتشر ضربا يزيل الرؤوس عن العواتق ويبين الزنود عن المرافق وطعنا يهتك ودائع الصدور ويردم مدارع النحور والشرور رشقا يصيب سواد الابصار ويطلب وراء الفقار مضجع القرار واشتدت الحرب حتى تقلصت الشفاه وتغضنت الجباه وتقطعت الانفاس وتحيرت الفرسان والافراس واغبرت الافاق واحمرت الحماليق والاحداق وخاض الامير سيف الدولة غمرة الحرب يجذب بالاوهاق مطالع الاعناق ويختطف بالارماح ودائع الارواح ويقبض بالاسياف مجامع الاكتاف حتى رويت الارض من زلال الحلوق وغرقت الحوامي في نواعر العروق ودامت على حالها في الاحتدام والاضطرام والافتراس بانياب الحمام من حيث استقلت الشمس اصيلا على الجبل الى ان نفضت ورسا على الاصل فاضطرب القوم ضجة من حر المناصل وضيقا بوخز العوالي والعوامل فتداعوا بحملة تكشف عنهم غمة القتال بفيصل الادبار والاقبال فطرحوا الميمنة على الميسرة وهم يظنون ان ذلك ظنونا ويخطبون من بنات الاماني ابكارا وعونا وابى الله الا ان تنعكس عليهم ما ظنوه ويحيق بهم وبال ما سنوه حتى ركبوا من ولي النعمة ما ركبوه اخفارا للذمة وانتهاكا للحرمة واذالة للحشمة واضاعة لحق نعمة فالهم الله الامير سيف الدولة ان يزحف اليهم بسواد موقفه فلم يكن الا صدمة واحدة حتى

زلت الأقدام عن مقارها وتهافتت الرقاب عن مزارها وجعلت
تساقط أشخاص الألوية والمطارد وتبرد النفوس عن ضرب السيوف
البوارد واستمرت الهزيمة بالظلمة عند اعتكار الظلام فطاروا بين
الأقطار كل مطار وسفت بهم سافية الدمار والإدبار فلم يبق منهم
بعدها آثار عند تنازل الأقران وتناوب الضراب والطعان ذلك
ذكرى للذاكرين وكذلك يفعل الله بالظالمين وجفل عبد الملك بن نوح
الى بخارا ومعه فايق في أتباعه وانتقذ كتوزون الى نيسابور في أشياعه
وأبو القاسم الى قهستان وصاروا احزاب مزق وعباديد شذر مذر وأصبح
سيف الدولة قد أنجز الله له وعده ونصر جنده وجده وأسعد
على رغم المعاندين جده وأعلى يده وأورى زنده وساق اليه هدي الملك
على غير مهر سوى الشكر ولا صداق سوى الاستحقاق وورث دولة آل
سامان وملك ديار خراسان سنة تسع وثمانين وثلثمائة ورأى أن يعجل كتوزون
وأبا القسم السيمجوري عن التجمع ثانيا والتحزب بالالتقاء آنفا فانحدر
الى طوس في البحر الأخضر من رجاله وأفياله وطار كتوزون في جناح الهلك
حدود جرجان وقفى السلطان على أثره بارسلان الجاذب فجعل يطرده
طرد الشهب أشخاص العفاريت حتى نفاه عن تخوم خراسان وولاه السلطان
ناحية طوس ورتبه بها فيمن ضم اليه من قواده وسار الى هراة مطالعا

لأعمالها ومجددا للعهد بأحوالها فلم ينشب كتوزون حين سمع بانثناء
عنانه عنها أن كر الى نيسابور فملكها ثانيا بناء على أنه يناضل عن دولة
قد حم حمامها وانقضت أيامها وناحت عليها أصداؤها وهامها
فلم يزد على أن جشم السلطان كلفة الكر عليه قبل أن اطمأنت به
قعدته وخفت على طرفه لبدته فجفل عن نيسابور على سمت أبيورد
وشد السلطان عليه الطلب فركب المفازة الى مرو متشبثا بالوحا
على الحيوة ومستظهرا بالنجا على النجاة وخلص الى مرو وفيمن أعانتهم
فراهة المراكب وقوة الصبر على وعثاء تلك المهارب ورام أن يتمكن
ويتحصن بها فمانعه أهلها موالاة للسلطان وشكرا لما وسعهم من العدل
والإحسان فشن عليهم غارة شعواء وخبطهم بالسيوف خبط عشواء وركب
مفازة آمل حتى عبر النهر الى بخارا ولما خلت خراسان من عتوه وعتو أصحابه
سرب السلطان ارسلان الجاذب في الطوس الى قهستان ليقبضها على
أبي القاسم بن سيمجور اذ كان نظر الظنون في تدبيره ويطمع في الارتياش
عن خيره فواقعه بها وطرده الى نواحي طبس عنها وولى السلطان أخاه
الأمير نصر بن ناصر الدين قيادة الجيوش بخراسان ورتبه بنيسابور على ما كان
يليه آل سيمجور على قديم الزمان وامتد الى بلخ مستقر أبيه ناصر الدين
فاتخذها حضرة الملك ودار السلم ولما انتهى السلطان الى غرض

حدود مرو الروذ منصرفه اليها ركب على رسم التصيد في خف من العدد
ومعه اخوه اسمعيل بن ناصر الدين وقايد من قواد ابيه يعرف بنوشتكين
كاح فدونت احساسه مال امره على يده لا غير اذ كان كاحد رفقايه
في الاثبات والاطلاق والاحسان والارفاق فبينا السلطان في شرة الاقتناص
اذ حانت منه التفاتة فاذا هو قابضا على قبيعة سيفه يروم انتضاه
وقد رمى وجه اسمعيل يطلب ايماه ولاح للسلطان انه اسمعيل عليه
بدلايل رمزه وايماضه وشواهد ارتياعه وتعاصيه غير ان استشارته
اياه فيما جناه قد فرشت له بساط التهمة وجرحت منه جارحة الثقة
وبادر السلطان الى مضربه وقد امر بالاحتياط عليه وقته وحكم فيه خواص
غلمانه فاخذته السيوف حتى تطايرت اعضاؤه وتناثرت عليه اوصاله
ولجزاوه ثم دعا اسمعيل فادلى بعذره وجحد العلم بما ابداه الخاين
الخاين من خابية سره وجرت مخاوضات ومفاوضات اقتضاه آخرها
ان يستوثق منه لنفسه وملكه اذ كان لا يلتقي سيفان في غمد ولا يجتمع
فحلان في شول وبلغني ان السلطان بعد استنزاله اياه عن القلعة
بغزنة بسط منه في بعض مجالس انسه وبلجت بلسان الاستدراج
عند حثث السقاة عما كان ينويه في معاملته ان لو ملك من امره ما ملكه
هو منه فحمله سلامة صدره ونشوة خمره على ان قال كان ذا بي

فيك ان اوعز بك الى بعض القلاع موسعا عليك فيما تقترحه من دار
واغلية وجوار ورزق على قدر الكفاية دار فلما ارتاب السلطان
عند الحادثة به عامله بعين ما نواه وقابله بجنس ما ابداه واستودعه
والى جوزجان ابا الحرث ممكنا فيما يشتهيه ممتعا بمثل ما كان ينويه فلله
هذا الفعال الذي طرز ديباجة الكرم وعنبر في مساعي ملوك الامم
وقد يستغرب هذا الا بتجاح من وجه وان كان لا يستبدع من آخر
لان هناك عاطفة القربى والرحم ولكن الشان في الاجانب الذين تعلق برقابهم
الاجرام الفادحة والجنايات الفاحشة وكيف يسلط فيهم رايه على
هواه ويستبقي الجاني بما جناه فلم يسمع باعف منه في الجنايات سيفا
ولا احسن على فورة الغضب صبرا وانجح لمذ الخصلة الفاضلة بان
الملك الحازم يسلب الجاني في حال سخطه ما يمكنه الوفاء بعينه عند رضاه
وجرح المال يوسى بالتعويض والاخلاف واما النفوس فليس لاتلافها تلاف

ذكر الخلع التي افاضها القادر بالله امير المومنين على السلطان يمين الدولة وامين الملة ابي القاسم محمود بن سبكتكين

اوجب القادر بالله امير المومنين له خلعا لم يسمع بمثلها محمولة
من دار الخلافة ولقبه في كتابه يمين الدولة وامين الملة لقبا

كان مصونًا في صدف الشرف لم ينله قط الأيدي الغاصبة على
كثرة الطلاب وتنافس الملوك في الألقاب فتبوأ سرير الملك
واجتاب خلعة المجد وأذاع شعار الطاعة لأمير المؤمنين وخليفة
رب العالمين وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين مقيمين رسم الخدمة
وملتزمين حكم الهيبة وحبسهم بعد الإذن العام على مجلس الأنس
وأمر لكل منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه أوليائه وحاشيته
بحبابة يوصف من روائع الخلع والصلات ونفائس الأحبية والكرامات
بما لم يتسع بمثله ملك ملك ولم تقف ببعضه ضمير أمير واستجابت خراسان
لأمره وفرعت منابرها بذكره واتسقت الأمور عن آخرها في كنف الأمنة
واستوسقت الأعمال في ضمن كفالته وفرض على نفسه في كل عام
غزوًا في الهند ينصر به الدين ويقمع به أعداء الله الملحدين وكتب الله
له أجره وأحسن نصره كذلك قال الله في محكم كتابه يا أيها الذين
آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم

ذكر انصراف عبد الملك
ابن نوح إلى بخارا

ولما وصل عبد الملك بن نوح إلى بخارا في الفلّ وتبعه فايق في تلاحق
به بكتوزون في أصحابه وأولياء عبد الملك في مضامنه طمعوا آنفًا
في الاستقلال وتمكنوا لأنفسهم بطالع الإقبال وتحدثوا بالاحتشاد
لاستئناف القتال فاخترم من بينهم فايق في شعبان سنة تسع وثمانين
وثلثمائة وهو وجه الزمرة وطراز الحلة وعمدة الجملة والملقب بعميد الدولة
فتمكن الانخزال من عضدهم وسرى الانحلال في أمورهم وانحدر
إيلك خان إلى باب بخارا يظهر لعبد الملك سائر إنجاده وإحياء موالاته
خداعًا واحتيالًا وممالاة استدراجًا واغتيالًا وهم يظنون استظهارًا
على ما عراهم واحتياطًا لما شذ عنهم مغترين عن واجب الاستبصار
والاحتراس عن حبائل الأوتار حتى آنسهم بلطائف بره وإقباله وأطمعهم
بزخارف أقواله وأفعاله وركب إليه بكتوزون وسالتكين الفائقي وسائر
قواد عبد الملك صباح يوم فلما اطمأن بهم المجلس أمر باحتفاظهم
والقبض على أصحابهم ودوابهم واستلاب أسلحتهم وأسبابهم فلم ينج
منهم إلا الفذ ذات الشذ النادر المبادر وبلغ الخبر عبد الملك
فوجد عدته قليلة وقوته مستحيلة فلم يجد غير الاستخفاء حيلة
ودخل إيلك بخارا ليوم الثلثاء العاشر من ذي الحجة سنة تسع وثمانين
وثلثمائة ونزل دار الإمارة وبث عليه عيون الطلب وطلائع الرغب
والرهب حتى ظفر به فحمله إلى أوزكند فمات بها وطفئت بقية الشعلة
من دولة آل سامان بما وراء النهر وأطراف خراسان فصارت كأن لم تغن
بالأمس

كدأب الدول الماضية والقرون الخالية إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون

ذكر خروج أبي إبرهيم إسمعيل بن نوح المنتصر وما جرى بينه وبين ايلك الخان بما وراء النهر وبين صاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين بخراسان

كان سبب خروجه انه لما تمكن ايلك من بخارا قبض على أبي الحرث المكحول وعبد الملك وأبي إبرهيم وأبي يعقوب بني نوح بن منصور الرضي وعلى أعمامهم أبي زكريا وأبي سليمان وأبي صالح الغاني وغيرهم من الأرومة السامانية وأمر باعتقالهم ورسم إفراد الأخوة منهم في حجرة على حدة احتياطا لنفسه بتفريق ذات بينهم عن تمكينهم من اقتضاب الحيل واختلاق الأراجيف واحتال أبو إبرهيم المنتصر للتخليص من معقله في زي جارية كانت تتناوبهم لمطالعة أحوالهم ومراعاة أوقات أقواتهم فكانت حاله في الخلاص موافقة لحال الكميت حين استغشى ثياب طلته وانسل عن عيدان الاعتقال لمهجته ثم أنشأ يقول

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوابح والمشلي
علي ثياب الغانيات وتحتها صريمة ليس أشبهت سلة النصل

واستخفى المنتصر بعد خلاصه عند عجوز من أهل بخارا الى أن أنس

حيلة عجيبة

منه الطلب ثم سار الى خوارزم كالحسام القاضب بل الشهاب الثاقب متجردا للانتصار مستعينا بالله على درك الثار وتلاحق به من ند وعار وانجد وغار من بقايا القواد والأجناد السامانية في أطراف خراسان حتى اجتمع شمله وكثف خيله ورجله وركض ارسلان بالو الحاجب الى بخارا وبت الخاينة بها تحت الأراجيف وشغلهم بحقائق السيوف البوارق عن مجاز الأحلام الطوارق وقبض على جعفر تكين وعلى بضعة عشر نفسا من أعيان القواد الخانية وحملهم في وثاق الأسر الى الجرجانية وأقلت الباقون بجريعة الأذقان نحو ايلك الخان فركب ارسلان أكتافهم يحثهم حث الشمال قزع الخريف فطرحهم الى حدود سمرقند وما يليها مقتفيا آثارهم وكاسعا أدبارهم ووافق بقنطرة كوهك تكين خان في عسكر جرار نائبا عن ايلك في حراسة سمرقند وما يليها فانتدب لمناجزته واستعان بالله وسائر أصحابه على مبارزته فنصب ارسلان له وجها وقاحا وأضرم عليه الأرض كفاحا فولاه ظهر الأدبار واتقاه بعوذة الفرار وغنم ارسلان ومن معهم أموالهم ورموا بتلك الأنفال أحوالهم وعاد أبو إبرهيم المنتصر الى بخارا فاستبشر أهلها بعوده على مراده وبلغ ايلك خبره فجمع أحابيش الترك وصمد صمده في العدد الدثر فخرج ارسلان راجعا الى المنتصر واقتضاه الاحتياط عند ذلك العبور الى آمل الشط فوافاها

وجبابها وضاقت به وبعسكره فركب المفازة على سمت ابيورد فملكها
وسار عنها قاصدا قصد نيسابور وبها صاحب الجيش نصر بن ناصر الدين
والتقيا على ظهر نيسابور ودارت عليهما رحى الحرب يفصلون بابيض
البوارق ما بين الطلى والعواتق ويفرقون بمرهفة في الهام ضرب القدار نقيعة
القدام ولما اشتدت وطأة الحرب على صاحبها ومرت كأسها على شربها
وتكاثفت جموع ابي ابرهيم المنتصر على اصحاب صاحب الجيش ابي المظفر
اقتضاهم الاحتياط ان يتحيزوا الى جانب هراة انتظارا للمدد واستشرافا
لمأمول صنع الله في الغد فحثوا ظهور الخيل بين ذيول الليل حتى تناءت
عليهم لمنة بين حدود البوزجان وتمكن المنتصر من نيسابور وانضم اليه
من شذاذ العسكر الجمع الكثير والجم الغفير وبلغ السلطان يمين الدولة
وامين الملة خبره فاستركب خيله من ان تربص بينهما ليلة وسار سير
الخبب يطوي الارض طي السجل للكتب حتى انقض على نيسابور انقضاض
بني الهوا على بنات الماء ولما تسامع المنتصر باقباله انحدر الى اسفراين في
عامة رجاله وبث اصحابه في ارساتيق الجباية اموالها وازاحة اطماع
جنتهم بها فازعجه الطلب للحاق بشمس المعالي قابوس بن وشمكير
مستصرخا اياه ومؤملا غوثه وجدواه فتلقاه بجميل ثمناه ومهد
له ذراه واعطاه حتى ارضاه وكان مما امر بحمله اليه صفقة واحدة

عشر دواب بمراكب الذهب وثلثون بمراكب الفضة وثلثون من العتاق
الجياد بالبراقع والجلال وعشرون بغلة بمراكب الذهب والفضة وثلثون
اخرى مقرونة بخمسين حملا موقرة احمالا وثقالا من البسط النادرة والفرش
الفاخرة من حصر طبرستان وسائر الطرائف المجموعة الخزائن بجرجان واضيف
الى ذلك الف الف درهم وثلثون الف دينار ومائة وخمسون تختا من الديباج
التسترية والسقلاطونيات العضدية والحلل الفخرية والخزوز الطا قية
وسائر الثياب المصرية وامر لاهل عسكره بعشرين الفا بينهم معونة لهم
على عوارض حاجاتهم واشار على المنتصر بقصد الري اذ كانت معرضة لقصادها
بتخاذل اهوائها وتواكل اوليائها واشتجار الفتن والاحن بين الذابين
عن فنائها على ان يمده بولديه دارا ومنوجهر في جيوش الجيل والديلم
ووجوه الاكراد والعرب ليستظهر باستخلاص تلك الولاية ويبلون ما ينويه
من معاودة خراسان عن ظهر الكفاية فقبل الاشارة وقدم الاستخارة
وسار حتى خيم بظاهر الري فاحس اهلها منه بام الربيق على اريق
وقاءت الري افلاذ كبدها فاناخوا قبالة المنتصر ودس الخلفاء بتلك
الدولة الى ايلانخو وابي القاسم بن سيمجور وغيرهما من اولياء المنتصر من
اطمعهم في مال تحمل اليهم سرا على ان يثنوا عنهم عنان المنتصر بوجه من
وجوه اللطائف والحيل فانخدعوا لتسويلهم وطمعوا في تأميلهم ونصحوا

للمنتصر بان قد ملك من يجله ملوك الشرق على جلالة اقدارهم ونفاسة
اخطارهم يجل عن مناواة قوم يدّعون فيك قرابة ويفترضون لك
طاعة ومهابة وموالاة لمن يجر النار الى قرصه بالتعويل عليك ومغزاه
ان يحترش الافعى بيديك فله الغنم ان قدرت وعليك الغرم ان عجزت
فلقنوا المنتصر غرارة دربته وزينوا له الملك بخراسان ورواءه فانحل من
باب الري يريد الدامغان فانفرد ولدا شمس المعالي عنه عائدين الى جرجان
فخنس نجم ذلك التدبير وانحل عقد ذلك التقدير واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وامتد المنتصر طلقا الى
نيسابور وبها صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين فاشفق من زلة
القدم كالتي حدثت من قبل فاحتاط بالانحياز الى بوزجان ودخل
المنتصر نيسابور في شوال سنة احدى وتسعين وثلثمائه وبث عماله في جباية
الاموال ومطالبة من ظفر بهم من العمال واستمد صاحب الجيش السلطان
يمين الدولة وامين الملة فرسم للحاجب الكبير التونتاش والهراة البدار اليه
في معظم الجنود من شجعان الترك وسرعان الهنود حتى اذا استظهر
بذوي الغناء في حومة الهيجاء كر عائدا الى نيسابور وتلقاهم المنتصر
بارسلان بالو وابي نصر محمود وابي القاسم بن سيمجور فالتقوا على حرب
تحطمت فيها الصفاح المشهورة وتقصدت الرماح المطرورة وعريت

عندها الكواكب المستورة ثم شاعت الهزيمة في السامانية فولوا
على ادبارهم نفورا وكان امر الله قدرا مقدورا ودخل صاحب الجيش
ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين نيسابور وقد زينت له كالهدي
على زوجها الكفي واقيمت له النثارات كما تنهال في النجوم السايرة
وتتراى الثلوج المتطايرة وركب المنتصر سمت ابيورد والطلب على
اثره حتى وصل الى جرجان ولما تسامع امير شمس المعالي بنبائه ناداه بزهاء
الفين من انجاد الاكراد فالجاوه الى الارتحال وايسوه من طلب المحال
فكر على ادراجه تائها في البغي وانما ترك الراي بظاهر الري وقد كان
المنتصر يحقد على ارسلان بالو تسحبه عليه وتشططه في المطالب
بين يديه ومنه عنه الراي فيما ينحوه ومراجعته القول عن كل ما يقوه به فوه
وانضاف الى ذلك اتهامه بالتخاذل في الحرب التي انهزم فيها عن وجه
صاحب الجيش ابي المظفر لنفاسته على ابي القسم سيمجور مكانته من اختصاصه
وايثاره وغيرته على الشركة الواقعة به في شغله ومقداره فحمله ما احتساه
من الكرب على التشفي باراقة دمه والاستراح الى انتهاك وجهه ففتك
به فتكة انست فتكات الاسلام وشفت نفسه من الداء العقام
مثل وتجمع اهل عسكره لانكار ما فعله واي لم وقد سبق السيف العذل
وقام ابو القسم السيمجوري مصانعا لهم عن المنتصر بلسان المعتذر

حتى خمد التهابهم، وسكن هيجهم واضطرابهم، وتوامروا بينهم على
قصد سرخس لاستطعام بني عمير أهلها المعروف، وكان أبو بالفقيه
إذ كان قد رغب المنتصر في إنفاده وإنجاده، وإيثاره بغلته وعتاده،
فركبوا المسافة إليها على طريق أبيورد، حتى وردوها وجبوا أموالها،
وارتاشوا بما سنح لهم الزعيم بها، وحين علم صاحب الجيش اجتماعهم
على مضغ الأباطيل بينهم، دلف إليهم في سراة الكماة، لطردهم عن شريعة
الطمع، وإن عاجهم عن خطيرة الأمل، ووصل السير بالسرى حتى أشرف
على سرخس في الهيئة المشهورة، والهيبة الموفورة، وبرز المنتصر إلى ظاهرها
فخيم بإزائه، واستعد للقائه، وتحايشا للقتال، فاستك سمع
الهواء من قرع الحديد بالحديد، ورويت صدور العوالي من موارد الوريد،
وبلغ كل من الفريقين غاية الإمكان في منازلة الأقران، ومناوشة
الضراب والطعان، محاجشة عن خيوط الرقاب، وتفاديا عن سوء الذكر
على تناسخ الأحقاب، غير أن فضل الله أغلب، وأمره أنفذ، وله الحكم
في تبديل الأبدال، وتصريف الأحوال، ونقل الأملاك من وال إلى وال،
وهبت لصاحب الجيش أبي المظفر قبول الإقبال، فتمزق صف المنتصر
عن هزمى عوابس الوجوه، وجرحى بأنياب المكروه، ولم ينشب صاحب
الجيش أن أتاه بعض العرب بأبي القاسم السيمجوري في قلادة من الوهق

على بقية من الرمق، وأردف بتوزتاش الحاجب، وكان بإزاء المنتصر
جلدة ما بين العين والحاجب، وانضمت حبالة الأسر على معظم ذلك العسكر،
فحملوا إلى غزنة على جملة لا يتميز فيها المملوك من المالك، مقرنين في
الأصفاد، وسار المنتصر سير المضطر لا يلوي على غير اعتساف
المسالك، وارتكاب المهالك، وقفل أبو المظفر نصر بن ناصر الدين قد أعلى
الله كعبه، ورفع قدره، وأطعمه نصره، وأطاب بين الخافقين ذكره،
وأنشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه فيه يذكر ما أتيح له من هذا الفتح
الرائع منظره، الرائع خبره،

تبلجت الأيام عن غرة الدهر ... وحلت بأهل البغي قاصمة الظهر
وولى بنو الأدبار أدبارهم وقد ... تحكم فيهم صاحب الجيش بالقهر
وقد جا نصر الله والفتح مقبلا ... إلى الملك المنصور سيدنا نصر
غياث الورى شمس الزمان وبدره ... ومن هو بالعليا أولى أولي الأمر
فيالك من فتح غدا زينة العلى ... وواسطة الدنيا وفائدة العصر
أبى الله إلا نصر نصر ورفعه ... على قمة العيوق أو هامة البدر
ولله صدر السرير كأنه ... لنا فلك بالخير أو صدف بحري
وخوله دون الملوك محاسنا ... تبره على الشمس المنيرة والقطر
إذا ذكرت فاح الندي بذكرها ... كما فاح أذكى الند في وهج الجمر

فتى السن كهل العلم والرأي والحجى يعم بني الآمال بالنائل الغمر

له همة لما حسبت علوها حسبت الثريا في الثرى أبدا تسري

غدا لعباد المسلمين وناصرا له الله راع قد تكفل بالنصر

أيا أيها الملك الذي ترك العدى عباديد بين القتل والكسر والأسر

قدمت قدوم الغيث أيمن مقدم فحليت وجه الدهر بالحسن والبشر

ألست ترى كتب الربيع ورسله يقولون هذا الربيع على الأثر

نسيم نسيب الحيوة بلطفه تجر فويق الأرض أردية العطر

وترب بأنفاس الربيع معنبر فيالك من طيب ويالك من نشر

وغيم يحاكي راحتيك كأنه على المسك والكافور يهطل بالخمر

فروح بشرب الراح روحك إنها لفي تعب من وقعة البيض والسمر

ودم لاقتناء الملك في أكمل المنى وفي أرفع العليا وفي أطول العمر

وأنشدني أبو سعيد بن دوست لنفسه فيه

لنا أمير المظفر العالم العادل فينا أبي المظفر نصر

كرم في شجاعة وسخاء في وفاء ودولة مع نصر

وبه نقطع الكروب ونفري وبه نقطع الخطوب ونصري

وانبعث الركض بالمنتصر إلى مجال الأتراك الغزية ولهم صغو إلى الدولة السامانية فأخذتهم الهزة لمرضاته وحركتهم الحمية لعونه على شانه

وتذاكروا بينهم شرف آل سامان وما يعرفون قديما من بركات ذلك البيت القديم والشرف العميم وسار مصعدا بهم حتى لحق بايلك الخان وذلك في شوال سنة ثلث وتسعين وثلثمائة وعندها دلف ايلك سنة ٣٩٣ للانتصار من المنتصر في جيوش الترك يستعر في طلب الثار استعار النار حتى أناخ بحدود سمرقند وشاور الغزية بإقدامه وتوامروا بينهم على بياته فأجمعوا الركض عليه فحثوا الخيل تحت الليل حثا يكاد لا ينتعش الأرض بوطي أقدامها وأشعر النجوم بأشخاص ألويتها وأعلامها حتى أوقعوا به وانتهبوا أجل سواده وقبضوا على جلة قواده وانقلبوا بغنيمة إلى أوطانهم عند حصول البغية فاستأثروا على المنتصر بالأسرى طمعا في الفدية ثم بلغ المنتصر تنازعهم للأمر بينهم في موالاتهم ايلك عليه وإفراجهم عن الأسرى تقربا إليه فرابه ذلك من أمرهم ريبة لا تأخذ الأرض معها بقرار ولا تكحل عينه عندها بغرار فاختار من جريدته قرابة سبعمائة رجل ركبانا ورجالا خفافا وثقالا وطاف على المعابر فإذا النهر جامد وأمل الشط في بعد أمد ففرشوا النهر بأتبان الأرز حتى أمكنهم العبور وتبعهم الطلب فمنعهم خوف المعبر من قصد المنتصر وأرسل هو عند قراره بآمل سوارا إلى الشطر يمين الدولة وأمين الملة يذكره

بحقوق سلفه عليه، واشتداد الامر في اشبال العداة عليه، وانه له
بحيث يرتبه فيه طاعة له واخلاصا في هواه، واظهر الانقطاع
الى كنف قبوله واشباله، والافتقار الى معونته بماله ورجاله، وامتد
من آمل الشط الى سواد مرو احتراسا من معرة الترك في العبور على
الاطراف في الفلك، وارسل الى ابي جعفر المعروف بخواهرزاده وكان رجلا
من جملة الزعماء رفعة الزمان في دولة آل سامان يستميحه المعونة
بما يفضل عن سعة يده من مال وسلاح فرد الرسول على غير وجه الحرية
والارتياح بمحل الانسانية ولم يرض بالرد حتى خرج اليه مقاتلا
وبالجفاء مقابلا، فحمل اصحاب المنتصر عليه حملة فرقت جمعه جملة
وتلاه الى مسافة ابيورد حتى وافاها في شهور سنة اربع وتسعين وثلثمائة ٣٩٤
واوجب السلطان اكرام رسوله وتحقيق مأموله وصلته بصدر من المال
يجبر خلته، وخاطب ابن خواهرزاده بخدمته وتقرب مرضاته وترك الانحراف
عن مراده، فاضطره الامر الى طاعته حين شاعت شبهة البخل عليه
واستطارت شناعة اللؤم بخدمته، وقد كان ابو نصر احمد الحاجب
لما تسامع بقدوم رايات المنتصر كاده على صاحبه واظهر الانقطاع
الى جانبه واقام له الخطبة بنسا مظهرا طاعته ومستنفدا في نصرته
جهده واستطاعته، ولما احس اهل نسا بركون ابي نصر الى اتباع رايته

الخلاف، اشفقوا على انفسهم من عاقبة الاتهام بموالاته في الاشتراك
في جناياته، وكاتبوا خوارزمشاه مستميحين عليه، فنهض ابو الفضل الحاجب
احد اعيان ذلك الباب الرفيع لازالة شره وكفاية امره، وكان ابن احمد
المنتصر فتظافرت العدة وتوافرت العدة، وصمد الى محوشان
من رستاق استوا، وناهضهم ابو الفضل في رجال خوارزمشاه فاتفق
التقاؤهم على الحرب ليلا بمرأى من النجوم الشوابك حيث لا يدري الضارب
مضروبه ولا يبصر الراكب مركوبه، فاختلط الفارس بالراجل والنابل
بالنابل، وتضاربوا ما بين الشوى والمقاتل، وتطاعنوا بكلى ومخلوجة
كرك لامين على نابل، وتصدع شمل الفريقين قبل ان صلح الليل
صباحه ونفض النجم على الغرب وشاحه، فلم يشعر احد بما جنته يد الظلام
على حماة ذلك الجيش اللهام حتى استفاض ضوء النهار، فاذا ابن احمد
قتيل وابن حسام الدولة لبي العباس تاش الى جنبه صريع، وتفرق الباقون
عباديد بين اقطار المهامه والبيد، ووقع المنتصر الى اسفراين فمانعه اهلها
حذر المحنة وخيفة الهرج والفتنة، فانثنى على ادراجه في شرذمة من
اصحابه يقطع الارض طولا وعرضا حتى انتهى الى بعض حدود سرخس
فاقام هنالك ريثما لاحق به الفل، وسار حتى عبر النهر من ساحل قبطر
وبرز شحنة بخارا في طلبه، وسدوا عليه وجوه مهربه، فركب غربة الرجال

في ثبات القوم وثبت بعضهم للبعض جلادا بالدبابيس والحراب
واغماد السيوف في قراب الرقاب فجد المنتصر في الامر واشتد ونجا
براسه ولم يكد وصار القوم الى دبوسية من الصغد مستنجدين من بها
من العمال وتفاريق الرجال وفر المنتصر الى ثغر النور وركض منها
عليهم ركضة اقتسمتهم بين اجتياح واجتناك واصطلام واجتثاث
وما يليه المعروف بابن علمدار رئيس الفتيان بسمرقند فاتاه في ثلاثة الاف
رجل ونفر اليه مشايخ اهلها بثلثماية غلمة على سبيل بر وخدمة
ووصلوا بها دراهم تضاهيها ونثارات تدل على اخلاصهم فيها وتحافي
اليه الغزية فاشتعلت جذوته وتراجعت قوته ولما سمع ايلك الخان
بتجدد شوكته واشتداد وطاته زحف اليه في احلاس الذكور من
ديارات الترك واشتبكت الحرب بينهم بقرية بعهد من حدود سمرقند حتى
نفدت النبال وتكسرت النصال وتحطمت السمر الطوال وخان الخاني
مقامه وانفض عنه اقوامه واتفقت الغزية في طلاب الاسلاب
حتى ردت ايديهم بالسبايا والنهاب والغنايم الرغاب وذلك في شعبان
سنة اربع وتسعين وثلثماية وعاود الخان ارض الترك فضم النشر ونادى
بحشر ثم كر على ثاره وبث على المنتصر شرر ناره ووافق اقباله
تراجع الغزية الى اوطانهم بما نهبوه على عاداتهم في حفظ ما غنموه واستانف

الحرب على فضاء بين ربنجن ودرك خلوص من شدة وشنعة واستتار المعروف
كان بابن الحسن طاق الى الخان في زهاء خمسة الاف رجل من رفقائه عند التقاء
جمرة المصالح واشتداد زفرات القراع واضطر المنتصر الى الانهزام
وحكم الخان في اهل عسكره سيوف الانتقام حتى رويت الارض من
دمائهم وشبعت النسور من اشلائهم وصار المنتصر الى شط جيحون
فعبر على الجمد لعدم السفاين وغلق المعابر ومضى الى ادخود من ارض
الجوزجان مختشما من ركضة الخان وامر باستيفاق الدواب الراعية بها
واقتسامها بين اهل جملته وركب المفازة الى القنطرة راغول ولما بلغ
السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره اسرع الى الحضرة البلخية لاحالة
عن نفسها امره او استفحاله واتبعه فرعون بن محمد في اربعة الاف من قواده
لطرد سواده وحصد نساه فاعجزهم المنتصر وسار الى الجنابذ من قهستان
ضرورة اذ كانت جيوب الافاق عليه مزرورة فحيث ام شهرت عليه السيوف
واني اتجه ثنت به الحتوف ودلف اليه صاحب الجيش ابو المظفر نصر
ناصر الدين في طغانخين والى سرخس وارسلان الحاجب والى الطوس يخشون
الظهور في الطلب بين فرق علائهم بين الركض والخبب ففاتهم الى
جومند ومنها الى بسطام فرماه شمس المعالي قابوس وشمكير بزهاء
الفين من الاكراد الهجانية فازعجوه عنها الى البيار راجعا باللوم

على من لقنه الانحدار ولما ضاقت عليه المذاهب واحاطت به المعاطب
بادر الى كورة نسا بدار من لا يمكث بدار ولا يوطي الارض جنب قرار
وتلقاه ابن سرخك الساماني بجناب نزه له الانفتال المضامته
على ايلك الخان موازرة وموازاة ومطابقة للخان عليه ومواطاة فنه عنه
نفسه تقديم اجابته طمعا في وفائه وتاميلا لعونه على ذماته قرب
الخطر وسار حتى اذا بلغ بيرجاه من مفازة آمل سبقه خيله الى
الشط فوافق ذلك جمود جيحون فاغتنموا امكان قنه خلاصا مما منوا
به من مكابدة الاسف وعدم الاستقرار ووصل سهر الليل بداب
النهار وتبادروا في العبور الى مسلمة الحاجب وصاحبي حاجبي ايلك الخان
وعرفوهما ان الساماني بالقرب وان المجن طحطحته والحوادث قد طحنته
فهو خلسة الطامع ونهزة الطالب وطعمة الانياب والمخالب فلم يرع ابو
ابرهيم المنتصر الا بالخيل مطلة عليه فطاردهم ساعة ثم ولاهم ظاهر
الفرار وقبض على اخويه وخاصتهما برباط بشرى وحملوا الى اوزكند
اسرى فاحال المنتصر هربه حلة ابن بهيج الاعرابي من حلة السيارة
في تلك المفازة ليقضي الله امرا كان مفعولا وكان المعروف بماه روى
سدارا من جهة السلطان فيهم وقد ارصدهم بالقعود له في كل مرصد واذكا
العيون عليه عند كل مورد فلما لبس الليل حلة الغبش وعرض

على الليل جيش الحبش وثب اهل الحلة على المنتصر جهلا وغباوة
وقساوة وشقاوة فاخفروا حق مقدمه واحلوا الارض حرام دمه
فكانما عناه ابو تمام بقوله حيث يقول

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة تقوم مقام النصر اذ فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
فاثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت اخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف الا واكفانه الاجر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
عليك سلام الله وقفا فانني رايت الكريم الحر ليس له عمر

ثم نقل قالبه الى قرية باي من غرمرو ذياروزم ودفن بها في ربيع الاول سنة خمس
وتسعين وثلثمائة وبلغ السلطان خبره فامر بالقبض على سدار واذاقه حر
الانتقام وشن الغارة على حلة ابن بهيج الاعرابي خاصة وعلى ساير
العرب السيارة عامة وصارت جمرة السامانية رمادا تذروه الرياح وكان
الله على كل شيء مقتدرا

ذكر الامراء السامانية ومقادير ايامهم من حين نجمت دولتهم الى ان قرضها السلطان يمين الدولة وامين الملة

كان ملك آل سامان بما وراء النهر وسائر بلاد خراسان وما ينضاف
اليها في الوقت بعد الوقت من كورة سجستان وجرجان وطبرستان
والري والجبال واصفهان مائة سنة وسنتين وستة اشهر وعشرة ايام
فاولهم ابو ابراهيم اسمعيل بن احمد وهو الذي قبض على عمرو بن الليث
بناحية بلخ يوم الثلثاء النصف من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين
وولي خراسان ثماني سنين ومضى لسبيله ببخارا ليلة الاربعاء لاربع عشرة
خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين منعوتا بالعدل والرافة موسوما بطاعة
دار الخلافة وقام بعده ابو نصر احمد بن اسمعيل فملك ست سنين وثلثة اشهر
وقتل به نفر من غلمانه ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة وكان مقتديا
بابيه في ايثار النصفة واختيار الاحدوثة الحسنة اقتداء الابناء بالآباء
افاضل الشيم واحمد السير الى ان طوت الدنيا صحايف ايامهم كعادتها
في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله
تحويلا وسد مسده الشهيد ابو الحسن نصر بن احمد فملك ثلثين سنة
رفيع النجاد قوي العماد وري الزناد زكي المراد وتلاه في ارث
الملك نوح بن نصر وهو الحميد فملك اثنتي عشرة سنة وثلثة اشهر وبعض ايام
وتوفي ببخارا لاحدى عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ثلث واربعين وثلثمائة
وانتصب منصبه عبد الملك بن نوح فملك سبع سنين وستة اشهر واحد عشر
يوما

وعثرت به دابته فسقط الى الارض سقطة حمل منها ميتا وذلك
عشي يوم الخميس لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمسين وثلثمائة وخلفه
في الولاية اخوه منصور بن نوح خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وتوفي ببخارا
يوم الثلثاء لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وولي
امره نوح بن منصور احدى وعشرين سنة وتسعة اشهر وتوفي يوم الجمعة
لثلث عشرة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة وملك بعده ابو الحرث
منصور بن نوح سنة وتسعة اشهر فاعتقله بكتوزون برخس وبويع
لاخيه عبد الملك بن نوح فما استقرت قدمه في الولاية حتى خرت على يد
السلطان يمين الدولة وامين الملة دعائمه وشالت نعامته فطار الى
بخارا وقبض ايلك الخان عليه فانتزع ولايته من يديه وكانت مدة امره
ثمانية اشهر وسبعة عشر يوما وذلك حين تم ما ولي السلطان كورة خراسان
واقبل بعد ذلك يرتقي في اسباب العلاء جدا وجدا وتتضاعف في
رقاب الاعداء حده فما يفتر له شهر الا عن ثغر مفتوح وصنيع ممنوح
وذكر على هامات الاعواد مرفوع وباب الفضاء المنى والآمال مشروع

ذكر الاحوال التي جمعت ناصر الدين سبكتكين وخلف بن احمد والي سجستان من خلاف مرة ووفاق اخرى وما جرى بعد ذلك من الطوائل

والاثار التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة
وامين الملة اليه وعطفته الى انتزاع الملك
من يده وما جرى خلال ذلك من وقايعه
في الهند الى ان استتب له ما اراد بعون الله ونصرته

قد سبق في اول الكتاب ذكر الامير خلف بن احمد فيما اداه السديد
منصور بن نوح من رده الى بيته واظهاره على خصمه الى ان تهادت
رجوم الفتن بخراسان ففرغ عن الاشتغال بهما لما دهاهم منها للاجمام
والاتداع ولاستظهاره بما تخرجه له ارض سجستان من صنوف
الارتفاع حتى اتسع نطاق همته لطلب الفضول ومنازعة القروم
الفحول ولما تصدى ناصر الدين سبكتكين لمواقعة ملك الهند حتى توردت
جدود الاسلام على ما نطق بشرحه صدر الكتاب اغتنم خلف بن احمد
انتقاض بست عن الحفظة وخلوها عن الشحنة فاسرى اليها من
اقتاض بيضتها وافتض عذرتها وحرق كلمة الدعوة عنها وغمس
يده في اموالها نجباها وجمعها فاوعاها فلما انجح الله تعالى ناصر الدين
على الكافر اللعين عطف العنان الى بست متعصما من غدرته متحفظا
من سوء حفيظته فانتقاه اصحاب خلف بظهور الفرار واعقاب الادبار
والصفقة وهم ناصر الدين بمناهضته واستخار الله في مناجزته فارسل

اليه خلف من تناول عليه في ذلك البعث محافظة على حكم الموالاة
في حفظ ولايته وتضمن تصحيح ما صار في جبايته وتبرع بزيادة
تقوم مقام الارش عن جنايته تفاديا عن ثقل وطاته على اعماله
وتصونا عن عورة الافتضاح في قتاله فتغابى ناصر الدين عن سر
غدرته كفا لبد الاقتدار واكتفاء منه ببذل الاعتذار ثم طالبه بتصحيح
المال حتى اداه وارتهن به بعض رضاه وكانت الحال بينهما من بعد قايمة
على جملة المسالمة الى ان حدث من امر ابي علي سيمجور في الجولة التي اتفقت
له بباب نيسابور ما سبق شرحه فاظهر تقربا الى ناصر الدين
بمساعدته على خصمه ومرافدته بنفسه وساير اهل جملته امتنانا
عليه بظاهر المظاهرة واضمارا للتشفي من ابي علي بمعونته الحاضرة
وقوته الباهرة اذ كان ابو علي قد وتره بقصد حضرته وغزوه
في عقر داره واقتساره بسيوف انصاره وصحبه الى الموشج في جمهور
اشياعه واتباعه ثم خلفه بها ناصر الدين سبكتكين صيانة له عن كلفة
السفر وابقاء عليه من خطة الخطر وسار الى طوس لمواقعة ابي علي
وطلب الثار المنيم عنده حتى اذا طرده ونفض من شغل تلك الحرب يده
رد الى خلف بن احمد اصحابه منقلبين بالنعم الباهرة موشحين بالخلع
الفاخرة تقدمهم المراكب والجنايب وتردفهم النجايب والرغايب

فعادوا واثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
فصفت لذلك شريعة الحال بينهما عن قذى المواراة وتجلت عن عرض
المداجة والمداجاة الى ان عبر ناصر الدين سبكتكين النهر الى ما وراءه لمدافعة
ايلك الخان عن ولاية الرضى برفق المناصحة او خرق المكافحة ثم
اقتضت صورة الحال مسامحته ببعض تلك البلاد على ان يسلم
له سايرها ويامن عنت العيث باديها وحاضرها وترامت اليه اثناء
ذلك مكاتبة خلف بن احمد ايلك الخان مرهفا من عزيمه ومغريا اياه بحربه
طمعا في بست ونواحيها وغزنة وما يليها وانضافت اليه بلاغات وقوارص
برقت اليه من جانبه في امر ابي علي واظهر الندامة على ما سبق من
عونه عليه والافصاح على رسل الاشهاد معرضا بان اجتياح الملوك
شوم واستباحة البيوتات لوم وضعف الراي معلوم فطار
الغضب بناصر الدين كل مطار وحدثته نخوة الانفة بالبدار الى ارض
سجستان لاطفاء الغليل وشفاء الداء الدخيل فثناه كاتبه ابو الفتح
علي بن محمد البستي عما نواه بالقول الرفيق والراي المويد بالتوفيق
واراه ان بعض البلاغات زور وان القايل كالقابل ماخوذ موزور
وان قلوب الرجال وحوش نافرة وطيور في جو الجو سابحة فما يستمكن
منها الا باعمال الحيل في نصب الحبايل وتكثير الجوارح ورمي البنادق

وبث الحبوب والمطاعم ثم لا شي ايسر من افلاتها عن حبالة القانص
وانسلالها من شرك الصايد كذلك لا تصطاد القلوب الا باشراك
الصنايع والعواطف ولا تقتاد الا بازمة الايادي والعوارف ولا يستفاد
الا بابتذال التوالد والطوارف ثم ان الكلمة الجافية تهيج وادعها
وتثير واقعها وتكدر عليهم مشارعها وتلا عليه قول الله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم فسرها له حتى نزل عن ظهر التعجيل
الى ارض التمهيل وانشدني ابو الفتح رحمه الله في شرح ما دار بينه
وبين ناصر الدين لنفسه

اذا شئت ان تصطاد حب اخي لب ... وتملك منه حوزة القلب والخلب
فآنس وده في الحيز الذي قد رزقته ... وادخله بالاحسان في شرك الحب
الم تر طير الجو تهوي مسفة ... لحب كقطر من ذرى الجو منصب
كذلك لا يصطاد ذو الراي والحجى ... محبات حبات القلوب بلا حب

وكتب خلف بن احمد بعد ذلك متنصلا عما عزي اليه ومتبريا مما نقم
منه فعفى ناصر الدين عما جال في صدره من امره واغمض له عما امتاحه
من قليب قلبه وغدير غدره وثبت له باقي عمره على مداراته وملاطفته
الى ان اتاه اليقين من ربه فانتقل الى جوار رحمته وعفوه وبلغ السلطان

يمين الدولة وأمين الملة، حلّ حبوة الزمانة بأطهار الشماتة،

فاستنشد قول القائل:

فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى ... تجهّز لأخرى مثلها فكأن قد

ثم أسرّها في نفسه، مرتقباً لإمكان الفرصة في إنجاح نيّته واستيفا منه،
إلى أن ورث ملك خراسان، نقيّ الأطراف عن غبرات الخلاف، سليم الآفاق
من غبرات الشقاق، وقد كان خلف بن أحمد عند قيام السلطان باستصفاء
المملكة، قد بعث ابنه طاهراً إلى قهستان، فملكها، ثم عبر منها إلى بوشنج
فاستولى عليهما، وكانت هراة وبوشنج باسم بغراجق أخي ناصر الدين سبكتكين،
فلما وضع الله عن السلطان أوزار تلك الملاحم، أتاه عمه يستأذنه في طرد
المتغلب عن ولايته، وقلّ ما جدّ من حدّ نكايته، فأذن له فيه، وسار حتى إذا
شارف بوشنج تلقاه طاهر بن خلف بمن والاه من العبيد تحت الحديد،
فتناوشا الحرب، قدّاً للهام من خطوط المفارق، وقطّاً للأجسام من خصور حرب
المناطق، واستقاءً للأرواح بأرشية الرماح، واختلاءً للرؤوس بسيوف
كسيوف الرؤوس، ثم حمل بعضهم على بعض، فذهبت الميامن بالمياسر والمياسر
بالميامن، وانفلّ طاهر من بين يديه هزيماً، واتبعه بغراجق تحت منه طليماً، وقد
كان قبل أن تشمّر الحرب أصاب كؤوساً يستيقظ بها عن الطعن
والضرب، فتعاون عليه باران من كاس وباس حتى غفل بهما عن وثيقة

التحزّم، وذهل معهما عن بصيرة التحفّظ والتحرّز، فغرّر بنفسه في
اتباع خصمه اغتراراً بخيال سكره، فلم يشعر إلا بابن خلف قد كرّ عليه
بضربة أقعصته قتيلاً، ونزل للوقت إليه فقطف علاوته، وأخذ عيبته، وقسم
الهزيمة على الفريقين، فلم يعرف الغالب من المغلوب، ولا السالب من المسلوب،
خلا ابن خلف، فإنه قفى آثار فلّه، ممن ردّهم إلى محلّه، وورد الناعي على
السلطان، فناله من الغم بفقد عمّه ما ينال الوالد بعدم ولده، والولد لافتقاد
صنو والده، وأنشد بما اتفق لابن خلف على إحداق الشقاء به وبأبيه
وإطباق البلاء عليه وعلى من يليه، وحدس بأن البقرة تبحث عن المدية بروقيها،
والنملة يقضي عليها نبات جناحيها، ولو عقل الفراش لما عشي ما عاش
إلى الضوء نار، ولا تهافت في مصارع بوار.

استادت الفرس عن الجبه بها مثلاً ... وللأعاجم في أيامها مثل

قالوا إذا جمل حانت منيته ... لطاف بالبئر حتى يهلك الجمل

وزحف السلطان في شهور سنة تسع وثلثمائة إلى خلف بن أحمد، وهو متحجّر
بحصار إصبهبذ، قلعة بينها وبين مجرى النجوم قاب قوسين بل قيد رمحين،
تحور عن مراماتها الأبصار، وتحار دون مساماتها الأطيار، فحاصره محاصرة
بها ممنوعاً من فسحة الخنية، ممنوّاً بشدة الاضطرار، مفجوعاً
براحة القرار، ولذة الغرار، حتى جنب الروع روعه، ووذع الرزح دوحه

غزوه هند

فاستشعر الخضوع والذلة واظهر الخشوع والضراعة وسال
سؤال مستكين ان ينفس من خناقه ويمهى من حبل امانه على ان
يفتدي بمائة الف دينار وما يليق بها من حرمة شأن وتحف ومبار
فاجابه السلطان الى ما استدعاه ووكل به من اقتضاه المال حتى
استوفاه وغادره كما هو في اسر الخيبة وخناق الوثاق وفي نفسه
قصد سجستان لكنه احب ان يجعل غزوة في الهند مقدمة لما توخاه
وصدقة بين يدي نجواه تبركا بما يجري على يده من ارتفاع راية الدين
واتساع ساحة اليقين وانارة كلمة الحق واعارة قوة الحق فتوغل
بلاد الهند متوكلا على الله الذي هداه بنوره وقضى له بالعز
في مقدوره وبالنجح في تصاريف اموره حتى انتهى الى مدينة برشور فخيم
بظاهرها وبلغه اجتراء عدو الله ملك الهند جيبال على القتال واستعجاله
القضاء بمجاورة فنائه فاستعرض الخيول من ابناء جريدته وساير
الغزاة والمطوعة من جملته واختار للجهاد خمسة عشر الف عنان من
فحول الرجال وقروم الابطال في حطر ان يختلط بهم فرزة الاخبية وبهرجة
الانتقاد حتى اذا خلص عددهم على الانتخاب واختلاهم كحيات
الصرائم او اسود الغاب دلف بهم الى القتال بجيز اللعين بقلوب
كالهضاب ثابتة ونفوس صبر على وجه الاخلاص نابتة واقبل الكافر

حرب

الفاجر في اثني عشر الف فارس وثلثين الف راجل وثلثمائة فيل تئن
الارض من وطيء اطرافها وتخف من ثقل اخفافها حتى اناخ قبالة
السلطان متصاولا بعدده ومتطاولا بقوة باعه ويده وبطر كثرة
الجموع تطوي كتاب الله طيا او يغني من امر الله شيئا ولو درس الجاهل
كتاب الله لقرا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله
مع الصابرين واراد الكافر بمكانه جانحا الى المطاولة متحرزا
بالمدافعة والمراوغة انتظارا لمن وراءه من اوشاب الجيوش واوباش
القبائل والشعوب فاعجله السلطان عما حلم به من تقديم المطاولة وتاخير
المقاتلة وبسط عليه ايدي اولياء الله فاوسعهم حربا ونهبا وشقا
ورشقا وجزا ووخزا وحتا وسحتا حتى اضطر الى الدفاع وصلى
بنار القراع واصطفت عند ذلك الخيول وخفقت الطبول ورجفت
الفيول واقبل بعضهم على البعض يصول وترامت النبال على الخصل
ترامي لدان الاصائل بالخشل وتلالات متون القواضب تلالؤ برق
الغيم جنح الغياهب وفارت ينابيع الدماء كما فاضت مجاري الانواء
وتكاثر اولياء الله على جماهير المداعبة يؤزونهم ازا ويحوزونهم نقضا
وجمزا فلم ينتصف النهار الا بانتصاف المسلمين من اعداء الله
المشركين وحكموا السيوف في نهاهم خمسة آلاف رجل فبسطوهم

على العراء وأطعموهم سباع الأرض وطيور الهواء وجدل على صعيد الأرض
خمسة عشر فيلاً مغرورات العراقيب بأطراف النشاشيب ومخرورات الخراطيم
بأسياف اللهاميم وأحيط بعدة الله حبال وذويه فسيقوا بخزائم
القسر والأسر الى موقف السلطان كما يساق المجرمون الى النيران
وجوه عليها غبرة الكفران ترهقها قترة الخذلان فمن مكتوف الى
الظهر قسراً او مسحوب على الخد جراً او مضروب على الوريد صبراً
وحل مقلد حبال عن نظيم مرصع بفرائد الدرر والجواهر الزهر
واليواقيت الحمر قوم ما يأتي الفدية واصيب اضعافه في اعناق
المقتسمين من قرابته بين قتيل واسير والمطعمين شذ في ضبع ونسر
ونفل الله اوليائه ما فات حد الاحصاء وجاز جهد الحصر والاستقصاء
واغنمهم خمس مائة الف راس من دوقة العبيد والاماء وآب السلطان
بمن معه من الاولياء الى المعسكر غانمين وافرين ظاهرين ظافرين شاكرين
لله رب العالمين وفتح الله على السلطان ارضاً تتضاءل بلاد
خراسان في جنبها طولاً وعرضاً ووافقت هذه الغزوة الباهرة آثارها
السائرة في الآفاق اخبارها يوم الخميس الثامن من المحرم سنة اثنين
وتسعين وثلثمائة ولما وضعت هذه الحرب اوزارها وحطت عن الظهور
اثقالها احب أن يصرف الجيش وراءه ليراه بنوه وذووه في شعار

تاريخ سنه ٣٩٢

العار واساءل الخسار وتستطير هيبة الاسلام في ديار الكفر فوافقه
على خمسين راساً من خيار الافيال وارتهن ابناً وحافداً له على الوفاء بها
على الكمال وعاد الكافر وراءه حتى اذا استقر مكانه كاتب ابنه
اندبال هيث ميمنه وراء سيحون يشكو اليه ما عراه والفاقرة الكبرى
والداهية العظمى وسأله سؤال ملحف ان يؤدي عنه الضمان
بما عز وهان فساق اليه تلك الفيول وصرف الرسول وسيقت جملتها
الى السلطان فأمر بالافراج عن الاكل الرهاين وسع ادبهم نحو
تلك المداين وحدث اندبال نفسه بان اباه قد لبس بردة الخرف وعض
على جرة الهرم وقد طلع عليه نسر الاسر ودبران الادبار وعونه عوا
الامتحان وشالت به شولة الخذلان فقد حان ان يلقى حينه
ويتقاضى عليه الزمان دينه وعن سنة المطلعة فيهم ان من حصل
في ايدي التابية وهم المسلمون اسيراً لم ينعقد له من بعد رياسة
ولم يستتم له زعامة وسياسة ولما رأى جيبال حصوله بين قيد الهرم
وقيد المذلة آثر النار على العار والمنية على الدنية فبدا بشعره
فحلق ثم تحامل على النار فاحترق ولما استتب للسلطان
ما اراد وانقاد له ما قاد ارتاح لغزوة اخرى يطرز بها ديباجة
مقامه ويعلم بجمالها عذبة اعلامه فمال نحو ويهند فضرب عليها بكلاكل

غزوة اخرى

الا اقتدارا حتى افتتحها صغرا واعتاض منها بعد العسر يسرا
وبلغه لياذ طائفة من الهنود بشعاب تلك الاعلام واستتارهم بخمر
الغياض والآجام متحدّثين بالتحزّب للفساد والتألّب على العناد
فاغزاهم جيشا يدوّخ محالّهم ويفرّق قبل الوصول اوصالهم
فولغت فيهم السيوف حتى رويت من رشاش دمائهم وصديت من
مخالطة احشائهم وتهارب منهم من سلم عن ظباتها كالاوعال في ريود
تلك الجبال يرون الكواكب ظهرا والمنايا سودا وحمرا وذاقوا وبال
امرها وكان عاقبة امرها خسرا وانقلبت رايات السلطان
الى غزنة خافقة بالنجح الشائع والفتح الرائع والحول المتين والنصر
المستبين وقد اشرق وجه الاسلام وابتسم ثغر الايمان وانشرح
صدر الملّة وانقصم ظهر الشرك والبدعة وقد كان خلف بن احمد عند
انصراف السلطان عن وجهه عهد الى ابنه طاهر اعمال سجستان واسند
امورها اليه ايثارا له على نفسه وتمهيدا لكريمة الملك اليه قبل وفاته
وتثبيتا له في ملكه قبل استحقاقه اياها بارثه تعريضا للسلطان
باستعفائه عن الملك واقباله على النسك واعتياضه تواضع العبادة
عن ترفّع السيادة ليقطع بخروج الامر عن يده طمعه عن قصده وحصده
فلما تنفّست المدّة على ما وراه نطقت شواهد الجحود في اختياره

وبدت نواجذ العقوق من ثني اثنائه فلم يزل يلاطفه ويداريه حتى
اعماه عما نواه فيه ثم تمارض في الحصن المذكور واستدعى ابنه لقبول
الوصيّة وتسلّم الودائع الخفيّة فغفل عن سرّ النيّة وتدبير
العقاب والنكير واستوطأ مراكب التغرير واقبل اقبال طرفة بن العبد
على خصلتي الضبع من ضرب الجيد او جزّ الوريد وقد كان خلف بن
احمد كمن له مقانب من جيشه فاحاطوا به احاطة حبل الزبا عنقه
الوضّاح الى ان حصل في معتقله وحبس في مكمن اجله وبقي في السجن
على حالة الى ان اخرجت جنايته مجالا عليه في قتل نفسه والجناية على
روحه ونه ولما سمع طاهر بن زينب صاحب جيش خلف بن احمد وسائر
قوّاد سجستان ما جرى في امر طاهر دغلت في طاعته ضمائرهم ونغلت
في موالاته سرائرهم وانتقضت خوفا من الاسوة فيه مرائرهم وضبطوا تلك
المدينة على طاعة السلطان ومشايعته وانهوا اليه بما اجمعوه
من التمسّك بحبل الطاعة والتمسّك بعرى الجماعة وسألوا انهاض
من يتولّى تسلّم الناحية منهم ليبتدروا الى بابه ويتعطّروا بلثم ترابه
ففعل السلطان ما سألوه وجزاهم الخير على ما فعلوه واقيمت الدعوة
للسلطان بها في سنة ثلث وتسعين وثلثمائة ولما فتح الله رتاجها ويسّر
له انفراجها عزم على قصد خلف في حصن دانه وكفاية الخاصّة والعامّة

فتح سجستان

صفة حصار الطاق ومحاصرته

عوادي مكره ودهائه وهو يومئذ في حصار الطاق ومن صفته أنه
ذو سبعة أسوار رفيعة الجدران منيعة البنيان وثيقة الأركان
يحيط بها خندق بعيد القعر فسيح الأرض منيع المخاض لا يعبر إلا
الآمن طريق مضيق على جسر يطرح عند الحاجة ويرفع وقت الاستغناء
عنه فعسكر السلطان حواليه محيطا به من جوانبه إحاطة المحيط
بنقطة المركز وجعل يستقري بالرأي وجه الحيلة في طم ذلك الخندق
وكبسه ليستدف على الفارس والراجل خوضه وعبوره وكانت حوالي
معسكره منابت أثل وطرفاء ذوات احتفاف والتفاف ففرض
على أهل عسكره خاصهم وعامهم راجلهم وفارسهم عضد ما يمكنهم عضده
منها أضغاثا وحزما تلقم عرض الخندق ليستتب ظهر المجال والمخترق
وبادر الناس إليه فلم تشرف شمس النهار على التنكيد حتى أعرض عرض
المخاضة من جانب باب الحصار للركوب وثار إليه عند ذلك الخيول وتبعها الفيول
ومانع أصحاب خلف بن أحمد من شرفات الحصار بقذفات الأحجار واشتعلت
الحرب بينهم ترمي بشرر كالقصر وتنحي على القصرات بالفرس والقسر
فزحف الفيل العظيم إلى باب الحصار فاقتلعه بنابيه وزخ به في الهواء وانحط
إلى الأرض من حالق وقتل من أصحاب خلف الجم الغفير ونجا الباقون
على أطراف الحاجز إلى السور الداخل ودار عسكر السلطان على الحصار

هجوم الفيل

وتماسك أصحاب خلف فوق شرفات السور الآخر مناضلين عنها بأحجار
المجانيق وأطراف الحراب والمزاريق وأطلع خلف بن أحمد عند اشتداد الخطب
على ملتقى الفريقين فرأى هول المطلع من تموج الفضاء بعفاريت الأنجاد
على شياطين الجياد وتطاير النبال كرجل الجراد وترامي الحراب كعزالي
السحاب وفيح الدما كسيح السماء وعاين الفيل قد أهوى إلى بعض أصحابه
فخرطمه فرمى به في الهواء قاب رمح ثم تلقاه بنابيه وأقبل على آخرين
يدوسهم بمنسميه ثم انحى على الباب بمنكبيه فزعزعه بعضادتيه واقتلعه
بضبات الحديد عليه فاستطير عند ذلك قلبه وجاش جاشه وارتاع
روعه واضطره هول المقام وفزع الاصطلام إلى طلب الأمان واستغاثة
السلطان فكف عنه يد الإحراج ووضع عنه سوط الانتقام كرما
غذاه الله تعالى بدره وأطربه بنشوة خمره وأقبل خلف بن أحمد على بذله
الجائزة حتى استوذن له على السلطان فدخل وأهوى إلى الأرض بشيبته
البيضاء متعززا بذل الخدمة وغشى البساط من نسج الجواهر والفرائد
بما كسف النهار وخطف الأبصار شاذا ينوب عنه في شكر ما ذاقه من برد
العفو والرحمة وحماه من حيم الروح والمهجة فتكرم السلطان بما رفع من
قدره وضم يده عند التقريب إلى الصدر تأنيسا لما سبق من هناته وتغابيا
عما قدم من ذحوله وتراته وحلما في احتمال ما أحب من بد يساره من خائر

فتح القلعة بالأمان
وذكر خلف حضوره
للسلطان

حصارٍ وخيّره في المقام حيث شاء من ديار ممالكه وأمصاره فاختار أرض
الجوزجان استرواحًا الى نسيم هوائها واستعذابًا لنمير مائها واتساعًا
في مراتع الصيود حول أرجائها ولعل السلطان تشبيره اليها في
هيئة ذوي الهيبة معافى بلباس الصيانة عن عورة المهانة فأقام
بها قرابة أربع سنين في ظل الترفيه وسعة القناعة بما هو فيه
ثم انهى الى السلطان مراطنة بينه وبين ايلك الخان بملطفات سيّرها اليه
ورسالات أغراه بها عليه فاقتضاه الاحتياط نقله الى جردير ابقاءً عليه
من صدق ما أضيف اليه واستتمامًا للصنيعة لديه واحترازًا مما يلجأ
اليه من ابطال ذلك الافضال وتكدير ذلك العدير فبقي هناك على جملته
الى ان حقت عليه القضية واخترمته المنية وذلك في رجب سنة تسع وتسعين
وامر السلطان بحفظ جميع ما تخلّف عنه على ولده ابي حفص وتقريره
في يده وتمكينه من خدمته وأنشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه حين
دهي أمره وصفرت عن الملك يده

مَن ذا الذي لا يذلّ الدهر صعبته ولا يليّن بد الايام صعدته
لما ترى خلفًا شيخ الملوك غدا مملول من فتح العذراء بلدته
وكان بالأمس ملكًا لا نظير له فاليوم في الأسر لا ينتاش أسرته

وكان خلف بن احمد مغشي الجناب من أطراف البلاد لسماحة كفه وغزارة

سيبه وإفضاله على أهل العلم وحزبه وقد مدح على ألسنة الشعراء والعلما
بما هو سائر وذكر في الآفاق طائر وقد كان جمع العلما على تصنيف
كتاب في تفسير كتاب الله تعالى لم يغادر فيه حرفًا من أقاويل المفسرين
وتأويل المتأولين ونكت المذكرين واتبع ذلك بوجوه القراآت وعلل
النحو والتصريف وعلامات التذكير والتأنيث ووشحها بما رواه في ذلك
عن الثقات الاثبات من الحديث وبلغني انه انفق عليهم مدة اشتغالهم
بمعونته على جمعه وتصنيفه عشرين دينارًا ونسختها بنيسابور في مدرسة
الصابوني لكنها تستغرق عمر الكاتب وتستنفد صبر الناسخ الا ان
يتقاسمها النساخ بالخطوط المختلفة واخبرني ابو الفتح البستي
قال كنت قد عملت فيه ثلثة أبيات من غير قصد لتبليغها اياه لكنها سارت
على ألسنة الرواة اليه فلم أشعر الا بصرة فيها ثلثمائة دينار انفذها
بها على يد بعض ثقاته صلة لي على ما قلته وعملته والأبيات هذه

خلف بن احمد احمد الأخلاف أربى بسؤدده على الأسلاف
خلف بن احمد في الحقيقة واحد لكنه مربي على الآلاف
أضحى لآل الليث أعلام الورى مثل النبي لآل عبد مناف

فقلت له قريب من هذه الصورة حديث ابرهيم بن هلال الصابي صاحب
التاجي وذلك ان رسوله لسيف الدولة كان قدم بلد السلام وطلب شيئا

باب خلف بن احمد تفسير كتاب جمع العلما

مدح الشعراء لخلف بن احمد

من شعره عن لسان صاحبه فدافعه به الى ان ازف ارتحاله واتاه عند الوداع
ملحا عليه في تنجزه فاعطاه عجالة الوقت   قوله

ان كنت خنتك في المودة ساعة فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت ان له شريكا في العلى وجحدته في فضله التوحيدا
قسما لو اني حالف بغموسها لغريم دين ما اراد مزيدا

فلما عاد الرسول الى الحضرة حمل اليه صرة فيها ثلثمائة دينار موسومة
باسمه   وللشيخ ابي الفضل البديع الهمذاني فيه ايضا يمدحه

من كان يبغي علو الذكر والشرفا او يرتجي عطف دهر قد نبا وجفا
او كان يامل عند الله منزلة تنيله قرب الابرار والزلفا
او كان يطلب دينا يستقيم به ولا يرى عوجا فيه ولا جنفا
او كان ينشد مما فاته خلفا فليخدم الملك العدل الرضى خلفا
الوارث العدل والعليا من سلف جثوا بعليائهم في وجه من سلفا
المؤثر القصد في انحاء سودده فان اراد عطاء آثر السرفا
اذا التوى عنق ولى حلو منه سيفا اذا ما اقتضى حقا له انتصفا
والسيف ابلغ للاعناق موعظة كم من صليب حماه حد الصلفا
وان بدا كلف في وجه مكرمة جلا بلا كلف عن وجهه الكلفا
رضاه يصرف عمن يستجير به صرف الزمان اذا ما نابه صرفا

اذا اقشعر زمان من جدوبته اغنى الورى وكفى جود له وكفا
بسخطه يدع الافلاك خائفة والشمس حائرة والبدر منكسفا
يرى التوقف في يومي وغى وندى وضعا فان عن راى مشكل وقفا
لله نصل ضئيل في انامله اعاد حظي سمينا بعد ما نحفا
يهين امواله كي يستفيد بها عزا يؤثل في اعقابه الشرفا
والمرء للوم في احواله هدف ان لم يكن ماله من دونه هدفا
لا يلحق الواصف المطري معاليه ان لم يكن سابقا في كل ما وصفا   بيت مشهور

وانشدني ابو الفضل الهمذاني قصيدته التي مدح بها خلف بن احمد وفيها
يذكر اباه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره والبحث عن وطنه
ووطره   وهي

سما الدجى ما هذه الحدق النجل اصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل
لك الله من عزم اجوب جيوبه كاني في اجفان عين الردى كحل
يذكرني قرب العراق وديعة لدى الله لا يبليه مال ولا اهل
اذا ورد الحجاج وافى رفاقهم بفوارتي دمع هما النجل والسجل
يسائلهم كيف ابنه اين حله الى ما انتهى لم لا يعد هل له شغل
اضاقت به حال اطالت له يد أآخر نقص اقدمه فضل
يقولون وافى حضرة الملك الذي له الكنف المامول والنائل الجزل

وفاضت عليه طرة خلفية بها للغواني عزو لانها غزل
يذكرهم بالله الا صدقتم لدى احد ما تقولون ام هزل
ولما بلوناكم تلونا مديحكم فيا طيب ما نتلو ويا صدق ما نتلو

وانشدني السيد ابو جعفر محمد بن موسى الموسوي بيتين ذكر انهما مكتوبان على داره

من سره ان يرى الفردوس عالية فلينظر الى ايوان كيوان
او سره ان يرى الرضوان عن كثب بملء عينيه فلينظر الى الباني

نعم وصفت سجستان للسلطان فهدأت عيون الفتن وسقطت نجوم الاحن وانقطعت اطماع الخلفية بها عن التعصب والتحزب وانخفضت ابصارهم دون التوثب والتغلب ورجع السلطان الى غزنة باهر الامر عالي الظفر قد صنع الله له فيما اراده وسدد نحو المراد سهامه وقد شهر بافتراع المدينة العذراء واستصفاء المملكة الغراء واطلاع ذروة الرجا وادراع لامة العز والعلاء وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه في فتح سجستان من قصيدة اولها

سعدت بغرة وجهك الايام وتزينت ببقائك الاعوام
وتصرفت بك في المعالي همة يعيا بها الافهام والاوهام
ولقد فرشت مهاد عدلك فاغتدت تتوارد الاشاء والارام
وانقض سيفك على كل مدينة بكر عليها للاياس ختام
هذي زرنج استغلقت وتمنعت فكانها الا عليك حرام
ففتحتها ولحتها ومنحتها انفار ام بفنائك الخدام
وقد منح الايام تنشد في الورى بيتا تجيد نشيده الايام
قد جاء نصر الله والفتح الذي تزهى بكتبه وصفه الاقلام
باجل احوال وايمن مقدم واتم اقبال يليه دوام

ورحم الله البديع الهمذاني حيث يقول في السلطان يمين الدولة وامين الملة

تعالى الله ما شاء وزاد الله ايماني افريدون في التاج ام الاسكندر الثاني
ام الرجعة قد عادت الينا بسليمان اظلت شمس محمود على انجم سامان
وامسى آل بهرام عبيدا لابن خاقان اذا ما ركب الفيل لحرب او لميدان
رأت عيناك سلطانا على منكب شيطان فيوما رسل الشاه ويوما رسل الخان
لمن واسطة الهند الى ساحة جرجان ومن قاصية السند الى اقصى خراسان
على مقتبل العمر وفي مقتبل الشان لك السرج اذا شئت على كاهل كيوان
فما يعزب بالمغرب عن طاعتك اثنان ايا والي بغداد ويا صاحب غمدان
تأمل ما اتى فيل على سبعة اركان يقلبن اساطين ويلعبن بثعبان
عليهن تجافيف تشبهن بالوان ويأجوج ومأجوج من الجند بموجان

واستخلف السلطان على سجستان المعروف بقنجي الحاجب احد المحتشمين

مخالفة اهل سجستان السلطان ومدافعته

من قواد ناصر الدين سبكتكين فحسنت في السياسة سيرته واستقلت
في الرفق بالرعية والعنف على المريب بصيرته ثم ان طوائف من نجوم الفتنة
ونجوم الشر والعصبية ابطرتهم رفاهة العيش ورفاغة الامن
وفسحة الحال وسعة المجال فتحدثوا بينهم بتقديم من نصبهم على
العصيان ونوبتهم في الخروج على السلطان تعرضا للبلاء وتحككا بالشقاء
واجتراء على سوء القضاء فابرزوا صفحة الخلاف واخترطوا نصل الشر من
الغلاف فلما رأى السلطان انتقاض سجستان على خلفائه وامنائه
بادر اليها في عشرة آلاف رجل من نخب العسكر ومعه صاحب الجيش
ابو المظفر نصر بن ناصر الدين والتونتاش الحاجب وابو عبد الله محمد بن
ابرهيم الطائي زعيم العرب وحصر المردة العتاة في حصن ارك ووكل
خيول عسكره بجوانب الاسوار واقتسم بينهم مجال ذلك الحصار ونشبت
الحرب بينهم بعد العصر من يوم الجمعة للنصف من ذي الحجة سنة ثلث وتسعين وثلثمائة
وخاض السيف غمرتها ساعة متوازين على المدافعة ومتظافرين
على الممانعة والمقارعة حتى اذا اوهنهم السلاح واثخنتهم الجراح
لاذوا بالانجحار واعتصموا بسور الحصار وظهر اولياء السلطان على
بعض جوانب السور في ظلمة الديجور رفعوا شعار الملك المنصور
فانهزم الفجرة وملك عليهم الحصار وبسطت ايدي القتل والضرب

هزيمة العصاة

على من نفضتهم الدور ولفظتهم المساكن والبيوت فمن رؤوس منبوذة
واعناق مجذوذة ووجوه مكبوبة ودماء على الارض مصبوبة وهام
الآخرون على وجوههم يتساقطون من كسع الادبار في الآبار ويلوذون
من ضرب الاخادع بالمخادع ويفزعون من شن الغارات الى المغارات
والطلب يقطع دابرهم ويلحق بالاول آخرهم حتى خلت سجستان من عيث
شرارهم وسلمت من بث شرارهم وفتح الله تلك المملكة على السلطان
فتحا ثانيا وملكا ثانيا فلم يسمع على الايام بمثله فتحا في غلق الظلام
واستفاضت هيبة السلطان في اهل سجستان حتى نامت لياليهم
عن دبيب العقارب وصرير الجنادب وانشد بعض اهل العصر على عاقبة النصر

حييت يا ملكا به زند المعالي يقتدح
لا زال ثغرك باسما من اجل ثغر يفتتح

وانشدني ابو منصور الثعالبي في هذا الفتح الشهير والنجح الكبير
يمدح السلطان

يا خاتم الملك ويا قاهر الاملاك بين الاخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح للارض مستول على النجح
راياته تنطق بالنصر بل تكاد تملي كتب الفتح
كم آثر في الدين آثرته يقصر عنه اثر الصبح

ولم يبن للملك شيدتها * يثني عليها الألسن المدح
فاسعد بأيامك واستغرق الأعداء * بالنجح وبالذبح
ودم رفيعاً عالي القدح * تمتنع الملك على الفدح

ثم جعل السلطان سجستان طعمة لأخيه صاحب الجيش أبي المظفر نصر ناصر الدين مضافة إلى نيسابور وناهيك بهما ولاية في بلاد المشرق فنصب لخلافته عليها أبا منصور نصر بن إسحق وزيره ووكل بها ثبيرة في رضى لها نقيبة وتأخيره فقام بضبط الولاية واستدرار الجباية وإنفاذ السياسة وإنعام الحراسة قيام من عدله الزمان بثقافه وزينه الكمال بأوصافه وعاد السلطان إلى بلخ على استيناف الجد في غزو الهند على ما سنذكر في موضعه بإذن الله تعالى

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وانتقاله إلى مملكته بعون الله ونصرته بعد طول التقلب في التغرب

قد كان شمس المعالي أقام بخراسان ثمان عشرة سنة مصابراً للدهر على وقعاته وتصرف حالاته لم تغمز يد الحادثات قناته ولم يقرع صرف النائبات صفاته ولم تنقض دوائر الأيام مرته ولم تنقض على اختلاف أحوالها حبوته ولم يبق من أصحاب الجيوش وزعماء الجماعة من لم يضرب بسهم من نوافله ولم يرجع الحظ من عطاياه وفواضله ولم تخدمه أحد من ذوي الحشمة بسلام إلا حظي منه بإنعام ولحبية ألوان وأفراس مطهمة حسان فعلى الأكتاف خلعه ولباسه وتحت الأفخاذ مراكبه وأفرا سه وحشو البيوت بدره وأكياسه وقد كان السامانية يهمون برده إلى مملكته حيانة لقصب السبق في إدالته على خصمه وإفاءة مملكته إليه فيقطعهم توالي الفتوق من كل وجه عليهم عن إصابة أغراضهم في أمره وألهمته بصيرة التجارب مداراة المحنة حتى ينتهي زمانها وينقضي على الإقبال بحرانها إذ كان الاضطراب في المحن كالاضطراب في حبل الخناق ما يزداد صاحبه على نفسه حركة إلا ازداد اختناقاً وهلكة ومما يضاف إلى شعره قوله

شعر بديع مشهور

قل للذي بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر يعلو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر
فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا * ومسنا من عوادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم غير ذي عدد * وليس يكسف إلا الشمس والقمر

ولما وطئ ناصر الدين سبكتكين عراض خراسان وأقدره الظفر بأبي علي علقه بها ارتياح للقائه ومسامحة على نصرته وإعلائه ثم اتفق له من الانقلاب إلى بلخ ما حال بينه وبين المراد فعبر مدة على جملته إلى أن

انقرض امر ابي علي وخوى نجم الشغل به وانحدر الى طوس في طلب ابي القاسم
السيمجوري فجدد عند ذلك شمس المعالي عهده به والاطف كل
منهما صاحبه بما لا يفي به بيان ولا يتسع له حساب ولا حسبان
وجرى ذكر فخر الدولة صاحب الري واستظهاره ببدر بن حسنويه صاحب
الاكراد والفوارس الانجاد فاراد ناصر الدين سبكتكين ان يستظهر
عليهم بحماة المشرق ورماة الحدق من كتائب الاتراك الخانية فارسل
حاجبه الكبير التونتاش الى ايلك الخان يستنجزه حكم الحال التي تفارقا
عليها بماوراء النهر من الاتحاد في الوداد والاشتراك في الاملاك
بامداده بعشرة آلاف رجل من نخب رجاله وشهب ابطاله وصرف شمس
المعالي وراءه على ميعاد معاده ورجع ناصر الدين سبكتكين الى بلخ مستعدا
للامر ومنتظرا لوصول العدد الدثر فاستاثر الله به قبل ان عاد
الرسول وتنجز المسؤول فحبط عليه ما صنع وصوح دونه نبت ما زرع
وتوسط وجوه الناس بين السلطان يمين الدولة وامين الملة وبين شمس المعالي
في اسعاده ورده الى معاده على مال يقضي به حق غنائه ويضاهي به حسن
بلائه في تحقيق رجائه وتمحيق مكايد اعدائه ويظهر الوقاية لغاية شهرين
من قراره بجرجان اذ كان يحيل بحمل ما يلتزمه على ما يدر له من اخلافها
وحفلها من احلابها وانه يتحاشى بعد انتقال الملك اليه خبط رعيته

بالحيف والعسف والاخنا عليهم بمبرد الحرق والنسف فاعجل السلطان
ما اهمه من ارث ابيه وشغل الخاطر بناحيته عن تقديم اظهاره وتعجيل
رده الى داره فاستمهله ريثما يكفي ما امامه وينفض الشغل بما وراءه وسار
الى غزنة حتى يسر الله له افتتاحها وداوى عليه جراحها وكان
ابو القاسم بن سيمجور مقيما بقومس فلما مضى فخر الدولة لسبيله انحاز الى
جرجان متغلبا عليها وكاتب شمس المعالي قابوس في الاستدعاء اليها ليقوم
بتسليمها اليه وتقريبها في يديه فسار على سمت الرود حتى وافى جرجان
وابو القاسم باستراباذ وقد جهز من الري ابو العباس فيروزان بن الحسن
في جماهير المشاهير من قواد الديلم والاكراد وكان قد اطمع ابو القاسم
من نحار في ولاية قهستان وهراة وامن بمعاودة خراسان للاعتضاد به
والاستظهار بعدته وعديده فجرد عزمه للانصراف وضرب تلك
المواعيد بالاخلاف غير حافل بما يلحقه من المذمة بخذلان من جشمه لنصرته
واستنقذه على ما تحت قدرته وسار نحو اسفراين فانقلب شمس المعالي
الى نيسابور على حسرة التهلل ساتنا بالوقت الى مقتطف الرجا ومخترف
الامل وتربصا بما جنته رحم الليالي من جنين المقدور في ادالة الميسور
على المعسور ولما دالت امور آل سامان مختلة النظام منحلة العرا
والاوذام لا يزداد على الرقع الا خرقا وعلى الرتق الا فتقا مخض الراي

فيما يغنيهم ما بدا امره وتحوّش عليه ابد طلابه فكانت زبدة مخضه ان سرّب
للاصفهبذ شهريار بن شروين الى الجبل شهريار لاستصفائه فساد
تحت لوائه وعلى الجبل يومئذ رستم بن المرزبان خال الامير مجد الدوله
ابي طالب رستم بن فخر الدوله صاحب الري فتناهدا للقتال على
رسمهم في الاحتراس بالتراس وادّراع لباس الباس وشد عليهم
الاصفهبذ شدة شرّدتهم بين المهامه والدكادك واقتحمتهم
لهوات المعاطب والمهالك واصاب منهم غنيمة جمة بعد ان قتل
منهم مقتلة عظيمة واقام الخطبة بالجبل على شمس المعالي قابوس وكان باني
سعيد احد اعيان الجيل وشجعانهم مقيما عند الاسبهبذية في طوائف
من اضرابه متابعا لهم في ظاهر الامر وناظرا الى موالاة شمس المعالي
من تحت السر واتفق ان نصب ابن الحسن بن فيروزان لقطعة الاضافة بناحية
الديلم الى حدود الاسبهبذية فطمع في مغالبتهم عليها ومراجعتهم فيها
فقذف من جمرات انيابها بمن طرده عنها وقبض على خاله ابي الفضل
اصفهبذ فسجن الى ان دفن وما بعد ذلك باني سعيد نصر افتساعدا
على قصد آمل وبها ابو العباس الحاجب في زهاء الفين من عسكر الري
فاجلياه عنها هزيما تتقفوه الصفاح وهشيما تذروه الرياح وطير عند
ذلك باني كتبه الى شمس المعالي بذكر الفتح الذي اتيح على شعار موالاته

واستشعار طاعته ومهاداته واظهار النصح باستطلاع راياته
ففصل عن مسبعه سايرا نحو جرجان وتحيّز باني بن سعيد عن مضامّة
نصر الى استراباذ مجاهرا بشعار صاحبه وتجمع اليه من ابناء الجيل
من كان يسلك شعب هواه ويستلم ركن طاعته ورضاه وكتب شمس المعالي
الى الاصفهبذ بالانضمام الى باني وجمع اليد الى يده فيما قدم واخر للشد
على عضده فيما اورد واصدر ففعل ما امر وتسامع ابو العباس فيروزان
ابن الحسن بنبائهما وهو مقيم بجرجان فنهد لكفاية امرهما واحماء ما التهب
من جمرهما فوافقاه بباب استراباذ وقعة انّت فيها حدود القواطع
من حديد الدروع ومزارق الزانات من مفارق الهامات وكانت الهزيمة
تستمر باصحاب باني لولا انقلاب الاكراد والعرب في عسكر الديلم
عليهم ببيض الظبى وزرق العوالي منادين بشعار شمس المعالي فانهزم
ابو العباس فيروزان بن الحسن ومن معه فركب الطلب اكتافهم واسر هو وزهاء
عشرين نفرا من وجوه القواد في جملته واسرى بقية الفل نحو جرجان
وقد قدم اليها قابوس بن وشمكير سالار بن خركاش احد اقاربه فوافق
انهزامهم اليها اطلاله عليها وتسامع الفل به فضجّوا رنّة وعويلا
وضلّوا فلا يستطيعون سبيلا واضطروا الى استيناف الهزيمة فرجا
على فرج وثلجا فوق ثلج وخوطب شمس المعالي قابوس بن وشمكير

حرب

بخبر الفتح وما هيّاه الله له من عظيم النجح فسار الى جرجان وقد شرح
الله صدره وجلا عن الكسوف بدره ونسخ باليسر عسره وزاد على
القدر قدره ولبعض اهل العصر عند زفاف الملك اليه قصيدة اولها

لِلجدّ ما لم يعِنه الجدّ عثّار • والحرّ ما لم يزنه الصبر خوّار
وللكريم اذا الايام زلن به • عن المنى بثبات النفس اعذار
كم فاضل وجنون المجنون له • حقًا على حسك الّلأواء اجرار
وكم جريح قريح القلب ذي عبر • وكم قتيل وما للسيف آثار
وكم فقير بلا جرم وخيانة • وكم غني وللايام ادوار
سير سريع ودور غير منصرم • نصب العيون ودون الغيب استار
من كان يخبر حال الدهر دائرة • لم يثنه عن عيان الحال اكبار
وانما حاصل الايام مختبرا • اجذر اصمّ عن التحقيق فرّار
نحى الزمان على من لا اصطبار له • ورقّة للذي في العسر صبّار
فاصبر هديت فان الصبر منجحة • ومن ورا ظلام الليل اسفار
والدهر ذو غير احواله نوب • عسر ويسر واحلا وامرار
والبدر يدركه التحقيق منتقصا • وبعده بضياء التمّ نوّار
والنار في خلل العيدان كامنة • وسقطها باقتداح الزند سعّار
والحدّ يطبع كالصمصام ثم له • من صيقل الدهر جلاء وشهّار

هذاك شمس المعالي في سيادته • له مع الفلك الدوّار اخبار
اعطاه من غرر الآمال ما قصرت • عن نيل امثالها في الدهر اعمار
ملكا وعزّا وعيشا رافغا وعلى • ودولة ضمنها نصر واظهار
لما حساه ذروع العزّ صافية • ولم يجد منه غير الشكر يختار
ابلى نشوزا علمه كي تجربه • بالصبر والصبر للاحرار مسبار
حتى اذا ما قضى من سبره وطرا • وللامور نهايات واطوار
امسى يعاوده ما ارضاه في خفر • وحلّ بدم التشويش فوّار
فالدهر خادمه والعزّ صارمه • والرأي رايته والخلق انصار
فهم تقضي حقوق العالمين به • كانه الشمس والاعمار اقمار
راح الكرام الى اوكار نائله • كانه الليل والاحرار اطيار
له المعالي سماء والعلى شهب • والمجد سارية والجود امطار
علاه كالليل والمصباح همته • ونفله الجود والآمال سمّار
تراه تنهزم الاموال عن يده • مثل انهزام العدى عنه اذا ثاروا
ومجده الدهر قنّاص لهمته • فالجود باز له والصيد احرار
حياؤه بوقاح السيف ممتزج • وعدله في حزون الباس سيّار
تمسي يديه الى الفردوس منتسب • ووقع سطوته في جرم النار
يوم الهياج صفاح البيض ظلته • والجوّ من لهب الطغيان صهّار

يغامس الحرب والأرواح راقية إلى التراقي وطرف الموت نظار
يرتش من دفع الأعناق قسطلها إذ نقعهن حوامي الخيل ثوار
تنازرت أنجم الأفلاك سطوته إذا الرماح من الأرواح عمار
فهن في ذمة الأضواء آنسة وهن من خشية الظلماء نفار
للمشتري بينها في الخصر منطقة يبغي رضاه وللمريخ زنار
كفته روعته أمر المصلحة فما يدور على المحظور دوار
وقد أفاض على الظلماء هيبته فما يضر حذار البأس ضرار
إن السلامة إن لو ألهمت نطقت يا رب أنت لي من سيفه جار
يا أيها الملك الميمون طائره ومن نداه كفيض اليم زخار
إن الزمان عروس ما لها أبدا سوى خصالك مشاط وعطار
البخل عندك في وجه الندى كلف ثم وفي غرة الإقبال إدبار
ترمي العدى من نبات الكيد صائبة فإن رموا خانهم في الرمي أوتار
كأنما قد رموا من كعز ظالمة وما رميت به وحي وأقدار
تحمي وتلتهب الأوتار دامية كأنما أحمت الأوتار أوتار
لا زال في نعم يفضي إلى نعم ما طاف حول فناء البيت عمار
ممتعا بسرور غير منقرض حتى يفوق نجود الأرض أغوار

ولأبي بكر محمد بن العباس الطبري المعروف بالخوارزمي فيه من قصيدة يمدحه

بها وقت مقامه بنيسابور

قامت تودعني بالأدمع السجم والصمت بين يد منها وبين فم
البين أخرسها والبين أنطقها وهذه حالة في الناس كلهم
قد طال ما انهزمت عنا السيوف فلا تجار بينا الجيش الورد في العنم
وقد خلعت لجام الاتباع فلا تلفي سوى الغنا في ذمة اللجم
لم يبق في الأرض لي شيء أهاب له فهل أهاب انكسار الجفن ذي السقم
أستغفر الله من قول غلطت بلى أهاب شمس المعالي أمة الأمم
كان لحظك من سيف الأمير ومن حتم القضاء وفرعمي ومن كلمي
قال الأمير لأخلاق الكرام قفي بحيث أنت فما زادت على نعم
وقال للعلم والآداب لا ترجي إلا علي فما فاها بلا ولم
القائل القول لو فاه الزمان به صارت لياليه أياما بلا ظلم
والفاعل الفعلة الغراء لو مزجت بالنار لم يك النيران من حمم
لا تحفلن بضوب المال في يده فقد تجف ضروع العارض السجم
قد يجزر البحر بعد المد جرفه وينزل الجدب في كرا الأجدل القطم
فلا يغرنك أن الدهر حاربه قد يغمد السيف يوم الروع بالبهم
الآن إذ غدت الدنيا بحشمته وقابلته صباحا أوجه النعم
ترنو إليه فتخفي شخص منقبض لما جنته وتغضي طرف محتشم

اذا دعت نجوه ساقا نهت قدما والعمر يذهب بين الساق والقدم
حيتى تقربها حال وتبعدها كذا يكون رجوع الآبق السدم

ولهم قصيدة اخرى يقول في نسيبها

شموس لهن الخدر والبيت مغرب فطالعها للبين والهجر غارب
ولكنما شمس المعالي خلافها مشارقه ليست لهن مغارب
وما نقول الشمس الا وقد راوا بانك شمس والملوك كواكب
اقول لزوار الامير ترجلوا فمن زاره من راجل فهو راكب
وان زاره الفرسان كنت كفيلهم بان يرجعوا والخيل فيهم جنائب
الا ابلغا عني الامير رسالة تدل على اني على الدهر عاتب
الى كم يحل المرء مثلك بلدة بها منبر فيه لغيرك خاطب
عليك بهذا السيف فاقض ديونه فللسيف دين عند كفك واجب
فلا تقعدن تغضي الجفون على القذى وفي الارض مركوب ورمح وصاحب
غريمك هذا الدهر فارهب تعنته فلن يوقظ الغرام الا المطالب
وانت ابن عم السيف بل انت عمه وكيف تخاف الاقربين الاقارب
اليس ابوكم وشمكير وجده زيار ومرداويج عم مناسب
تحل بنا اما لواء ومنبر واما حسام كالعقيقة قاضب

وللقاضي ابي الحسين علي عبد العزيز الجرجاني

وفيه من قصيدة اولها

امسى خيال الهاجر المتجنب ومجرى دموع الزائر المتطرب
سالتك بالدار التي صرت بعدها قذى ناظري من بعد ان كنت ملعبي
اعني على عيني اذا ما وعدتها بقربك قالت للدموع تاهبي
ولما تداعت للغروب شموسهم وقمنا لتوديع الفريق المغرب
تلقين اطراف السجوف بمشرق لهن واعطاف الخدور بمغرب
فما سرن الا بين دمع مضيع ولا قمن الا فوق قلب معذب
كان فؤادي قرن قابوس راعه تلاعبه بالفيلق المتاشب
همام يراه المال اسرع حادث الى حتفه والقرن اخوف معطب
يفض العدى اطرافه قبل عزمه ويطرقهم رعبا ولم يتاهب
وزرق على سمر تظل اذا هوت تلاحظ اعقاب الشهاب المذنب
ترفعن عن طيش الرماح وزلة السهام وتقصير الحسام المجرب
فجزن ظباة البيض ثم وصلنها اليهن من سمر الرماح باكعب
فنلن منال السهم في متبعد وقمن مقام السيف من متقرب
فتى ما تلاقت ميمنات بصدره ولا يشهد الجلى برأي مشعب
له الهمة العليا والمنصب الذي يتبعه الجوزا الحاظ متعب
اذا بعض اطراف الرجال تقاصرت عن المجد القوه كريم التقلب

يزاحمهم فروشمكير بمنكب ومن سلف الاصفهبذين بموكب
ويذهب من مجد وعز ومفخر بآثار مرداويج في كل مذهب
وما خلصت للمرء مسعاة والد اذا لم يقابله بخال مهذب
كلا طرفيه يرجع الطرف خاسئا اذا رامه عن كل خرق محجب
يحوز معالي اردشير بخاله ويعلو اربى عن شاو ساسان بالاب
ولما انتهت الهزيمة بالقوم الى الري على جملة الانكسار وذلة الافتسار
وسبة القتل والاسار قطع عليهم سياط العذل والتعنيف
وملئت عيونهم من نفثات التعيير والتشوير وكان ابو علي الحسن
ابن احمد بن حمولة على الوزارة فاختار عشرة آلاف رجل من نهم الديلم
وفتاك الاتراك ونخب العرب وافراد الاكراد وسار بهم في منوجهر
قابوس وبيستون بن سياسف وكيان فيروزان وشاهوج ابن اخت
عظيم الديلم وفوسى الحاجب وشاد بن كردويه وابي العباس بن حاي
وعبد الملك بن ماكان فنهوا رتوت الجيل والديلم حتى اطل جبل
شهريار وبلغ شمس المعالي اقباله فاستضم اطرافه واستظهر
بشهريار بن شروين استعداد المواقعة وتنجزا لوعد الله في
نصرته وتثبيت وطاته واستتمام ما اعاده عليه من نعمته وحاذر
ابو علي بن حمولة مماراة نصيب الحسن بن فيروزان شمس المعالي قابوس

وشمكير وانقطاعه الى جانبه فواصله بكتبه نافثا في عقدته
فاتلا في ذروته نافخا بسحره في سحره وملقيا اليه ان القرابة
التي تشبجه بابي طالب بن فخر الدولة وبينه لو صادفت منه حكمها
في الاشفاق على دولته والانتداب الى نصرته لكان احق الناس
بسياسة اجناده وزعامة ممالكه وبلاده وانه الآن متى سلك طريق
الخدمة وجانب جانب التهمة وحافظ على حرمة اللحمة لم يعدم
ما يهواه من ترتيب وترحيب وتنزيل وتخويل وتفخيم وتقديم واذن
له في الانتقال الى قومس الى ان يدبر امره بمقتضاه فارتاح نصر
لما شامه من تلك العقيقة ووثق به على الحقيقة وسار نحو سارية
ثم قبض الجماعة ذات اليسار وركب ذات اليمين مما يلي طراسك
وابان حتى اذا حاذى رقعة قومس اذاع في اصحابه رايه في طاعة ابي طالب
وانه ما عاش رفيق خدمته ونصير دعوته فاختلفت عليه كلمتهم
حتى افصح بتدبيره وباح بسر ضميره فمن فريق رجع الى الاسفندارية
وفريق الى جرجان في طلب الامان ورحل نصر في الباقين حتى اناخ
بقومس وسأل ابا علي بن حمولة تمكينه من بعض القلاع ليحصن فيه
عياله واثقاله فمكنه من حصار حومند واستوطنه واودعه ماله
ومن معه ولما امن ابو علي شره وعاديته توجه نحو سارية على

قصد جرجان فلما اطمأن بها أسرى منوجهر بن شمس المعالي الى أبيه
عائذا بالله من عقوقه وكفران ما فرض الله عليه من حقوقه فارتاع
ابو علي من بيستون بن عاسف لاشتراكهما في نسبة الجيل وارومة
ذلك القبيل واشفق من صنعوه القديم في خدمة شمس المعالي وحثه
اياه على معاودة سنته واهتبال الغرة في مراجعة جملته فاخذ
بالحيطة في اعتقاله ورده الى الري في وثاقه وامتد الى ظاهر
جرجان مما يلي قبر الداعي فعسكر به وتواصى اهل الحفاظ
والحمية والانفة الابية من اصحاب شمس المعالي بالترافد في التجالد
والتساند على التقاتل والتماسك عند التعارك وشدوا احيانا بهم
للقراع وقرعوا اظنابيبهم للمصاع وناصبوهم الحرب طرفي الصباح
والرواح لا يسأمون وقع الصفاح ولا يألمون لذع الجراح حتى غبر
شهران كيوم واحد في معاناة الكريهة بين تكلف وبديهة ومس
عسكر جرجان ضيقة لانقطاع الميرة والمواد عنهم فاستعصموا
بالنفوس الشريفة وتغنوا تلك الايام بالبلغ الخفيفة موثرين شرف
المقام على شبع الطعام وردا التشجع على سد المجاعة واصاب
الآخرين تلك الضيقة وانتقلوا من الفضا بقبر الداعي الى جانب
محمداباذ التماسا للعلوفات من جهة خناشك فتدكت عليهم الامطار

طول

حتى اعوزتهم الامتيار وماجت عليهم الارض بالطوفان فتساقطت
الخيام وساخت القوائم والاقدام وبرز عندها انصار شمس المعالي
اهل الحقائق من وراء الخنادق واججوا نار الوغى بضارية القنا
وداهية الاراقم وثبت بعضهم للبعض من مطلع الفلق الى مسقط
الشفق محكمين متون الصوارم في شؤون الجماجم وذوابل الصعاد في
مناهل الاكباد وزرق الزانات في سود المهجات حتى اذا زالت قدم العصر
اتى امر الله بالنصر فحمل الجيل على الديلم حملة لم تستبق منهم طالب
ثار ولا نافخ نار واسر من عظمائهم اسفهسلار بن كوركيج ووند بن بيغول
وحشنان بن واهسكي واخو جيدرو محمد وهسوذان واشتملت المعركة
على الف وثمانية رجل ممن اضجعتهم الحتوف وشحطتهم على الارض
السيوف وافاء الله على الجيل غنائم لا يستوعبها بيان ولا يستثبتها
بنان ثم رأى شمس المعالي ان يوعز بمداواة الجرحى والفك عن الاسرى
وصرفهم ورآهم بالخلع والكرامات والاحبية والصلات شكرا لنعمة الله
فيما اولاه واكبارا لقدر منته في تحقيق ما رجاه وانشدني ابو منصور
الثعالبي ابياتا له في ذكر هذا الفتح الذي نظمه الله في سلك ايامه
والحق الذي اقر منه في نصابه

الفتح منتظم والدهر مبتسم وملك شمس المعالي كله نعم

والعدل منبسط والحق مرتجع والشعب ملتئم والجور مصطلم
القت مقاليدها الدنيا الى ملك ما زال وقفا عليه المجد والكرم
شمس المعالي وغيث المشرقين ومن به يليق العلى والملك والخشم
هو الامام هو القرم الهمام هو البدر التمام هو الصمصام والقلم
هو الغمام الذي تخشى صواعقه قهرا ويرجو نداه العرب والعجم
هو المقيم وقد سارت مآثره كأن علياه من دنياه ينتظم
والماء من جوده المأمول منسكب والنار من بأسه المرهوب تضطرم
والارض من صدره والريح من يده والروض عن خلقه للخلق مبتسم
الله جارك يا من جار حضرته يلقى السعود عليه الدهر تزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا وعاشر الفتح منشورا له العلم
يا من اذا اعتصمت صيد الملوك به امسى واصبح بالرحمن يعتصم
ابل الجديدين بالعمر الجديد ودم للملك تخدمك التوفيق والقسم

وانشدني الامير الفاضل ابو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي

في ذلك

لا تعصين شمس العلى قابوسا فمن عصى قابوس لاقى بوسا

معمولة يعارضها المولى الفاضل قنالي زاده مقرظا على كتاب القاموس

نعم ولما بلغ ابو علي حمولة قومس منهزمه عن تلك المعركة ارسل الى
نصر بن الحسن فيروزان يسأله تعجيل اللحاق به ليتعاضدا على لم شعث

الهزيمة وسد ما جاش من منخر تلك الكشفة القبيحة ثم اعجله الطلب
عن التوقف والتلوم فاوجف نحو الري واتاه نصر فلم يلحقه فاستوطن
سمنان في تابع كتبه الى ابي طالب مجد الدولة رستم بن فخر الدولة مستمدا
وتشمر لتلافي الخلل مجدا فتراخت المدة على استيناف امداده واقبال
معونته وانجاده ثم امده بابن كبكير الحاجب في زهاء ستمائة من شجعان
الغلمان فتقوى بهم وتكثر بمكانهم ورماه شمس المعالي بابي بن سعيد
في رجال من الجيل وكتب الى الاصفهبذ شهريار بن رستم لمعونته وازاحة
علته فصمد صمد نصر مرخيا عنان التحفظ ومغمضا جفون التيقظ
وقد كان نصر سد الطرق على ابنائها ستر الخبر وسحبا الذيل
الكتمان على اثره فاتفقت انافه بابي علي على حين تقطع من حاله وتفرق
من اكثر اصحابه فتناوشا الحرب ساعة ونصر مستقيد وامره في القراع
جد ثم اضطر بابي الى الانقلاب على بارح الخيبة وفشت الهزيمة بمن
تلاحق به وتراخى من ذنابى عسكره وجرى عليهم من القتل والاسر
ما اعتد به نصر في مساعيه عند ابي طالب فغسل به وجه حاله وجلا
عليه صفحة اقباله وانهض عند ذلك رستم المرزبان خال مجد الدولة
ابي طالب في ثلثة الاف رجل مددا لنصر وعقدت له الاصفهبذية
على جبل شهريار فتلقاه نصر الى دينا وند وساعده على صعوده

وامتلاك حدوده ولجأ الاصفهبد شهريار الى سارية وبها منوجهر بن
شمس المعالي معتصرا بعقوته معتصما بعروته فاصاب اهلها فيهم غلاء عم
بلاؤه وشمل الكافة لأواؤه وسببه بسط الايدي بالغارات والانتهاب
ما اوعته الرعايا للارماق من الاقوات فاضطر نصر الى الانصراف
عن رستم بن المرزبان للقحط الشامل والبلاء النازل فلم ينهنه الاصفهبد
عند انقلابه ان ركض على رستم واجلاه عنها الى حد الري منخوبا
منكوبا ومخذولا مفلولا فصفت له ناحيته وانحسمت عنه شذاة نصر
وعاديته وكان ابو نصر بن محمود الحاجب قد الجأه بعض المحن التي
دهته الى حضرة شمس المعالي فمهد له كنفه وحكم في اصطناعه شرفه
ووالى الصنائع والرغائب اليه وملأ من الاموال يديه وسهل كؤوب المطالب
عليه ثم رماه في وجه نصر بن الحسن مزاح العلة بتقدير الكفاية من ذوي البسالة
والنجابة فخف اليه بجاش ثبت ووجه على الحادثات صلت واحرق عليه
الارض حربا بكرا على يديه وعوانا على ايدي اعوانه وعدده ثم حمل على
جموعه حملة شردتهم كل مشرد وطردتهم بين اعين البيد كل مطرد
وعلق في حبالة الاسر حسان بن الداعي وابن هندو وغيرهما من اعيان
القواد واصطف على جدالة الحرب من القتلى ما اشبعت به الضباع
بل سمنت عليه الوحوش الجياع وانهزم نصر من بين يديه الى سمنان

وكان نصر على جلالة بيته وفخامة عشيرته ورهطه مغرما بالظلم
مغرى بالحيف والغشم وافتقد لابتة مدرجة الحجيج زوار البيت
العظيم وزمزم والحطيم فتشمل لتهم عنته في كل سنة بوجوه المطالبات
المختلفة والمعاملات المجحفة حتى انتشر عنه سوء الاحدوثة وحط
عليه جمال تلك الجملة الموروثة ولعل عثار الزمان به عدوى ضجيج الحجيج
عنه بالاستغاثة في حالتي الوقوف والافاضة وواصل نصر الري
بجنبه في الاستنفار والاستنهاض من صرعة العثرة فمد له في طول
التطويل بانواع التعليل والتأميل
مواعيد كما لاح سراب المهمه القفر فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر
وبلغه بعد ذلك ان مجد الدولة ابا طالب وشمس المعالي قابوس قد تصالحا
على احتيال تحصيله والظفر به فساء ظنا وضاق بالامر ذرعا ونمي
اليه ايضا ان بعض قواد السلطان يمين الدولة وامين الملة وكان يعرف
بارسلان هندوبجه والي قهستان قد اوقع بابي القاسم السيمجوري واجلاه
عنها الى الجنابذ فاغذ السير اليه على مطي همته والتخص بمرافقته
ومطى قرنه وجعل يحطب في حبله ويفتل في ذروته بحيله وختله
ويزين له قصد الري معه لامتلاكهما على ابي طالب ايهاما لتنقل النيات
في طاعته ودخل الاهواء في متابعته فاغتر ابو القاسم بتغريره وانجر

في جريرة وسار الى خوار الري فتلقاه من سرعان الكتائب من غص
بهم لهوات تلك المخارم والمسارب ولما رأى ابو القاسم ان الامر جد والطريق
منسد خنس وراءه عاضا على البنان متحيزا لعارض الحرمان
وبلغ شمس المعالي قابوس بن وشمكير انصرافه مع نصر عن وجه الري فعقد فيهما
بعقارب الاكراد من ذلك الجانب ودرجهما على حدود مملكته على عذاب واصب
ولما رأيا ان الارض تلفظهم يمينا وشمالا وتنفيهم جنوبا وشمالا
تواعدوا على قصد السلطان يمين الدولة وامين الملة مستأمنين اليه ومستعدين
على الكفران المتولي من بينهم فيمما الحضرة وتوشحا بجمال خدمته فاما
ابو القاسم فهرب على ما سبق ذكره الى ان اودعه الحبس اسره واما نصر فاقام
على الخدمة مدة الى ان امر السلطان باقطاعه بيار وجومند طعمة له فنهض
اليهما وابت همته القناعة بهما فلم يزل يضطرب في حبالته الى ان خدع من
الري وحمل منها الى القلعة اسيرا وبذ فجعلت عليه حصيرا وساء ذلك
مصيرا ووكل شمس المعالي بعد ذلك بحوالي القلاع فيما بين جرجان واستراباذ
وما وراءهما من احاط بها احاطة الخلخال باسباغ الحجال حتى افتتحها غيلة
ومكيدة ومراعاة لحقوق الاستسلام والتسليم وكيف صفت له تلك
الولاية بحدودها وحواشيها وقلاعها وصياصيها بما اعد من بدا الحقاب
فيها واتفق بعد ذلك اخلاد الاصفهبذ بجبل شهريار الى الجانب المجانبة

في طاعة شمس المعالي قابوس بن وشمكير وادعاؤه الامر بنفسه اغترارا
بما اجتمع له من التوفر والتفت عليه من الاعداد الدثر والعسكر المجر
فرمي من جانب الري بابي علي بن رستم بن المرزبان خال ابي طالب في صناديد
الديلم وفيهم بيستون بن تجاسب المقبوض عليه من قبل في التظني بموالاة
صاحبه قابوس فنصب له الحرب قراعا ومصاعا وثقافا ونقافا فكانت
عاقبة امره ان كسر فاسر ونادى ابو علي بن رستم مكانه بشعار شمس المعالي
لوحشة كان استشعرها من اهل الري واقام الخطبة فيها باسمه
وكاتبه بذكر طاعته وشرح ما فتح الله على يده وهاجر ابو حرب بيستون
ابن تجاسب الى الحضرة المقدسة مرافقا صاحبه وولي نعمته فانشرح
صدره وقرت بالاياب عينه وطاب بالايناس والاحسان عيشه ولو لم تعجله
عن الحيوة حينه وانضافت مملكة الجبل باسرها الى ممالك جرجان
وطبرستان فورثها شمس المعالي منوجهر ابنه سمي من لو عاش الى زمانه لرد
عليه عواري مفاخره ورجع اليه حلي آثاره ومآثره وانفتحت بعدها
عليه الرويان وچالوس وما وراءهما من الحدود الاسفهبذية فصارت
ولاياته تشرق بنور العدل والاحسان وتبسم عن ثغور الامن والامان
وواصل شمس المعالي السلطان بكتبه ورسله في عقد وثيقة يتحصن
بها من صروف النوائب ويستظهر بها على وجوه المطالب وقدم بين يدي
نجواه

من انواع القرب والمنة ما خرج عن الحد والمقدار حتى تأكدت العصمة
وتأربت العقدة واشتبكت الالفة واستحكمت الثقة وصارت
جرجان وطبرستان الى سواحل البحر وديار الديلم بحكم الحال المتشبثة
كاحدى ممالكه التي يحتكم عليها آمرا وناهيا وينبسط فيها حاضرا
وباديا فلله شمس المعالي في همة له بين المجرة مجراها وفي بحار الكرم
مجراها ومرساها فلم يسمع في شيوخ الملك باشرف منه قيمة واوطف
ديمة واكرم شيمة واصدق بارقة مشيمة واوفر عقلا وتحصيلا
واظهر جملة وتفصيلا واغنى للنفس بعفاف الحكمة واجزى للبدن
بكفاف الطعمة وقد فطم النفس عن رضاع الملاهي فلا يعرف اللهو ما هو
ولا البطالة ما هي علما منه بان اللهو والملك ضدان وان ليس
للبقاء بهما يدان ولقد احسن ابو الفتح البستي الكاتب في نصرة
هذا الرأي بقوله

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا ... فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس في الميزان هابطة ... لما غدا برج نجم اللهو والطرب

نعم ولا احرص على اصناف الرعية واخذ باطراف العدل في القضية وابرع
في الآداب والحكم واجمع بين ذرابة السيف وذلاقة القلم فرسائله موجودة
في البلاد عند الافراد لكني اكتفي منها بلمعة من عارف بيانه وزهرة

المعالي
لشمس [illegible]
رسالة [illegible] وشمكير
قابوس و

من حدائق احسانه اذ كان في تصفحها ما يغني عن التكثر في هذا الكتاب
بها فمنها رسالة انشأها في الترجيح بين صحابة النبي صلى الله عليه وسلم
يعقب بها رسالة القينية وهي

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم ان اصعب الامور واشرفها
بين الجمهور هو الخروج بالنبوة والاستعلاء على الخلق بهذه القوة لانه
تقليب الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير
معهودة ومخالطة الخلق عن الخالق الذي لا تدركه ابصار الخلائق
وقد اعتلى نبينا صلى الله عليه وسلم ذروة هذا الشرف فصار لمن
سلف من الانبياء خير الخلف وفاز بمزية هذا الذكر العظيم واذاق
العرب لذة النعيم ونقلهم الى الثروة والغنى من الفقر والفاقة
واراحهم من غاية الجمال والناقة وليس وراءه لابتغاء العلى امد
كما فوق السماء للسمو مصعد ثم ضبط الامر بعده زعيمه على نظامه
واقامه في قوامه وهذا ما تولاه ابو بكر رضي الله عنه حين ودع عمره
من غير ان سلم الى احد امره فانه قام به قيام ثابت القلب مستقل
بمفاوضة الخطب غير مفكر في رد راد ولا مبال بمعاداة معاد
حتى حمى الدين وجمع شمل المسلمين ولم يرض بان يلم ببيضة الشريعة
ثلم ولا ان تتغير في احكامها حكم فلقب خليفة رسول الله

بابتدائه بحياطة دين الله ثم تحصين حوزة الاسلام عن عوارض
الفساد وغائلة الاعداء والاضداد والمجاهدة في استضافة
ديار المخالفين الى جانب الاسلام ومجامع المسلمين وهو ما اتاه عمر
رضي الله عنه لما آل اليه الامر فانه صرف همته الى الجهاد وقصر وكده
على افتتاح البلاد حتى اتسع نطاق هذه الملة وخضعت الرقاب لاهل
هذه القبلة فلقب امير المؤمنين اذ كان نعم العون لرسول رب العالمين
قد فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الامر الاعظم والشان الافخم
واطفاء لهيب كل متهيب على رغم من ابي لهب وال ام بسعي الشيخين
شعب الامة بين الآخرين وبلغ من الاحكام مبلغا ليس فيه مستزاد ولا يشين
بياض غرته سواد ولم يبق للتابعين سوى التمسك بدين ممهد ومراعاة
بناء مشيد ولم يقدروا على القيام به واحتجبوا ورآء احتجابه ولما
اتت الخلافة عثمان رضي الله عنه كان منه ما كان من تبديل زي النسك
بزينة الملك وتغيير سيرة الائمة حين توسع في النعمة حتى اجتنى
ثمرة ما جنى وتيه به سوء ما اتى ولما عادت الى علي بن ابي طالب كرم الله — فيه من سوء الادب ما لا يخفى
وجهه هاجت الرياح من كل جانب وبدت الاوابد وتبدلت العقائد
وتحول امر الدين بتلك الغائلة دول القتال والمجاذبة ووقعت
الخلافة في الخلاف وبرز نصل الشر من الغلاف وبقي علي رضي الله عنه

على اضطراب لا يهدأ وفي مداواة داء لا يبرأ مع شجاعته المشهورة
ومآثره المأثورة وانتهى آخره الى ما انتهى حتى جرى عليه وعلى عقبه
ما جرى فلينظر اذ كان الامر كذلك اهاؤلاء الحق بالقدح ام الاوائل
قد مضى القوم وآثارهم في الاسلام كالشمس في الاشتهار والهباء في الانتشار
وصنيعهم صائح يحي على الفلاح وليس بايدي الخصماء سوى السفاهة
والصياح وهل يقدح الكلب الا على النباح — وقرأت توقيعا
له الى بعض الافاضل يستقيله حضرته بتوخي مسرته
مجال لمن سمت به همته الى قصد من تغلو عنده قيمته ان تكون
على غيره عرجته ولبيت من سواه زيارته وحجته — فاما خطه
فخطة المحاسن فسمه ان شئت وشيا محوكا او تبرا مسبوكا او
درا مفصلا او سحرا محصلا وكان اسمعيل بن عباد اذا قرأ خطه
يقول هذا خط قابوس ام جناح طاووس — كما قال المتنبي ٦

في خطه من كل قلب شهوة — حتى كان مداده الاهواء
ولكل عين قرة في قربه — حتى كان مغيبه الاقذاء

ذكر الحال التي انعقدت بين السلطان يمين الدولة وامين الملة وبين ايلك الخان في التواصل والتصاهر والتعاقد على التعاون

والتظافر الى ان خلعت بهجة البشر
وكسرت عرا عقد النشر

قد كان ايلك الخان لما ملك السلطان خراسان على الغدرة بآل سامان اغتنم تطهير ما وراء النهر عن كل منتسب الى تلك الأرومة ومتشبث بشعب تلك الجرثومة فلم يدع هناك ذا ظفر الا قلمه ولا ذا جناح الا اجتاحه واصطلمه ثم كاتب السلطان مهنيا بما ذخر الله له من خالصة الملك وصافية الملك وظاهره اليه من ظاهرة العز وباطنة الصنع ومعتدا لنفسه بما قطفه من عنقود رجائه ملاوة على صفقة اقباله وعلاوة على جماله وجلاله وتردد السفراء بينهم في وصلة تبل رحم الحال وتوكد اسباب المودة والوصال وتحمي حريم الثقة في الجانبين وترفع ستر الحشمة في ذات البين وتودي رتبة الاختلاط الى الامتزاج وقربة الاشتباك الى الارتاج فتصير النفوس واحدة والسواعد على وجوه مصالحها متساعدة وانهض السلطان عند الامامة كان بنيسابور في طلب المنتصر ابي ابرهيم ابا الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي امام اهل الحديث بها رسولا الى ايلك الخان وضم اليه طغانجق والي سرخس في خطبة كريمته عليه ونقلها في صحبته اليه واصحبه ما عدا العد والحد من سبائك العقيان

ويواقيت الرمان وعقائل الدر والمرجان ونخوت الوشي والحبر ونوادر البز والخضر وصوان الذهب مملوة من بيضات العنبر واواني الفضة منظومة بشمامات الكافور وغيرها من شارات المنود وقطاع العود وذكور النصول واناث الفيول تحت حدوج مغشاة بذوات التعاريج من الوان الديابيج منطقة بعصايب تخطف العيون بريقها وتصطحب على الاقتاب معاليقها وعتاق ضوامر كالقداح غدود كمتون الصفاح وغرر كنجوم الصباح وقوايم كمخرق الرياح وسنابك كفلق الصفاح في مراكب كانما حلي بعضها من قطع عقيق او شعل حريق وحلي سايرها بنجوم الثريا والنثرة وبنات نعش من وراء المجرة وقرن ذلك كله باموال على سبيل الالطاف تغمر ذوايب الاوصاف فسار الامام ابو الطيب سهل بن محمد الى ايلك الخان كريما ينقل كريمة وحمال غز بحار النزل الى ايوان دره يتيمة فطلع على ايلك واهل بيته طلوع الحميم طاب ايابه بعد ان طال اغترابه والحبيب لطف اعتابه بعد ان قدم هجره واجتنابه اعظاما منهم لقدره وفاكهته عن بيان السلطان في ذلك المهم من الشان ثم لفضله في نفسه فهو الامام المقدم والصدر المحتشم ومن لا يقرن الى نظرائه ضريب له في ابواب الفضائل خصوصا في خلافيات المسائل واقام باوزكند الى ان فرغ

مزامير الزفاف وازجت عامة في الانصراف فعاد على حناح النجاح
مصحوبا بمجلوبات الترك من نفر المعادن ونوافج المسك وقود المراكب
وعيس الرغائب وزود الوصفاء والوصائف وبيض البزاة وسود
الاوبار ونصب الختو واحجار اليشب وطرائف الصين واجرت الحال
بين السلطان وبين ايلك الخان اتحادا اشترك فيه المرافق والنعم
واستهم فيه الصنائع والخدم وبقيت على جملتها في التاكد والتاكيد
الى ان نزغ الشيطان بينهما فتغلغلت الضمائر وانحلت القوى والمرائر
وتولى السيف تدبير ذلك الوصال فحل معقوده وفصل مسروده
وسيأتي الشرح على الوقائع التي جرت بينهما في موضعها على الاثر
فاما الآن فاني اشير الى نبذ من محاسن هذا الشيخ السفير والكافل
في الامر بالتدبير واتبعه بذكر رجالات خراسان من اعيان رعايا السلطان
يمين الدولة وامين الملة ووجوه الفضل من اوليائه فمن منثور
كلامه قوله من تصدر قبل اوانه فقد تصدى لهوانه
يشير الى قول منصور الفقيه
الكلب اعلى همة وهو النهاية في الخساسة
ممن ينافس في الرياسة قبل اوقات الرياسة وقوله العقل
اطيب عيش والعدل اغلب جيش وقوله اذا كان رضى الخلق

٨

معسورا لا يدرك فان ميسورا لا يترك وقوله انما تحتاج الى اخوان
العشرة لزمان العسرة وقوله من تغافل عنك مع علمه بحاجتك
الى العونة وتوفيره فقد طلب عليك علة اذا عاتبته على تقصيره
كانه الم بقول القائل
تولى الناس بابن ابي وامي فهم تبع المخافة والرجاء
الم تر مظهرين على عتبا وكانوا امس اخوان الصفاء
بليت بنكبة فغدوا وراحوا على اشد اسباب البلاء
ابت اقدامهم ان ينصروني بمال او بجاه او ثراء
وخافوا ان يقال لهم خذلتم صديقا فادعوا قدم الجفاء
ولبعض اهل العصر فيه
كلام الامام امام الكلام وهو يفوق بحسن النظام
مزاج معانيه في نظمها مزاج المدام بماء الغمام
وله
الا ايها الشيخ الجليل ومن به تبلج افق الدهر عن فلق البشر
لئن كنت في الدنيا وانت وشاحها عيانا فان الدر في صدف البحر
ولم تحول الدنيا لانك دونها ولكن لب الشي يحصن بالقشر
وقد صين نصل السيف تحت قرابه كما صين نور العين بالجفن والشفر

ومن أعيان رجال السلطان بنيسابور
أبو نصر أحمد بن علي الميكالي

وهو صنيعة السلطان وشيخ مملكته وجمال جملته فضلاً موفوراً
وأدباً مشهوراً وعزاً معقوداً ومالاً ممدوداً ورأياً كالأرى مشاراً
وحزماً كالمرير مغاراً ودهاءً يسلخ الليل البهيم نهاراً ونظراً
يستشف أستار المصاير ويستكشف أسرار الضماير وشعراً أنقى من
السبج والجوهر ذكي المسك والعنبر رضي المورد والمصدر

فمنه قوله

باني العلى والمجد والإحسان ... والفضل والمعروف أكرم بان
ليس البناء مشيداً لك شيده ... مثل البناء يشاد بالإحسان
البر أكرم ما حوته حقيبة ... والشكر أكرم ما حوته يدان
وإذا الكريم مضى وولى عمره ... كفل الثناء له بعمر ثان

فأما كتابته فالسحر الحلال والعذب الزلال فهي تحكي بما تحويه من لطف
العبارة وحسن الاستعارة ومعسول الإشارة والشارة رياض مشا
القران ومن منثور كلامه رسائل منها ما كتب به إلى شمس المعالي
قابوس بن وشمكير أقرأنيه كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم كتب العبد وحاله فيما بينه وبين مولاه من

فيه ... وصف الد...

نسخة كتاب فيه جواب العيادة والتهنئة

شرف إقباله ورضاه وتفيضه عليه من ملابس فضله ونعماه حال
من يقبل عليه دنياه ويسعد في ظل دولته بأولاه وأخراه والحمد
لله رب العالمين ووصل كتاب الأمير موشحاً بدرر خطابه وغرر
إيجابه وبدائع بره وإفضاله وروائع إنعامه وإسباله فيما أكرمني
به من عز العيادة والتسنية من حلل الفوز والسعادة وشرفني
به من التهنئة عن العافية المستفادة فأوصل عزاً يبقى على الأيام
أثره ولا يخلو عن الزمان ذكره ومفخره وفهمه العبد فهم من آنس
منه رشداً واقتبس من أثنائه قوة وأيداً وسجد لله شكراً على ما
أفاضه عليه من سجال السلامة ومد عليه من ظلال الفضل والكرامة
ورغب إليه في إسباغ العوارف عليه وصرف المحاذير عنه فأما ما أهل
الأمير عبده له من تشريف كتابه ولطيف خطابه ورقاه إليه من درجة
العيادة أولاً ومنزلة التهنئة ثانياً وأنفذ القاصد بالكتاب فإن
ذلك من نتائج همته العالية ودواعي شيمته الزاكية التي تحنو على
أوليائه وخدمه وتعطف على أغذياء نعمه فليس له في مقابلة ما أولاه
ومعارضة ما كساه إلا الشكر يديمه والنشر يقيمه والرغبة إلى الله تعالى
يخلصها في إطالة بقائه وإدامة عزه ونعمائه وإنهاضه بمواجب خدمته
ومعرفة قدر نعمته بمنه ورحمته هذا ولو ملك العبد في مقابلة

بمن النعمة على جلالة قدرها ونباهة خطرها غير بذل المهجة والقرينة
في الطاعة واستنفاد الوسع والطاقة غاية لبلغها تقربًا
الى حقوقه بما يقضيها ويؤدي شرط العبودية فيها وحكم على
نفسه بالعجز والتقصير معها واذ قد حرم المراد فما تمسك الا بالرغبة
الى الله تعالى في ان يتولى من مكافاته ما لا يسمح به الا يده ولا يفي
به الا مجده . فهذا هو الكلام الذي ليس به عثار ولا عليه
غبار قد ولي الفضل تحبيره وملك العقل تسميه وتصويره
والقليل منه على الكثير دليل وكلام الجليل كقدره جليل
قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل
وقد اكثر الشعراء في مدحه لكني اثبت ابياتا للخوارزمي فيه من
قصيدة اولها

زف المنام الى طيف خياله لو ان طيفا كان من ابداله
ولو ان هذا الدهر يشكر لم يدع شكر الامير وقد غدا من آله
لا ينسف الحاجات نايله ولا يسول امرئ يتهاه عن اسآله
الوفر عند نواله والنيل عند سؤاله والموت عند صياله
وللخلق من سؤاله والجود من عذاله والدهر من عماله
وفعاله كمقاله وشماله كيمينه ويمينه كشماله

يتجمع الآمال في امواله فيفرق الاموال في آماله
لا علم الا غرة في عزمه لا حلم الا جالة من حاله
سمح البديهة ليس يمسك لفظة فكانما الفاظه من ماله
وكانما غاراته وسيوفه من حدهن خلقن من اقباله
متبسم في الخطب يحسب انه من حسنه متلثم بفعاله
هبني وفيت بحمده عن فضله من ذا يفي بالشكر عن افضاله
وله ايضا من قصيدة اولها

تلك الديار فريسة الاحقاب صنعت بعيني صنع ساكنها بي
والى الامير ابن الامير تواهقت رزحى الركاب برازحي الركاب
لبسوا الدجى لبس الغراب لريشه وغدوا الحاجتهم غدو غراب
والفجر يطرف الظلام كانه فضلات عتب في خلال عتاب
طلبوا امرا افعاله محسوبة ونواله فوضى بغير حساب
غدت المدايح وهي من اسمائه ولغيره اضحين كالالقاب
والمكرمات كثيرة الخطاب الا انها تابى على الخطاب
متبسم الحجاب مكتئب العدى متنهي النديم مجازف الحساب
شيم ارق من الهواء والذ من خطأ العدو رددته بصواب
وعزايم لو كن يوما اسهما لنفذن في الايام غير نوابي

ما يتيه الحركات الا انهما نابية الاقدام والالباب

قد اصبحت الفاظه صور النهى وقوالب الاسماع والالباب

واذا حللت له جنابا واجدا جمل الوصل مثل الفتجاب

وما آل ميكال الا كما قاله ابو الطمحان القيني

واني من القوم الذين هم هم اذا مات منا سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وما زال منا حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت مواكبه

ومما يعد من مفاخره نجيبان له ابو الفضل وابو ابرهيم عبيد الله
واسمعيل ابنا احمد حل منهما بدر في ضيائه وعلائه وبحر في تياره
ونمائه غير ان ابا الفضل ابرع في لطائف الادب وانظم لقلائد
العرب وقد سار له من النظم والنثر ما يزري بحبير بوشي صنعاء
وزهر بروضة ميثاء فمن فصول كلامه كتاب الشيخ وصل
فاذعنت القلوب لفضله بالاعتراف واختلفت الالسنة في تشبيه
بدائع الاوصاف فمن مدع انه رقية الوصل وريقة النحل
ومنتحل انه عقد النحر وعقد السحر وسمط الدر وقائل هو سلاف
العنقود ونظم العقود فاما انا فقد تركت التمثيل وسلكت التحصيل

في وصف الكتاب

اقول

اي الادب سمينا وكان حسن ادى عليه قطعة تشبيه

وقلت هو سماء فضل جادت بصوب الحكم ووشي طبع حاكه سن
القلم ونسيم خلق تنفس عنه روض الكرم وايضا
وصل كتابك فكان احسن من روض الربيع وريط الوشي الصنيع
فلقيته بحلية الاحسان والابداع وجلية النواظر والاسماع ومسن
الخواطر والطباع وصيقل الافكار والالباب وعيبة المعارف والآداب
واجتليت منه تميمة فضل ويتيمة مجد وثمينة عقد ولطيمة خلق
وغنية بر تجلو صفحة العهد وتجيل قدح الانس وتجل عن
قدر الشكر كلام اعذب من قراة المطر واعبق من فتات المسك والعنبر
يزري بنور الخمائل وقد عطرتها انفاس الشمائل ومن منثور
الفاظه اخلاقك قد اخذت من الورد عرفه ومن الند عبقه
اخلاق هي المسك لولا فارته والورد لولا مرارته والماء لولا اسراعه
الى الكدر والروض لولا حاجته الى المطر ووجه البدر لولا محاقه
والمشتري لولا احتراقه هو عار من العوراء كاس من العلاء له الشرف
اليفع والامر المطاع والعرض المصون والمال المضاع وله النوال
السكب والراي الخضب ومنه الاباء المر والكرم العذب وهو
واحد البشر وثاني المطر وثالث الشمس والقمر فهو على دهر الحداثة اذ
غصن شبابي غض وريق ونقل سكري غض وريق النعمة عروس

في وصف الخلق

مهرها الشكر وثوب صوانه الشر • النعمة عنده تختشي من لومه
اطمارا وتشتكي غربة واسارا • وكل المغرور يرسف من الرعب في حلق
ويجري مع الريح في طلق • دارت رحى الحرب بين اعمار تباح ودماء تستباح
واجسام تطاح وارواح تسفي بها الرياح والسيوف للهامات دامغة
والرماح في الاكباد والغة • ومن نظمه قوله
لقد راعني بدر الدجى بصدوده • ووكل اجفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي • ويا كبدي صبرا على ما كواك به •
وقوله
ضاق ذرعي في هوى قمر • قمر القلب وما شعرا •
ليت اجفاني به سعدت • فترى الجفن الذي فترا •
وقوله
تفرق قلبي في هواه فعنده • فريق وعندي شعبة وفريق •
اذا ظمئت نفسي اقول له اسقني • فان لم يكن راح لديك فريق •
وقوله
انكرت من ادمعي تنهي سواكبها • سلي جفوني هل ابكي سواك بها •
وقوله
ان لي في الهوى لسانا كتوما • وفؤادا يخفي حريق هواه •

غزل غريب

غير اني اخاف دمعي عليه • ستراه يفشي الذي ستراه •
وقوله
لنا صديق ان رأى مهفهفا • لاطفه •
فان يكن ذا دنيا ذو ابنة لاط • فهو • وقوله
لا تصحبن بالحيوة ذائقة • فكل نفس للممات ذائقة •
وقوله
وكل غني يتيه به غني • فمرتجع بموت او زوال •
وهب جدي زوى لي الارض طرا • اليس الموت يزوي ما زوى لي •

ومن افاضل العلوية ابو البركات علي بن الحسين بن جعفر بن محمد بن الملقب بالدباج المدفون بجرجان بن جعفر

ابن محمد الصادق بن الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي
ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين •
نسب تورث كابر عن كابر • كالرمح انبوبا على انبوب •
فجمع الله بين ديباجتي النثر والنظم فنثره منثور الرياض جادتها
السحائب • ونظمه منظوم العقود زانها النحور والترائب •
فمن نثره فصل له • احب ان يكون مكاتبتي للامير انفا لم ترتع

وبكرا لم تفترع وسائبة لا تركب ولا تحلب فلا أشوبها بأرب
ولا أتسبب إليها بسبب فعل من لا شين ولاه طمع ولا يشوب دعواه
عنت والطبع على أن الاضطرار يعتبر في وجه الاختيار والعذر فيه
مقبول عند ذوي الاخطار والاحرار وفلان يمت بي بحق الجوار ولقد
نشر جرائد شكره واظهر بحسن النشر خبايا بره فملأ الارض ثناء
والسماء دعاء وعادة الامير أن يحيي الآمال ويسترق الاحرار فليجعل
مستدرجا بهذا الامل محظوظا ولا يجعله محظوطا إن شاء الله تعالى

وله أيضا   رقعتي هذه وأنا عائد معود وقاصد بالزيارة
مقصود أخاطب اصدقائي بما أخاطب وأكاتب اخواني بما أكاتب
سمائي وقدة وارضي رعدة تتناوبني الحمى ولا تفارقني الشكوى نفسي
نفسان ونفسي نفسان كأن الحول شاطرني فصوله فقلت غرته
وحجوله فالربيع بين عيني وخيشومي والصيف كامن بين صدري
وحلقومي وما عرفت لعلتي هذه سببا الا أني رأيت نفس الحرية
متشكية فشاركتها في شكواها ووجدت عين الكرم والكمال شاكية
فحملت عنها أذاها وقلت ممتثلا لا متمثلا

نعود سيدنا وسيد غيرنا   ليت التشكي كان بالعواد

ثم ذكرت ما أعد الله تعالى للعباد من ثواب العلة في المعاد فاستصغرت
عند ذلك ما استعظمته وسهل مسلكي وأن استوعرته وقلت مسح
الله تلك النسمة من العلة وأعطى الشيخ بها أمانا من القلة وأعمى عنه
ناظر الزمان ولا طرق إلى فنائه طوارق الحدثان وتمنيت أني وصلت غدوي
برواحي في زيارة الشيخ مشاهدا للحال واقباله نحو البر والاقبال
وقد حيل بين العير والنزوان وعلى حالتي هذه فإني استرنح إلى خبر سلا منه
وأحصي لنفسي به منة وله بإهدائه إلى الأبد ومنة ورأيه في إتحافي به
موفق إن شاء الله تعالى   ومن نظمه قوله

وأغيد سحار بألحاظ عينه   حلى لي تثنيه من البان أملودا
سلخت بذكراه عن الصبح ليلة   أسامره والكاس والناي والعودا
ترى أنجم الجوزاء والنجم فوقها   كباسط كفيه ليقطف عنقودا

وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي

لئن كان ذنبي أني اعتللت   فذلك ذنب صغير صغير
وإن كان هجري من أجله   فذلك ظلم كبير كبير
صدودك عني صدود الحيوة   وصد سؤال يسير يسير
فزرني قليلا تجد شاذا   لديه القليل كثير كثير

وله في وصف اللقالق

فإن كنت تهوى اليوم أكل اللقالق   فبادر إلى أمثال جيد الغرانق

الى جامع اللذات طيبا وجودة * قضى حقه طاهٍ بصنعة حاذق *
تراه على السفود عند صلاته * كزنجية زينت بحلي المخانق *
فبعض تدلى كالوشاح وبعضه * منوط عليه في محل المناطق *
فانجح لقيت الخير في حاجة امرئ * وفيّ بشرط الود غير مماذق *

ومن افاضل اضرابهم * القاضي ابو القاسم علي بن
الحسن الداودي بهراه * وهو عندي ممن يستحق ان يقال فيه ما قاله
الصاحب لبعض من كان يواليه * لولا قدرة الله عندي جنس واحد *
لقلت ليس في القدرة وجود مثله في كماله وفضله جاوز السبعين
وناهز الثمانين واحد الايام منثورا ومنظوما وثاني الغمام معقولا
ومعلوما شب بالعلم خادما وشاب على العلى مخدوما * فمن منثور
كلامه فصل له من كتاب * وصلت ملطفة الشيخ فلطفت لغليل
بردته ووجه بصبغ الارتياح وردته لخبر سلامته التي نسيمها
عندي نسيم الجنان والوسيلة الى السلوان * وله فصل *
كيف لا اعتد بصنع الله لي في نحلة وده وعقيلة عهده وقد قبلني
في الله اخا حين عز الاخاء وعدم من الاوداء الوفاء وكاد لا يصدق
في وجودهما رائد ولا يظفر بهما منشد ولا ناشد واصبحت المصافاة
مخاتلة ومخاترة والمخالصة مماشرة ومتاجرة * وقد كان المتحابون

في الله اقل من القليل والاسلام عليه رونق الشبيبة وهو في بردته
القشيبة * وله فصل من كتاب * كلامي في مخاطبة
الشيخ مماثل لانعكاس شعاع الناظر ورد الفوارة ماء الغمام الماطر
على المذهب الذي يذكر علي بن الجهم في صفة الفوارة *

ترد على المزن ما انسكبت * على الارض من صوب امطارها *

وله فصل * كان كل مجلس من مجالسه للانس منفقا وللازديار
مشوقا فكان مرويا مظميا وموقدا مطفيا * ومما انشدت من
قلائد شعره وان كان كالحصا تمثيلا *

ربما قصر الصديق المقل * عن حقوق بهن لا يستقل *
فلئن قل نائل فوفاء * في وداد ونية لا يقل *
ارخ سترا على جفاه فاني * هتك ستر الصديق ليس يحل *

وقوله

قالوا ترفق في الامور فانه * نجح ومري الدر بالابساس *
ولقد رفقت فما حظيت بطائل * ما ينفع الابساس بالايباس *

وقوله

واخلاق كاطراف الزجاج * رفقت بهن رفقك بالزجاج *
الى ان عدن لي زبدا بشهد * كذاك يكون عاقبة العلاج *

وقوله في مرثية لبني سليمان الخطابي

انظروا كيف تخمد الانوار انظروا كيف تسقط الاقمار

هكذي هكذي تزول الرواسي هكذي في الثرى تغيض البحار

اوحد الدين والمروة والفضل رمته بسهمها الاقدار

مات من لم يكن لدنياه فتك بحجاه ولا عليه اقتدار

وقد وصف ابو الفتح البستي فضله في ابيات له

اباالقاسم استعبدت ودي بتالد تلاه بلا من لبرك طارف

واضعفت شكري حين ضاعفت انعما وقد يضعف الشي الذي المتضاعف

اتاني كتاب منك فيه طرايف تقيد من اطرافهن الطرايف تمسك

صحيفة احسان تخر لحسنها سجودا اذا ما لاحظتها الصحايف

فواصلني منها شباب مساعد وطالعني منها زمان مساعف

واصبح منه عاذلا وهو عاسف وعادت رخاء ريحه وهو عاصف

ومن اعيان نجوم الدولة

ابو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد الشيرازي الكاتب الكاتب ابن الكاتب والنقاب ابن النقاب والبحر ابن السحاب والبدر ابن الشهاب والنار التي لا تخمدها الماء ذكاء والسيف الذي لا يالف القراب مضاء والسعد الذي يلي وتد السماء زكا ونماء فعطارد تلميذ افاكيه والمشتري

مشتري سعادته وثاقب النجم عبد دهائه وشارق الشمس خادم رأيه ورواية خدم ابوه ابو طاهر حسام الدولة ابا العباس تاش على ديوان اسراره بارعا في الصناعة صناعا في البراعة مخلوقا لفصل القول مرموقا بعين الطول يناضل الصاحب اسمعيل بن عباد فيخرق عليه قراطيس الادب ويساجله فيملؤ الدلو الى عقد الكرب مصعب لا المصعبي يضاهيه ولا الموصلي يباهيه ولا الفارسي يدانيه ولا اليسعي يسع بعض مساعيه يجانس انجم النثرة نثره ويناقب شعرى المجرة شعره فمما بلغني عنه بحسام دولته وصاحب جيشه وحجاب سدته ابي العباس قد جمع في هذا البيت خصايص اوصافه وضم الى واسطة المدح اقاصي اطرافه دالا على نبوة الاعجاز برهان الاختصار والايجاز واراد الله سعادة هذا الفاضل فهداه نهج ابيه وعداه موقف التشبيه فنما نمو الاشياء على طيب التربة والماء ليس نمو القامة والضخامة لكن نمو هلال الظلم وشبوب النار فوق العلم وصفا الخمر مرشوما على الفدم واختص بخدمة الامير الجليل ابي سعيد التونتاش خوارزمشاه اذ هو تاج الحجاب وناظر عين الباب فاعداه يمنه حتى لبس الملك فضفاضا وغني عن السواد وان كان عليه بياضا وانتقل بانتقاله عن سمة الكتابة الى رتبة الوزارة وعن حضيض الخدمة الى يفاع الشركة في الامارة

فلم يشركه من ابناء جنسه في البلاغة اثنان وساد حتى اعيى من بني
عبد المدان مدان فمما وقع الي من نسج قلمه وحر كلمه من كتاب
خاطب به بعض اخوانه لعل الدهقان ظنني او شرع
مساعدة الزمان مباعدة الاخوان وارضى من صلة الوزارة بتقلب
كالحجارة فلم تزل بنيل المراتب جلاءً للعقود وقطاعاً للاواصر والعهود
وكلا اني ما ازداد ارتفاعاً الا ازددت للصديق اتضاعاً ولا انال
على الايام رتبة الا ازددت الى الاخوان قربة غير من يصلفه الزمان
ويبدله السلطان ويذم عهده الاخوان على اني مهما نسيت عهداً
او تناسيت وقلعت آخية الوفاء دون من آخيت فلست انسى
عهده ولا ارضى قطيعته وصده اني وقد قيدني باياديه الزهر
واسترقني بمعاليه الغر فما ارى له بديلاً ولا املك عنه تحويلاً
اعاذني الله ما بقيت من صدوده ولا سلبني طيب الانس بمنه
وجوده وهذا القدر على مبلغ القدرة دال وللمميز البدع
متى قصد الانصاف في المدح والتقريظ مجال فهولاء اعيان
رعايا السلطان في الفضل الواسع والادب الجامع ووراءهم من
اعلام البراعة واحداث الصناعة من يزحف ذكرهم عن الغرض المقصود
بهذا الكتاب وسنعود الى ذكر السلطان يمين الدولة امين الملة

ووقائعه التي رضيتها حدود الظباة وان سخطتها نفوس العداة
فنسمي كل وقعة منها الى يومها ووقتها ونلحق حالها بفوقها الى ان
نوفي الكلام حقه من الاشباع في الحروب التي جرت بين السلطان وبين
ايلك الخان

ذكر غزوة بهاطية

لما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة من امر سجستان وسكن له نابضها
وانجاب عنه عارضها ارتاح لغزوة بهاطية فجر الجحافل مسومين
بشعار الهداة الثقاة ورايات الحماة الكماة حتى عبر سيحون من
وراء المولتان المحيطة ببهاطية فالفاها ذات سور تقصر عن موازاته
اجنحة النسور وقد احاط بها خندق كالبحر المحيط في الغور البعيد
والعرض البسيط وهي مشحونة بملء الوهم من عدة وعديد من خيول
وحديد وكل فيل كشيطان مريد وعظيمهم يومئذ المعروف ببحرا
فاستخفته العزة بلحونة بلده للبروز من وراء السور مهولاً باعداد
رجاله واستحصاص افياله ومتطاولاً بباع الاقتدار في قتاله فحضا
السلطان عليه نار الحرب ثلاثة ايام بلياليها ترميه بالصواعق
بين ظبي السيوف البوارق وتقذفه بالشهب اللوامع من شبا الرماح
الشوارع وواصلهم عليهم صبيحة الرابع بضرب يطير الحواجب عن العيون
ويزيل القبائل عن الشؤون ويشق برج الاجساد مناخل

لا وضع العلعه

بل مناخره وقد انفجرت عروقها وأعيت على العسكر بثوقها حتى إذا
توجهت الشمس قمة النهار أهاب بالشد على الكفار الفجار فتجاوبت
نغم التكبير استنزالاً لنصر الله وتنجزاً لصادق وعد الله وحمل
أولياء الله على ذوي الإفك والشرك حملة كشفت صفوفهم وأرغمت
بالذل أنوفهم وأقبل السلطان كالفحل الفنيق يضرب باليدين ويقد
الدارع بنصفين ويسقي ظماء الكفر من كؤوس الحين وملك عليهم في
تلك الشدة الواحدة من الفيلة التي كان يعدها الكافر حصوناً
لقلبه ويعدها سكوناً لقلبه وتمازج الفريقان في غبار تلك الحملة بين
ثقف يبتر أدمغة الهام وطعن ينزف حشاشة الأجسام وأعلى الله
راية السلطان بل راية الدين والإيمان وأهب رائح النصر رخاء وأعاد
شدة العيش رخاء فولى المشركون نحو المدينة اعتصاماً بسورها
وانحصاراً في دورها فأعجلهم عن الاحتياط وملك عليهم مداخل الحصار
وتعاون أفناء العسكر على سد خنادقه وهدم وثائقه وتظافروا
على تفسيح مضائقه وتفتيح مغالقه وقد كان بحيرا حين غلت مراجل
الحرب واختلفت مناجل الطعن والضرب أحس بالهون والعطب وشام
برق الويل والحرب فاندس في عصابة من حماة رجاله للانحياز
ببعض الغياض والاستناد إلى شعف بعض تلك الجبال فسرب السلطان

كوكبة من خواصه في طلبهم فأحاطوا به إحاطة الأزرار بالأعناق وحملوا
فيه حدود البواتر الرقاق فلما رأى بحيرا ما دهاه عمد إلى خنجر في خصره
فهتك به حجاب صدره وانتقل إلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة
جزاء لمن كان كفر وتولى وجحد الأولى فلا صام ولا صلى ولا سبح ربه الأعلى
نعم وأقبل عسكر السلطان فقتلوا المقاتلة وغنموا الأموال
الحاصلة وحصل للسلطان مائة وعشرون رأساً من الفيلة بما يضاهيها
من ذخائر الأموال والأسلحة مما عز على غيره مناله ومما تطفل على
حسنته جلاله وأقام بهاطية إلى أن طهرها من أنجاس أهل الأرجاس
وأدناس أهل الأنجاس ونصب بها من يعلم حملة الدين سنن الإسلام
ويبين لهم طريق الحلال والحرام ثم كر إلى غزنة موفور العلاء منصور
اللواء عالي الرأي سائر الجد على خط الاستواء إلا أنه وافق
منصرفه هوامي أمطار وطوامي أنهار وفوارع جبال وقوارع أضداد
وأقتال فاستغرق الغرق جل أثقاله وشمل التفرق جملة من
رجاله ووقاه الله آفة تلك المسافة ومهالك تلك المسالك وهو
يتولى الصالحين وقد كان أبو الفتح علي بن محمد البستي يذكر حركات
السلطان بنفسه تلك المقاصد ببيتين يستمليهما من عطارد وهما
لقد كان يغول ما تشهد به العقول ولكن إذا جاء بهرام في السيف الحسام

مسئلة من علم الهيئة

والبطش والاقدام فقد سقط الكلام وبطلت الصحائف والاقلام
وانشدني ابو الفتح البستي لنفسه في هذا الباب
الا ابلغ السلطان عني نصيحة يشيعها ود ورأي محنك
تجاوزت اوج الشمس عزا ورفعة وذللت قسرا كل من قد تملكوا
فما حركات متعبات تديمها تأن فاوج الشمس لا يتحرك
وهذه مسئلة تنازعها الاوائل فمنهم من يجعل لاوج الشمس حركة
كسائر حركات الاوجات فاما المحققون فقد انكروا ببراهين هندسية
واشكال برهانية

ذكر غزوة المولتان

فذكر بلوغ السلطان يمين الدولة وامين الملة حال والي المولتان ابي الفتوح
في خبث نحلته ودخل دخلته ورجس اعتقاده وقبح الحاده
ودعائه الى مثل رأيه اهل بلاده فانف للدين من مقارته على فظاعة
شره وشناعة امره واستخار الله الخاير في قصده لاستتابته
وتقليد حكم الله في الايقاع به وامر بضم الاطراف ولف الفيول
وجمع الخيول وضوى اليه من مطوعة المسلمين من ختم الله لهم بصالح
العمل واكرمهم باحدى الحسنيين في الازل وثار بهم نحو المولتان
عند تموج الربيع بسيول الانواء وسيح الانهار بفصول الانداء وامتناع
سيحون واخواتها على ركابها واستصعاب متونها على اصحابها

اندبال عظيم الهند ٣٢ اسم غزنين

وطلب السلطان الى اندبال عظيم الهند ان يطرق له في مملكته الى
مقصده فتمنع وتمرد واخذته العزة باللوم فابى وتشدد ورأى
السلطان غرة الرأي في اصمه خلله الخطب ان يبدأ به على غرة جانبه
فيذل صليفه ويبيح عريفه ويمزق لفه ولفيفه جامعا بين غزوتين
وقاطفا لجنا الحسنيين فبسط عليه ايدي القتل والايثاق والنهب والارهاق
والهدم والاحراق تلجئه من مضيق الى مضيق وتنفيه من طريق
الى طريق طاويا عليه بلاده طي التجار حضرموت برودا الى ان ضجرت
القنا من هتك حلق الدروع وسكرت الظبا من رشف علق الاحشاء
والضلوع وركب اثره في اغوار دياره واعماق رباعه يتجسس دمات
السهول وقضض الاماعز ويقري عليه وحوش الجو بين ضيق المداخل
ورحب المفاوز حتى اضمرته نواحي قشمير ولما سمع ابو الفتوح والي
المولتان بما جرى من امر عظيم الهند وهو الوجه الرفيع والسد المنيع
والسيف الصنيع قاس باعه بشبره وذراعه بفتره وايقن ان اعز
الجبال الابطال بهضبات القور وزرق البزاة لا تنال بغاث الطيور عجل
بنقل امواله على ظهور فيلته الى سرنديب واخلى المولتان للسلطان
يفعل فيها ما يشاء فثنى العنان اليها مستعينا بالله على من احدث
في دينه او حدث بتوهينه فاذا اهلها في ضلالتهم يخبطون وفي

ابو الفتوح والي المولتان اسم

طغيانهم يعمهون يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله
الا ان يتم نوره ولو كره المشركون • فضرب عليهم بجران المحاصرة
وكلكل المناجزة حزا للغلاصم وبتا للاباهر من المعاصم وارصادا
لهم بالفاقرات القواصم حتى افتتحها عنوة وشحنها عقابا وسطوة
واسر منهم عشرين الف الف درهم يرحضون بها دنس استعصائهم ويذودون
عن انفسهم هجنة استنشارهم واباءهم وعبر ذلك بما اتاه الله من
نصرة الدين وانارة معالم اليقين عرض البحر الى ديارات المصر حتى
درست بها مقاماته التي لم يرثها عن ذي القرنين الى حيث انتهى امر
السدين وارتعدت فرايص السند واخواتها حذار بطشته وانتقامه
وخفيت بها نجوى الالحاد وطمست صوى الغي والعناد فلله ابو تمام
حيث يقول •

كم نمت غزوتاك بالامس والخيل دقاق والخطب غير دقيق
حين لا جلدة السماء بخضراء ولا وجه شتوة بطليق
ان اياميك الحسان من الروم لحمر الصبوح حمر الغبوق
معلمات كانما بالدم المهراق ايام النحر والتشريق

ذكر عبور عسكر ايلك الخان

قد كانت الحال في الالفة قايمة بين السلطان وبين ايلك الخان الى
ان دبت عقارب الفساد في ذات البين واضطرب الحبل الساكن واشتعل
الجمر الكامن وراعى ايلك فرصة المجاهرة بسن المشاجرة حتى اذا صمد
السلطان صمد المولتان وغادرت نحو تلك البلاد راياته خفت عن
اعيان رجاله ولاياته سير سباشي تكين صاحب جيشه واحد قرابته
الى كور خراسان في معظم اجناده وشحن بلخ جعفر تكين وعدة من
قواده وكان والى طوس ارسلان الجاذب مقيما بهراة مامورا بالانحياز
الى غزنة متى نجم ناجم عناد او نعق ناعق فساد فاسرع الانقلاب
اليها اخذا بوثيقة الحزم في ترك القتال وتربصا بالحمل غاية الفصال
وورد سباشي تكين هراة فاستوطنها ونصب الحسين بن نصر للديوان
بنيسابور فرتب العمال وواصل الاستخراج ومايلهم كثير من اعيان خراسان
لاستخفاء خبر السلطان من جانب مولتان وتناقل الالسنة اهوا القلوب
ونوازع النفوس اخابير زور واراجيف غرور وامر الوزير ابو العباس
الفضل بن احمد بالاحتياط على الطرق بين غزنة وحدود الباميان وتجمير
وسدها بحماة الرجال على حصانة مداخلها وصعوبة مراكبها وطير النذير
الى السلطان بما انبث في اطراف البلاد من حيات العداة وعقارب
الغواة فاعجله ببديهة البلاغ عن استتمامه وان عجمته غلبة الحمية
عن مقامه فركب ركوب العاصف اكتاف الجهام الفارغ يطوي الارض

طي المهارق بين إيضاع وإيجاف واهتداء واعتساف بين سهول
وظراب وسهوب وشعاب حتى ألقى عصا القرار بغزنة وأقام العطاء
لأبناء دولته وأنشاء جملته وملأ أيديهم بالعطايا والرغائب وأزاح
عللهم بالمطايا والركائب واستنفر الأتراك الخلجية لحلاس الظهور
وأبناء الصوارم الذكور فنفر منهم جن على جن وإن كانوا بشرا كأنما
خيطوا عليها بالإبر وجاش بهم نحو بلخ وبها جعفرتكين فأسرع الكر
إلى الترمذ إشفاقا من ضيغم الضيغم الخادر واحتراسا من وثبة الأرقم
الثائر واستقر السلطان ببلخ موفور الأنس والجذل كما تحتلي صفحة
الشمس من برج الحمل وأمر باتباع سباشي تكين بأرسلان الجاذب في زهاء
عشرة آلاف من أبناء الكفاح ومنحة الأرواح بأشطان الرماح
وسارع سباشي تكين نحو الوادي للعبور فلم يرعه إلا العاديات ضوابح
والموريات قوادح فكر على أدراجه حائرا عائرا وعطف على مرو على أن
ينسرح منها إلى النشط على سمت المفازة فإذا الآبار مردومة والمناهل
مطمومة وودية السيف مسعونة وأذيال السوافي على المعالم مجرورة
فانثنى إلى سرخس وبها الحسن بن طاق بيس الأتراك الغزية فأحدق به
إحداقا سد عليه باب الهرب وضيق دونه وجه المجال والمضطرب
فمانعه ما قدر ثم ظفر به سباشي تكين فقيده بنصفه بعد أن قتل مقتلة

من الجانبين وأعجله ارتداف أرسلان الجاذب إياه عن فضل المقام
ودروج الاستجمام فارتحل إلى أبيورد ومنها إلى نسا وبينهما مرحلة
واحدة كلما صدر هذا ورد ذاك ومتى ظعن ذاك أناخ هذا يتقاسمان
أمداد الطلب والهرب جماما ولا يردون المياه إلا لماما وقد كان
سباشي تكين قد حصل صدرا من المال والأسلحة من نواحي هراه
وغيرها فصارت عقلة له دون الخفوف في وجه النجاة وهو يتيامن
مرة ويتياسر أخرى منكوسا على رأسه خوف العار من إسلام ما بردت
به يداه وأعياه الخلاص بحشاشة النفس آخرا إلا بإفرازه عن جملته
وتفريغ الخاطر عن الشغل به ولما قرب أرسلان الجاذب من نسا رحل
عنها متوجها نحو سسار وأزعجه الطلب نحو جرجان فركب قلل تلك
الجبال بين الآجام الملتفة والغياض المحتفة والمخارق الضيقة والمخارم
المضطربة وتسلط الكراكلة على أثقاله وأفنا رجاله حتى فشت
نكايتهم فيه واستأمن إلى شمس المعالي قابوس بن وشمكير طوائف من
أهل جملته لعدم المراكب وذهاب الجنائب وانفل هو على سمت دهستان
حتى عاد إلى نسا وجمع ما بقي عليه من تلك الأثقال فأصدرها إلى خوارزمشاه
أبي الحسن علي بن مأمون يستودعه إياها أمانة لأيلك الخان وحذر أن
يمد إليها بغير الصيانة يده وأصحبها رجالة عسكره والعجزة منهم

عن صحبته واقتحم المفازة متوجها نحو مرو وكان السلطان قد انحدر
الى طوس مراعيا ما يسفر عنه ركض ارسلان الجاذب على اثره وصاقه
الطلب الحثيث به فلما بلغه ركوب سباشي تكين عرض المفازة اسرى
على طريق مرو معارضا له في مسيره ومناقضا عليه قوى تدبيره فوصل
اليه مخلصه عن وعثاء تلك البيداء وناه باى عبد الله محمد بن ابرهيم
الطائي زعيم العرب وسائر قواده رجال يرون الملاحم ولايم والوقائع
نقايع وسيوف الضراب عرايس وصفوف الكماة فرايس فكان كما قاله
سعيد بن حسان

فررت من معن وافلاسه الى اليزيدي ابي واقد
فكنت كالساعي الى مثعب موائلا من سبل الراعد

واحاطت به السيوف حيث لا ماء الا منابع الافواه وهي عاصية ولا
مرعى الا شكائم اللجم وهي عاصية واسر اخو سباشي تكين في زهاء سبعمائة
من وجوه الافراد ورءوس القواد وامر السلطان بغراجولتهم فافرغت
قيودا لكعابهم وجوامع لرقابهم وحملهم الى غزنة ليرى اهلها حسن
صنيع الله له فيمن شاقه ونقض عهده وميثاقه ونجا سباشي تكين
في خف من العدد بجريعة الذقن فعبر جيحون الى ايلك الخان وقد كان
ايلك عبر جعفر تكين في زهاء ستة الاف رجل ثانيا لاستفساد عرينة السلطان

في قصد سباشي تكين واخراجه فتهاونوا بهم حتى فرغ الخاطر من امره
ووضع ما انقضه من الشغل به عن ظهره ثم ثنى العنان اليهم شد الغض
الهوى بغبيره واستغرق اوقات ليله ونهاره فلم يرعهم الا راياته باجنحة
النجاح طائرة وخيوله في صهيل المراح سائرة وكمن لهم السلطان فلما
داووا الكمين انفكوا منهزمين يختمون دعوة الخلاص بامين امين
وتبعهم صاحب الجيش ابو المظفر نصر على ساحل جيحون كاسعا لادبارهم
ومثخنا في غمرتهم الى ان عبروه فسلمت خراسان من عيث سوادهم وخلت
من مبثوث جرادهم فاضطرب ايلك حنقا لما جرى على عسكره من الضغطة
الكبيرة والصدمة المبيرة فاستعان بقدرخان لقرابة بينهما وكيدة ولحمة
وشيجة واستنجد بحفي مسألته الى ثاره مستظهرا بنصرته وظهيره
فاستجاش احياء من مظانها وحشر بني خاقان من اقصى بلادها واستنفر
دهاقين ما وراء النهر في جيوش تجل عن الحد والحصر وسار في خمسين الفا
او يزيدون حتى عبر جيحون ممدا بعسكره المائج وبطشه الهائج ومعتضدا
بقدرخان ملك الختن ذي العدة والعديد والباس الشديد والايد
المتين والبسطة والتمكين في رجال كالبخاتي والفوالج فوق البحور المولج
عراض الوجوه خزر العيون فطس الانوف خفاف الشعور حداد السيوف
سود الثياب من حلق الدروع يعملون حربا كخراطيم الفيول محشوة

قدر خان ملك ختن

البخاتي

صفة الاتراك

بنبال كأنياب الغول ولما سمع السلطان بعبوره في جمهوره وهو اذ
ذاك بطخارستان سبقه الى بلخ فاستوطنها قاطعاً عنها طمعه ومالكاً
عليه ممتاره ومنتجعه واستعد للحرب فخرج السلطان في عساكر
الترك والهند والخلج والافغانية والغزنوية انشا الجد والصدق
وابنا الرشق والمشق الى معسكر له على اربع فراسخ من البلد يعرف
بقنطرة خرجيان دسيع المجال على الرجال رحيب الفضا على الدهما وزحف
حرب
ايلك الى محاذاته في عدد الدهم وعسكر المجر تنطرد الفرسان وتجالد
الشجعان بسحابة يومهم على رسم الطلائع امام الوقائع الى ان كفهم
حاجز الليل فاصبح الناس على ميعاد الحرب فعبى السلطان رجاله
صفوفاً كالجبال الراسيات والبحار الزاخرات ورتب في القلب اخاه
صاحب الجيش نصراً ووالي الجوزجان ابا نصر احمد محمد الفريغوني وابا عبد الله
محمد بن ابرهيم الطائي في حماة الاكراد والعرب وسائر جماهير الهنود
ومساعير الجنود ورتب في الميمنة حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش
فيمن برسمه من اعيان الرجال وفرسان الزحف والصيال وندب للميسرة
ارسلان الجاذب فيمن تحت قيادته من نجوم الابطال ورجوم
القتال وحصن الصفوف بزهاء خمسمائة من فيلته التي تميد الجبال
من اثقالها وترتج لها الارض بزلزالها واقبل ايلك فشحن قلبه

بخواص غلمانه واعلام فرسانه وولى قدر خان ميمنته في اتراك الختن
بين اجام العوامل والجنن وشحن جعفر تكين ميسرته بكل ابيس كالشجاع
المجح والحسام المرهف بين قايات الزغف والحجف وتحامل بعضهم على
بعض فجليت المعركة سماء غمامها القسطل وبروقها بريق البيض والاسل
ورعودها صليل السلاح ورشاشها صبيب الجراح واستنزل ايلك
عن صهوات الخيول الى صعيد الارض زهاء الف غلام يفلقون الشعور انصا فاً
وينصبون وسائط الاهداب اهدافاً فاشكوا بالنبال تجافيف
الفيول وشقوا بالنصال سرابيل الخيول ولما جد الامر واحتد الحمى
واعضل الدا واستفحل الاعدا وزخر وادي الخطب بمده وكاد
يخرج بادي الشر عن حده نزل السلطان الى صعيد ربوة كان يشرفها
لتدبر عطفات الحرب وتلافي نزقات ذلك المركب الصعب فوضع لله
خده وعفر شعره وارسل دمعه وقدم نذره ودعا الله تعالى
ان يحرس ملكه ويحسن فلجه ونصره ثم وثب الى قعدته من فيلته
المغتلمة فحمل بها وبسائر خاصته على قلب ايلك فاهوى الفيل
الى صاحب رايته فاختطفه بها من سرجه ورمى به في الهوا من فوقه
وتلقى الاخر حطماً بخرطومه وبثجاً بانيابه ودقاً باظلافه
وانثال اوليا السلطان على الاخرين بسيوف تلغ في الدما وترشف

لحساء الاحشاء فطارت قلوبهم هواء واستحالت قواهم هباء
وولوا على اعقابهم نافرين وتبعهم الطلب بظبات القسر والقهر
الى ان لفظتهم خراسان الى ما وراء النهر   ولقد احسن السلامي
في قوله فيه ما وصف حاله ومدح اثاره وافعاله

يا سيف دين الله ما ارضى العدى لو ان سيفك مثل عدلك يعدل
ما ان سننت لهم سنانا في الوغى الا اطل عليه منهم ابطل
والروض من زبد النحور مضرج والماء من ماء الترائب اشكل
والجو ثوب بالنسور مطير والارض فرش بالجياد مخيل
يهفو العقاب على العقاب ويلتقي بين الفوارس اجدل ومجدل
وسطور خيلك انما الفاتها سمر تنقط بالدماء وتشكل

وامتدح عند فلك السلطان يمين الدولة وامين الملة ابو القاسم الحسين
عبيد الله المستوفي بقصيدة اولها

ظهر الحق ثابت الاركان صاعد النجم عالي البنيان
وهوى للردى ذوو النكث والبغي واهل الضلال والطغيان
ما الذي عز لمحمود انجاف بحد لسان
بابي القاسم المعظم ظل الله في الارض صفوة المنان
من مناويه نهزة للمنايا غرض للحتوف والاحزان
ملك وهو في الحقيقة عندي ملك صيغ صيغة الانسان
اخذ الهند باليماني ويحوي يمنا ان اراد بالهندواني
سيفه والمنون طرفا رهان نحو حلق العدو يستبقان
خذ يميني بان سيخضع حقا لليميني كل سيف يماني
لو عصا خروع تسمى اليمينية ظلت تحيك في سندان
غاب عن غابة الهزبر لغزو الهند مستنزرا رضى الرحمن
فسبى واستباح واجتاح منهم واحل النكال بالاوثان
وانثنى قافلا وقد ملا الايدي فيئا وفاز بالرضوان
فسطا باسه بطاغية الترك واهل الشقاق والعصيان
طلعت راية لهم فتولوا كعباديد ثلة من ضان
كم قتيل وكم جريح وغرقى واسير القد ذي رسفان
خطبوا الملك فلعنتهم خطوب جرعتهم مرارة الخطبان
بخوارزم في السجون الوف والوف تهيم في جرجان
دمرو في القفار الى جيحون قتلى ماكل الحيتان
جزر للسباع في كل فج طعم للنسور والعقبان
بارك الله ربنا في خميس دعنا خمسين الف عنان

وكتب ابو الفضل البديع الهمذاني الى الشيخ الوزير ابي العباس هذا

وربّ الكعبة آخر ما في الجعبة لقد انصف من رامى النفاق ومحا السيف
ما قال ابن دانق ثم لا نزوة بعدها للترك ولا تحلم بعدها بالملك
لقد كان السلطان اذ عفّر لله شعره وعرض على الله فقره
وفوّض الى الله امره واخلص لله نذره وناهض بالله خصمه وسأل
الله حوله ولم يعجبه كثرة الملا حوله شدّ الله بذلك ازره وقوّى
امره واعزّ نصره واقطعه عصره واطعمه ملكه واورثه ارضه
ان الظفر باسبابه والموفق يأتي الامر من بابه
وله فصل منه ان الجلاد ثم البلاد ما سكنتم لا يحطمنكم سليمان
كتب الله ليغلبن الله ورأى ان السيف ما حكى خلفك
ان الموت قد اتاك وارض الارض كل ان يأتينا ثم نوبة ليس فيها حلم
ان المغاني صارت مخازي الا ربّ ركض نادم وربّ شوط ظالم
وربّ عبور الى ثبور وربّ طمع يهدي الى طبع الا ان هذا الفتح فتح
حفظ على الشريعة ماءها وعلى السنة ذماها وعلى النفوس دماءها
وعلى الاموال نماءها وعلى الحرم غطاءها اعاد الله به البلاد خلقا
جديدا وانشا الناس نشأ جديدا وعقد الملك عقدا طريفا
فما اولى يومه ان يتخذ عيدا وتجعل في المتصرفات تاريخا وليس
العهد مع الله بانشوطة فاوفوا الله عهده كما صدقكم وعده

وانما عهده عند السلطان ان يحسن النظر وعهده عند الشيخ الجليل
ان يحسن المحضر وهراة من البلاد شعبة هذه الدولة وعيبتها وان
حُطّ عن جملها العلاوة وازيل عن عيبتها الاتاوة فلله هذا النظر
ما احلى ثمانه واكرم آثاره فلما وضعت هذه الحرب اوزارها وافاضت
غرة النصر انوارها سنح للسلطان ان يثني اعنته الى جانب الهند
للايقاع بالمعروف بنواسه شاه احد اولاد ملوك الهند كان نصبه بعض
ما فتحه من ممالكهم بخلافته على سد ثغورها وتحصين اطرافها وحدودها
اذ كان قد استحوذ عليه الشيطان فارتد في حافرة الشرك وانسلخ عن
جلدة الاسلام وراطن زعماء الكفرة على خلع ربقة الدين والانفصام
عن عروة الحبل المتين فعنّ من فوره اليه وصبّ سيوفا تقطر من دماء
مخالفيه عليه ركضا بادر افواج الرياح واختصر اوقات الاظلام والاصباح
حتى نفاه عن مثواه وملك عليه جملة ما حواه واعاد الى تلك البقاع
بهجة ملكه وسلطانه وحصد نجوم الشرك عنها بحدّي سيفه وسنانه
فذانك برهانان من الله في اعلاء دولته واشاعة دعوته واعزاز نصرته
وافلاج حجته ويسّر الله له الانقلاب الى غزنة مظاهرا بين
نصرين يتحاديان فخامة وجلالة ويتباريان نباهة وجزالة فذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فتح قلعة بهيم نغرا

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة بعد أن فتح الفتحين، واقتدح النجحين، عرج على غزنة للاستراحة والتفرغ لشكر الله على النعم المتناجحة، وأقام بها شاحذاً عزيمته لغزوة أخرى ترتفع بها خدود الإسلام، وتتعفر لها خدود الأصنام، وتتنكس عندها راية الشيطان في رجل الغواية شره، وحبل الضلالة مده، إذ كان بعد همته يسوءه خلاف الطبع البشرية في استخشان المضجع الوثير، واستحباب الشوك على الوتير، واختيار قرع الأسنة والعوالي على نقر المثالث والمثاني، وترجيح خدود البيض القواضب على خدود البيض الكواعب، كل ذلك لمجد يبتنيه، وصيت يقتنيه، وعز يحويه، وسعي يتقرب إلى الله به وفيه، حتى إذا انسلخ شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة استخار الله في تمام ما رامه، واسراج ما تولى الجامه، وسار متوكلاً على الله الذي طالما أطعمه نصره، وعرفه صنعه، حتى إذا انتهى المسير به إلى ويهند وافاه برهمن بال بن انندبال بجيوش تجيش بسود الرجال في بيض الصفاح، وزرق النصال في سمر الرماح، وزهر الدروع ودكن الفيول، وافترت الحرب عن أنيابها العصل في توالي الحملات كما تتهافى لوامع الشهب، وتترامى نوازع السحب، ودارت

رحى الطعان والضراب طاحنة كل قرن شجاع، وقرم مطاع، وامتدت الوقعة من طفولة النهار إلى كهولة الطفل، حتى اكتست الأرض لون الشقائق من دماء الطلى والعواتق، وكادت تدور للكفرة دائرة لولا أن الله تعالى أعان السلطان على حملة في خواص غلمانه، كسعت أدبارهم، ومحت عن ساقتهم آثارهم، واغنم ثلاثين فيلاً كأشخاص القصور، بل كأمواج البحور، وأقبل أولياؤه يحشونهم أنى يثقفونهم من بطون الأودية والشعاب وظهور الفيافي والهضاب، واقتفى السلطان بنفسه أثرهم بين تلك المهارب منتجزاً وعد الله في نصرة دينه، وتذليل ذوي نفاقه وشقاق لجبينه، فأفضى به الطلب إلى بهيم نغرا أحصن قلعة بنيت على حرف طود رفيع خلال ماء منيع، وقد كان ملوك الهند وأعيان أهلها يذخرونها مخزنة للصنم الأعظم، فينقلون إليها قرناً بعد قرن من أنواع الذخائر وأعلاق الجواهر ما خف أوزانه وثقل عند السوم قيمه وأثمانه، عبادة بزعمهم لما يفيدهم الحسنى ويقربهم إلى الله زلفى، فصادف السلطان منها ثمرة الغراب ونبتة الأحقاب ما لا تقله ظهور الجمال، ولا تسعه أوعية الأحمال، ولا تنسخه أيدي الكتاب، ولا يدرك فكر الحساب، فحشر عليها جنوده، وضرب حواليها بنوده، وانبرى لقتال مستحفظيها بقلب جريء وأنف

زعمت انه سومنات

حمي وعزم ذكي ورأي بالصواب وَلِيّ ولما رأى القوم غصص
تلك الجبال بمغاوير الجنود وتطاير النبال صُعُدًا كشرر الوقود
استفزهم الرعب والوجل والوى باحلامهم الخوف والوهل
فتخيلت ابصارهم تلك الرتوق فتوقا وهاتيك السدود فروجا
والثغور شقوقا وسحرتهم دولة السلطان فهزتهم كلاب الادبار
والخذلان فاعيتهم وجوه الامن الا من جانب الامان فتنادوا
جميعا بشعار السلطان وفتحوا باب القلعة وجعلوا يتساقطون
الى الارض كالعصافير اخرجتها البواشق والغيوث جادتها
الغيوم البوارق وفتح الله تلك القلعة على السلطان فتحا يسيرا
واتاه من لدنه صنعا كبيرا واغتنم ملء متفرج النفوس من بنات
المعادن والبحور وزاينات الفهم والنحور ودخلها في الى الجوزجان
ابي نصر احمد بن محمد الفريغوني وساير خاصته ووكل حاجبيه الكبيرين
التونتاش وارسلان بخزاين العين والورق وساير ذوات الخطر
والقيم وتوكل بنفسه بخزانة الجوهر فنقل منها ما اقلته ظهور رجاله
واستحمل ساير ها اعيان رجاله وكان مبلغ المنقول من الورق
سبعون الف الف شاهية ومن الذهبيات والفضيات سبعمائة الف الف
واربعمائة الف وزنا ومن اصناف الثياب التسترية والدبابيج السوسية

جماله

صفة الغنيمة العظيمة

ما انطوق مشايخ الزمان والطف عبر في الاسنان انه لا عهد لهم
بامثالها صنعة وتفويفا وتوريقا وتطبيقا وفي جملة الموجود بيت
من الفضة البيضاء كفناء بيوت الاغنياء طوله ثلثون ذراعا في عرض
خمسة عشر ذراعا صفايح مضروبة مهياة للطي والنشر والنصب
والحط وشراع من ديباج الروم اربعون ذراعا في عرض عشرين ذراعا
بقايمتين من ذهب وآخرين من سبيكة فضة فوكل السلطان بتلك
القلعة من ثقاته من يراعيها ويؤدي امانة الاستحفاظ فيها وكر
عايدا الى غزنة في ضمان النصر والاظهار وقران اليسر واليسار ولما
مست عصاه جانب القرار بها امر بساحة داره ففرشت بتلك
الجواهر من درر كالنجوم الثواقب قد سلمت عن ايدي الثواقب
ومن يواقيت كالجمر قبل الخمود او الخمر بعد الجمود ومن زبرجد كاطراف
الآس نضارة وورق الاقحوان غضارة ومن قطاع الماس كمثاقيل
الرمان في المقادير والاوزان واجتمعت وفود الاطراف على ادراك
ما لم يروا في كتب الاولين اجتماع مثله لاحد من صناديد الفرس وملوك
العجم والروم وحضر ذلك المشهد رسل طغاتغان ملك الترك اخي ايلك
فراوا ما لم تر العيون ولم تبلغه الظنون ولم يملكه قارون صنع
الله الذي امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون

في وصف الجواهر

ذكر آل فريغون

قد كانت ولاية الجوزجان لآل فريغون ايام آل سامان يتوارثها كابر عن كابر ويوصي بها اول الى آخر اشراف النفوس واهم كرام الاخلاق والشيم وطاء الاطراف لنزاع الاطراف خصاب الرحال لوفود الآمال دأبهم اجلال قدر الآداب ورفع درجات الكتاب وافتراض حقوق الاحرار واغلاء اسعار الاشعار فكم من غريب آواه احسانهم ومن اديب اغناه سلطانهم ومن كسير جبره انصافهم ومن حسير انهضه عطفهم والطافهم وكان ابو الحرث احمد بن محمد غرة تلك الدولة وانسان تلك المقلة وحجال تلك الحلة بما يؤتي من كرم خصيب وكنف رحيب وشرف عتيد ومرتقى همة بعيد ومستقى نائل قريب وقد كان الامير سبكتكين خطب اليه كريمته على السلطان يمين الدولة ثم اوجب لولده ابي نصر احمد كريمة له فاستحكمت اللحمة واشتبكت العصمة والتحمت الوثائق واستحكمت الاواصر والعلائق ولما مضى ابو الحرث لسبيله ورثه ابو نصر ابنه فاوجب السلطان اقراره على ولايته ايثارا له بفضل عنايته وعنايته الى ان قضى نحبه في شهور سنة احدى واربعمائة واقرأني ابو الفضل احمد بن الحسين الهمذاني المعروف بالبديع كتابا اليه جعله مقدمة الوفود عليه فنال به من رغائب الايادي ما لا يديه

كتابي والبحر وان لم اره فقد سمعت خبره والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه والملك العادل وان لم اكن لقيته فقد لقيني صيته ومن رأى من السيف اثره فقد رأى اكثره وما زالت ايد الله الامير اسمع بهذا البيت القديم بناؤه الفسيح فناؤه الرحيب اناؤه الكريم انباؤه وانشد من هذه الحضرة ضالتي والعوائق يمنة ويسرة تزيني حيرة والزمن العثور يقعد ويثور وكم من عام عزمت وابت المقادير ونويت وعرضت المعاذير والآن لما وفقت لهذه الزورة اختلفت علي اخبار الملك العادل في مستقره واختلفت باختلافها مرة في قوس الطريق ومرة في وتر على اقتفاء اثره حتى بلغت مبلغي هذا ثم وسوس الي الشيطان بتقدير مقدر اني اقصد هذه الحضرة طامعا في مال او طامحا الى نوال وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كاد يثنيني عن درك الحظ من طلعته ولم ابعد الا فأه في خلدي ان يكون وانا اشد الله الظنون ان تصرف في قصدي الا الى معرفة او فهمها او خدمة او دعها او مدحة اسمعها او رجعة اسرعها ثم ادخر هذه الدولة لمملكة اغصبها او راية انصبها او كتيبة اغلبها او دولة اقلبها فاما الدرهم والدينار فقد فهمهما

مات ابو الحرث احمد في سنة …

الى ان دنت عنها من يدي بنو الذين لا اشكر واهبها ولا اشكو
سالبها ان لي في القناعة وقتا وفي الصناعة بختا لا يبعد منال
المال اذا اردته ولا يحوجني الى ركوب العقاب وسلوك الشعاب
مهما قصدته بل يجيئني فيضا ويتطفل علي ايضا وبهذه الحضرة
وان احتاج اليها كالمامون لم يستغن عنها كهارون فان الاحب الي
ان اقصدها قصد مؤالف لا قصد سائل والرجوع عنها بجمال
احب من الرجوع عنها بمال قد قدمت التعريف وانا انتظر الجواب
الشريف فان نشط الامير لضيف ظله خفيف وضالته رغيف
فليزجر له بالاستقبال طائر الاقبال والسلم

وله فيه لما صدر عن فنائه متنقلا بنعمائه

الم تر انني في سفرتي لقيت الغنى والمنى والاميرا
ولما تراءى شممت التراب وكنت امرا لا اشم العبيرا
لقيت امرا مال عين الزمان يعلو سحابا ويرسو ثبيرا
آل فريغون في المكرمات يدا اولا واعتذارا اخيرا
فلا يعدم الملك ذا روعة بيمن المنى ويسر السريرا
اذا ما حللت بمغناهم رايت نعيما وملكا كبيرا

ولابي الفتح البستي

بنو فريغون قوم في وجوههم سيما الهدى وسنا السودد العالي
كانما خلقوا من سودد وعلى وسائر الناس من طين وصلصال
متى تلق منهم تقل هذا اجلهم قدرا واسخاهم بالنفس والمال
يا سائلي بالذي حصلت عندهم دع السؤال وقم فانظر الى حالي
الا ترى ان حالي كيف قد حليت بهم الم تر حالي عند ترحالي
فان اكن ساكتا عن شكر انعمهم فان ذاك لعجزي لا لاغفالي

ذكر امير المومنين القادر بالله وانتصابه منصب آبائه الراشدين بدار السلام واستقرار الامارة عليه وما اشتبك

من الحال بين السلطان وبين بهاء الدولة وضياء الملة ابي نصر بن عضد الدولة
في زمانه قد كان بهاء الدولة وضياء الملة نقم من الطائع
لله امورا اضمرها فيها على غيظ فاقه وعدوله بها عن حكم استحقاقه
فدعاه ما توالى عليه من خلاف رضاه الى مراعاة مصلحة الدين والملك
بالخيبة من يدعي حق الامامة ويتولى حياطة الخاصة والعامة
ويعزل هوى النفس في اتباع الحق واستشعاره ونصرة الدين
واظهاره وحماية الملك من اقطاره وجعل يتلطف عليه في التدبير
الى ان تمكن منه فخلعه واحتوى عليه وعلى ما كان جمعه وذلك في شعبان
سنة احدى وثمانين وثلثمائة

وارسل الى البطايح وبها القادر بالله ابو العباس احمد بن اسحق
المقتدر بالله واستقدمه دار السلام لعقد البيعة سد الثلمة
ونظرا للامة وارتيادا للالفة واجتلابا للمصلحة الجملة فقدمها
في شهر رمضان من هذه السنة وتسرع الناس الى مبايعته واصطفقوا
على طاعته وتراضوا عن طيب النفوس بامامته وتناهبوا شكر الله
على ما اتاحه لهم من بركات خلافته ثقة بما اشتهر في الآفاق من مناقبه
الغر وضرايبه الزهر وفضايله المسطورة على صفحات الدهر فقام
بما قلده الله من طوارق الامامة مفوضا اليه امره ومتوكلا عليه
وحده فلم ير في مقعده من سرير الخلافة اوفر منه حصاة واوقر
اناة واصلب قناة واصدق تقاة وارضى سيرة واذكى بصرا وبصيرة
وازكى علنا وسريرة واتم جزالة وجلالة واعم سياسة وحراسة
نعم ولا اقوى منه جنانا واندى بنانا واجرى لسانا واعدل عقابا
واحسانا وعطفته عاطفة القربى على الطايع لله فاستخصه لمنادمته
واجتباه لمصاحبته والحفه جناح رعايته وحمايته تفاديا بان غضاضة
تلحقه في زمانه او نكبة ترهقه في ظل سلطانه وجانب امامته الى ان
فرق بينهما الدهر المولع بالتفريق واخذ الرفيق عن الرفيق ورثاه
ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي الموسوي بقصيدة منها

ان كان ذاك الطود خر فبعد ما استعلى طويلا
موف على القلل الذرى واهب في العلى عرضا وطولا
قرم يسدد لحظه فتهي القروم له مثولا
كالليث الا انه اتخذ العلى والعز غيلا
وعلا على الاقران لا مثلا يعد ولا عديلا
من معشر ركبوا العلى وابوا عن الكرم النزولا
غر اذا نسبوا الى الغرر اللوامع والحجولا
كرموا فروعا بعد ما طابوا وقد نجموا اصولا
نسب غدا رواده يستنجبون له الفحولا
يا ناصر الدين الذي رجع الزمان به كليلا
يا صارم المجد الذي ملئت مضاربه فلولا
يا كوكب الاحسان اعجلك الدجى عنا افولا
يا غارب النعم العظام غدوت معمولا جزيلا
لهفي على ماض مضى الا نرى منه بديلا
ومنازل سطر الزمان على معالمها المحولا
من بعد ما كانت على الايام مرباة تلولا
والاسد ترتكز القنا فيها وترتبط الخيولا

من يسبغ المنن العظام ويصطفي الحمد الجزيلا
من نتج للآمال يوم تعود بالبنان حولا
من يورد السمر الطوال ويكشف الخطب الجليلا
اتراه يمنع دوننا وادي النوايب ان يسيلا
عقد الالوية الملوك على العلى جيلا فجيلا

وانثال خطباء العراق وشعراؤها كاعراف الجياد على مجلس الخلافة
في امتداح القادر بالله امير المؤمنين وذكر مفاخر آبائه ومآثر اسلافه
مرابع الكرم منابع الحكم مصابيح الظلم مجاديح الامم ليوث البهم غيوث
القحم وبلغني ان مقاماتهم مدونة بالعراق فمن بين منظوم ومنثور
ونقير وشذور فلا حاجة بنا الى تتبع ذكرها مع اشتهارها في ديارها
وحكى لي ابو محمد عبد الله بن محمد بن الهيصم احد الاعيان الكرامية
بنيسابور قال قمت في مجلس القادر بالله امير المؤمنين خطيبا بحضرة
بني هاشم ومشايخ بغداد واعيان الحجيج فقلت

خطبة بديعة تحتوي
وذكر خلفاء

الحمد لله ذي العزة القاهرة والحجة الباهرة والنعم المتظاهرة الذي
عم احسانه ودام سلطانه ولطف شانه فلا راد لقضائه ولا
مانع لعطائه ولا معقب لحكمه ابتعث محمدا صلى الله عليه وسلم
من خير ارومة العرب مولدا وافضل جراثيمها محتدا واطولها

نجادا وادار رحيها في الحروب اوتاد افادة لحسن تأييده واكد امره افضل
تأييد حتى استقل الدين باعضاده واضمحل الشرك واحصاده وظهر
امر الله والمشركون كارهون فعليه صلوات الله عدد الرمل والحصا
ما طلعت شمس الضحى وعلى آله الطيبين ثم قيض الله من بعده الخلفاء
الراشدين لتمهيد الدين وتوهين كيد الملحدين فبسطوا للاسلام
بساطه ونهجوا لاهل الآفاق صراطه الى ان تادى الامر الى ذويه من
آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبني صنو ابيه فاقاموا للاسلام عن
اوده واسندوا الامر الى مستنده معتصمين بنصر الله صادعين
بامر الله معظمين لحرمات الله هلم جرا الى ان تاكدت بيعة الخلافة
بامير المؤمنين القادر بالله فبهر نور العالمين وشفى ذكره على المنابر
صدور المخلصين من بعد التواء فراطه العباد وانزواء من قصد الفساد
وابى الله الا نصرة الحق وادالته وقمع الباطل واذلاله
ولقد حدثني محمد بن الفضل العلوي قال حدثني الصولي عن المبرد
لابي العباس بن حمدون حدثه ان سعيدا الخطيب قال لما بايع الفضل
مروان المعتصم بالله امير المؤمنين قام في الناس فقال

بايعت منبسطا ولو لم تنبسط كفي لبيعته قطعت بنانها
من ذا اليه لا يمد يمينه قطع الاله يمينه فابانها

ولو اللبس في خدمة امير المؤمنين ما يقابل هذا او يشاكله وذلك انه
اظهر بيعته لوارد كتابه على حين التواء من التوى بناحية بلخ
فقال فيها

سبقت يميني نحو بيعة قادر بالله لما صافحته يد القدر
ماضر بيعته التواء من التوى والله مبرمها بمكنون الزبر
ولقد اراه اجل من وطئ الحصا بورائه الشم البهاليل الغرر
فلاخلعن القلب مني ان ابى ولاقلعن العين ان زاغ البصر

ومما انا فيه ساعدني توفيق الله حتى وطئت بساط امير المؤمنين
شاكرا ما انعم الله علينا بولي امير المؤمنين محمود سبكتكين فانه في رسمه كاسمه
والله نسأل ان يديم سلامة امير المؤمنين وان يبلغه امله في الامير
ابي الفضل ولي عهد المسلمين الغالب بالله ابن امير المؤمنين ويلحقه بسعادة
آبائه الراشدين واسلافه الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله اجمعين قال فامر القادر بالله ان تنسخ
الخطبة في جميع اخواتها المسطورة المخزونة ولما ارجفت منابر
خراسان بذكر القادر بالله علما وجبته طاعة السلطان يمين الدولة
وامين الملة لامر الله في اقتفاء محجته واقتفاء خليفته وحجته
كاتبه بما اتاه من الافضاء الى ابنه ابي الفضل بعهده في ولاية امور المسلمين

المصنف الوالد رضي الله عنه

الى بعده

في بعده وتلقيبه بالغالب بالله ورسم توفيته واجب حقه والحاق
ذكره على المنابر باسمه وطبع النقود على ذكر تلقيبه فاوجب السلطان
يمين الدولة وامين الملة مطاوعته فيما امر ومتابعته في جميع ما رسم
فتقارن ذكراهما في الخطب وترافق اسماهما على صفحات الفضة والذهب
وسنعود الى ذكر بهاء الدولة وضياء الملة من لدن استأثر الله بعضد
الدولة وتاج الملة ابي شجاع فناخسرو الى ان افضى الامر اليه واستقر الملك
عليه وفيما نطق به كتاب الصابي المعروف بالتاجي من وقائع عضد الدولة
مع بختيار الى ان اظفره الله به فقضى عليه بحد حسامه وجرعه كاس
حمامه واحتياله على ابي تغلب ناصر بعد انهزامه الى ان امكنه التدبير عليه
بابن الجراح احد المتغلبين من الاعراب على حدود الشام فقبضه لاقتناصه
بمبار اهداها اليه واطماع اكدها له حتى تعقله وقتله وحمل اليه
علاوته ما يغني عن تجديد ذكره ولما مضى عضد الدولة لسبيله
وذلك في شهر رمضان سنة اثنتي وسبعين وثلثمائة عند اشتغال اخيه مؤيد الدولة
بمحاربة حسام الدولة تاش وعميدها فايق في عسكر خراسان اجتمع
ابناء دولته على ابنه صمصام الدولة وشمس الملة فبايعوه متوازرين
وتوافقوا على طاعته متظاهرين واتاه الطائع لله امير المؤمنين في حراقة
على ظهر دجلة يعزيه عن ابيه وقد ثار عوام الناس نظارة له حتى

[illegible]

اذا قرب منه برز اليه صمصام الدولة فخشع وجهه برسم الطاعة وحق
الخلافة وقال له الطايع لله نضر الله وجه الماضي وجعلك الخلف
الباقي وصيّر التعزية بعده لك لا بك واخلف عليك لا منك فاذرى
على خدّيه دموع عينيه وبادر الى الصعيد شكرا لما منّ به عليه
ثم انتصب منتصب ابيه واجرى الامور على استقامة وتدبيرها بسياسة
عامة وكان اخوه الاكبر ابو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة غايبا
الى مدينة بواشير من ارض كرمان فلما بلغه نعي ابيه كرّ راجعا الى
فارس وقبض بها على نصر بن هارون النصراني وزير ابيه فاستوفى عليه حواصل
امواله وبقايا اعماله وامتدّ منها الى الاهواز فملكها على اخيه ابي الحسين
احمد بن عضد الدولة وغلب على البصرة معها وذلك في رجب سنة خمس وسبعين وثلثماية
ثم استعدّ لقصد بغداد طلبا لمكان ابيه واستضافة لما في يد اخيه
الى ساير ما يليه وسار حتى اذا وافاها تلقّاه صمصام الدولة بما اوجبه
حق سنّه عليه اجلالا ومهابة ومداراة ومقاربة تفاديا من ضرر
استيحاشه وعدوى مساءته غير عالم بانّ غمدا واحدا لا يسع سيفين
ووترا واحدا لا يضم سهمين فقربه ابو الفوارس ورفع محلّه ثم خلعه
وكحله وامر به الى قلعة كنوستان من ارض عمان واستولى على المملكة
ولقبه الطايع لله بشرف الدولة وزين الملة فبقي على جملته سنين

وفجعته حكم الله تعالى في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلثماية
وقام شاهنشاه بهاء الدولة وضياء الملة ابو نصر فيروز بن عضد الدولة
مقامه وتجرد لضبط الامور المباينة وتلافي الحال الحايلة وتكفل
بالملك كفالة الخبير بالتجارب البصير باعقاب العواقب وثار الاتراك
بفارس على صمصام الدولة فابرزوه من معتقله وحمله غلامه
المعروف بسعادة على عاتقه متحدرا به فملك فارس وما والاها وتتبع
اموالها فجباها ثم تنكروا له من بعد وقدموا ابا علي بن ابي الفوارس
وعقدوا له الرياسة عليهم ولقبوه بشمس الدولة وقمر الملة وتجردوا
للدفاع عنه والدعاء اليه فانتدب لمواقعتهم الى ان هزمهم اقبح هزيمة
وغنمهم ابرد غنيمة فخنسوا الى بغداد صاغرين خاسرين وتحرك بهاء الدولة
وضياء الملة لقتال صمصام الدولة فتناوشا الحرب وصالا كعوب
الرماح ما بين المساء والصباح حتى خربت البصرة وتلاها في الخراب اكثر
كور الاهواز وقد كان اولاد بختيار محتبسين في حصن بناحية فارس
فاستنزلتهم طايفة من الاكراد الخسروية عن معتقلهم موججين نار
الفتنة باستنزالهم وكلّ عقالهم فناصبهم الحرب مستعرا شرّهم
ومستدفعا باسهم وضرّهم فاختلفت بهم الوقايع بين تلك الفتن
الثايرة والمحن الفايرة وكانت عقباها ان اجلت عنه قتيلا

وتندّم بهاء الدولة للجناية عليه فأرصد الجناة بطائلته حتى شرّدهم
كل مشرّد وطرّدهم كل مطرّد ولجأ اولاد بختيار الى الجلاء عن
تلك الناحية وزعيمهم يومئذ سالار بن بختيار الملقب بنور الدولة
وكان من امره انه شذّ عنها مذعورا مبثورا فاضطرته الحال
الى خفارة التجار في تجاراتهم واجارتهم على مراصد القطع ببضاعاتهم
على خرج يستعين به من جهتهم على مؤن معاشه ورياشه واتبعه
بهاء الدولة بجيش وافقوه فغلبوه ووصلوا اليه فقتلوه وحمل
غلام منهم رأسه الى بهاء الدولة فامتعض للرحم الدانية والحمية
الجاهلية من تشجعه على الاقدام به فامر بالغلام فسلخ جلده من
قرنه الى قدمه عبرة لمن اقدم على ملك يسفك دمه وبعث قائد الجيوش
الملقب بالصاحب الى بغداد لمراعاة تلك الاعمال واستيفاء حقوق
بيت المال فاستملكت سيرته وحمدت في العدل بصيرته ودعم رفقه
حجيج بيت الله الحرام فانطلقت بشكره السنة الخاص والعام الى
ان قبضه الله تعالى فسدّ مكانه بعده ابن الوزرا زيادة في النظر للرعية
فاربى على عميد الجيوش في الاحسان الى الكافة اصلاحا لهم ورفقا
بهم وطرحا عنهم وصفت نواحي فارس وكرمان لبهاء الدولة منضافة
الى سائر اعماله وقعدت الفترة القائمة عن سوقها في زمانه فتم الامر

[illegible] ملك كرمان

والسكون وشمل الرفق والهدون واستراح عباد الله مما كان يقدحهم
من وطأة الجيوش ويلحقهم من معرّة اختلاف السيوف فقد
كان ابو علي بن الياس قد ملك كرمان في ايام عضد الدولة لآل سامان
واقام بها مدة من الزمان لا ينازعه فيها منازع ولا يدافعه عنها مدافع
وكان حبس ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان اشفاقا من معرّته للوثبة
رآها في رايه واضطراب تبيّنه في وجوه شمائله وانحائه وبقي
عنه مدة من الزمان مديدة وهو يجاذبه فيها ضرا وبوسا وشدة
فاتفق اذ اشرف سرب من نساء ابيه وجواريه عليه من ثقب لضيق مكانه
ودبّرن في وجه خلاصه وعمدن الى خمرهن فوصلن بعضها ببعض وخلّصنه
بها عن معتقله وتسامع اهل العسكر بخلاصه وانحلال عقاله فتجمعوا
عليه وانقطعوا بجملتهم اليه ممالاة له على ابيه لجفوات نقموها منه
وبلغ ابا علي خبر الحادثة فارسل الى ذوي التجربة والتائب باحثا
عما دعاهم اليه فاظهروا الضجر بمكانه والتبرم بطول زمانه وسآمة
مفارقته وكان ليستقر الامر على ابنه اليسع بطاعتهم له وتوخيهم
موافقته فعزل ابو علي قولهم بجنب المداراة والاحتمال في عاجل الحال
ثم جمع ما قدر عليه من صنوف الاموال وكرّ عائدا الى بخارا مخليا بين
اليسع وبين تلك الولاية واقام بتغنّيه بسر مهلاي وكرمش الحاجب

على حضرة اليسع وكفالة امره اذ كانت حداثته تقتضي استخلاف
مثلهما في دهائهما وقوة رأيهما على حضانته اصون وتبصيره الرشد
في وجوه تدابيره ولما وصل ابو علي الى بخارا بولغ في تعهده واكرام
مورده واجلاله من الايثار والاكبار بمحل مثله الى ان توفي بها في شوال
سنه ست وخمسين وثلثمائه فاما اليسع فانه ولي كرمان وحمى اطرافها وجبا
اموالها وكان اخوه سليمان مقيما بسيرجان واليا عليها واغراه بسر
مهدي واشار عليه بمعاجلته قبل انتظام شمله واستمرار حبله
فكتب اليه يستدعيه لمهم لا يستغني عن موقفه وضنته فيه فامتنع عن
الاجابة بعلل اخترعها ومعاذير نحلها وضاق اليسع به ذرعا
ولم يجد من مناجزته بدا فنهض اليه محاربا حتى هزمه وغنم ماله فوقع
سليمان الى بخارا واطمع اليسع نزق شبابه في مغالبة عضد الدولة
ابي شجاع على بعض حدود عمله فكان مثله مثل العير طلب قرنين متن
فضيع اذنيه وذلك انه لما بلغ مفرق الحدين بين كرمان وفارس اتاه
صاحب طليعته بطائفة من المستامنة عن عسكر عضد الدولة
فاحسن اليهم وصب الخلع عليهم ثم هرب منهم نفر اجتيز وراءهم فارتاب
اليسع برفقائهم وظن ان وراء استيمانهم حيلة او غيلة
فاوسعهم تنكيلا وعمهم بالعقاب قطعا وتمثيلا واستامن عنه

الى عضد الدولة جملة من رجاله فحملهم وحباهم ووصلهم ومناهم
فلما رأى اصحابه تباعده بين الامرين تألبوا عليه وتنمروا له وتحزبوا
عنه ونسل من جملتهم صفقة واحدة الف رجل من وجوه الديلم الى
معسكر عضد الدولة وهو بناحية اصطخر وفشا الاضطراب بين الاخرين متن
فجعلوا يتسللون لواذا ويتفرقون جميعا واشتاتا حتى انفض
عنه عامة اهل عسكره وبقي في خاصة غلمانه وحاشيته فاضطر الى
معاودة سواشهر واسرع منها بعياله وبما خف عليه حمله من اثقاله
واموال نحو بخارا لا يلوي على احد دون الاغذاذ في السير وطي بساط
الارض بحوافر الخيل فلما اتصل خبره بعضد الدولة بادر على اثره الى
سواشهر فملكها واستصفى اموال آل اليسع بها ثم استخلف عليها كوركير
بن جستان ورجع عنها الى فارس ولما ورد اليسع ناحية جوين من حدود
قهستان خلف اثقاله وغلمانه بها وركب الجمازات نحو بخارا للاستنجاد
وطلب الامداد فلما وافاها قرب محله ورعى له حقه واستحضر مجلس
الانس تخصيصا بمزية الاكرام والاثرة فلما قدر عليه سلطان الراح
لم يتمالك ان قال مستبطئا لو عرفت قعود الهمم بآل سامان عن اعانة
الراجي لها واللاجئ اليها لطلبت غير هذه الحضرة ملاذا ومعتصرا
فخشن موقع هذا المقال منه وامر به فنفي الى خوارزم وبلغ ابا علي بن

سبحوا جانبه ومقابله فبعث الى جوين ثم قبض على غلمانه واموالهم فنقلهم
واثارها غنيمة خالصة عن ايدي الاعراض والاثرة الى ان اصاب
البسيج نحو ارزم رمد اقلقه واكمده واستنفد وسعه وجلده وحمله
الضجر بالالم على ان فقأ عينه الرمدة بيده فسالت على خده وكان
ذلك سبب هلاكه وحينه ولم يطر من اعقاب الالياسية بعد ذكر
بعده احد وازداد باع عضد الدولة طولا وعزه ارتفاعا وسموا
الى ان ورثه بهاء الدولة وضياء الملة فاجرى امورها بمجاريها الموروثة
من حفظ الاطراف وبسط العدل والانصاف ولما ملك السلطان
يمين الدولة وامين الملة خراسان وافتتح سجستان وحصل من ولايته
دبير تلك الديار ذات الجوار فاتحه بهاء الدولة وضياء الملة خاطبا
كريمة وده على صداق قبله المعمور بموالاته المقصور على طلب مرضاته
ووصل ذلك بهدايا ومبار لاقت برحب صدره وعلو همته وقدره
فاجابه السلطان يمين الدولة وامين الملة الى الخطبة واوجب له مثل ما اوجبه
ولحقه بما هو ... الوداد واكد الاتحاد وقضى حق المكافاة وزاد
وتشوفت الحال بينهما الى زيادة عصمة تتحد بها البيوت والمرابع
وتشترك فيها الاقارب والاباعد فاسفر مساعي الدولتين عن تشبيك
اللحمة وتوشيج اسباب القربة الى ان اتاح الله من ذلك ما يعم القاصي
والداني فائدته وشمل الحاضر والبادي والطاري والثاني نفعه
وعائدته

ذكر غزوة نارين

ونشط السلطان يمين الدولة وامين الملة في سنة اربعمائة لغزوة في ديار
الهند يتخايل بها فرح نكايته فيها تقربا الى الله تعالى واحتسابا للمثوبة
من عند الله فنهض نحوها يجتاب الحزون ويخترق الحزون والسهول
الى ان توسط ديار الهند فاستباحها واذل لقاحها وكسر اصنامها
وعرض على السيوف اغتامها وسار على هينته نحو متقصد لي وقع
بعظيم العلوج وقعة افاء الله بها عليه امواله واغنمه خيوله وافياله
وحكم فيها سيوف اوليائه وحشوتهم بما من ... فقد تحرر ثم
عند حلة ... ورده بهم الى غزنة فيما حواه من تلك الغنائم
الموفورة سالما غانما ... ولما راى ملك الهند ما صب
الله عليه وعلى اهل مملكته من سوط العذاب بوقائع السلطان
يمين الدولة وامين الملة ونكاياته في اقاصيهم وادانيهم وايقن انه لا
قبل لهم بثقل وطأته وخشونة جانبه ارسل اليه اعيان اقاربه
وقرابته ضارعا اليه في هدنة يقف فيها عند امره ويستخرج له ماله
ووفره ويتجرد ... على نصرة على ان يقود اليه بادي الامر
خمسين فيلا يعد آحادها باضعافها ثقل اجسام وخفة اقدام

وحمل معها مالاً عظيم الخطر كبير القدر بما يضاهيه من مبار تلك الديار
ومتاع تلك البقاع وعلى أن يناوب كل عام بين أفناء عسكره في
خدمة بابه بألفي رجل بادين وعايدين الى اتاوة معلومة يلتزمها
كل سنة يتمسك بها من يرث مكانه ويقوم في كفالة الملك
مقامه فأوجب السلطان اجابته الى ملتمسه لعز الاسلام بذل طاعته
واعطائه الجزية عن يده وبعث اليه من طالبه بتصحيح المال وقود الأفيال
فنفذ ما وعد وقدم الوفاء بما شرط وبعث لمن ضمن تجهيزهم الى بابه
من خواص رجاله على جملة الخدمة وإقامة رسم الطاعة فانعقدت تلك
الهدنة ودرت تلك الاتاوة وتتابعت القوافل بين ديار خراسان وبلاد
الهند فضمن للأمان وجوار الحيطة والاحسان

ذكر غزوة غور

اتفق للسلطان يمين الدولة وامين الملة فكر في جبال الغور وتمرد أهلها
وتمنعهم على عظيم عن حلية الدين وسمة الاسلام وحصولهم
في المعقل من حوزته والمركز من دائرة مملكته وتأذي المارة والسابلة
بعيث ارصادهم وعنت قطعهم وافسادهم لاستطالتهم بمناعة
جبالهم الشواهق ومجال مسالكهم المتضايق فأنف للدولة القاهرة
من أن يخليهما على غلق اقفالها وشدة رتاجها فصمم العزم

على تدويخ ديارهم وتذليل رقابهم وانتزاع نعرة الاستطالة من رؤوسهم
واستلال وحرة العصيان من صدورهم واجلب عليهم بخيله ورجله
معولاً على صنع الله وفضله وقدم امامه والي هراة التونتاش الحاجب
ووالي طوس ارسلان الجاذب فسارا مقتحمين مضايق تلك المسالك
الى أن افضى بهم الدؤوب الى مضيق قد غص بحماة الغورية ممن لفظتهم
القرى القاصية والجبال المتنائية فتناوشوا الحرب تناوشاً بطلت
فيها العوامل الا الصوارم في الجماجم والخناجر في الحناجر وتصابر الفريقان
على جمر الكريهة حتى سالت نفوس وطارت عن الهام رؤوس وبلغ السلطان
خبر الفريقين فلحقهم في خواص غلمانه وجعل يلجئهم الى الطور ويأتيهم شيئاً
فشيئاً ويملك عليهم ملاجئهم شعباً فشعباً الى أن فرقهم في عطفات
الجبال الشوامخ وألحقهم بقلل الراسيات البواذخ واستفتح المجال
الى عظيم الكفرة المعروف بابن سوري فغزاه في عقر داره واحاط به من
جوانب حصاره وهي قصبة تدعى آهنكران وشد عليه الحرب وبرز الرجال
في قرابة عشرة آلاف رجل كأنما خلقت قلوبهم من حديد واكبادهم من
جلاميد يستأنسون بأهوال الوقائع استيناس الظمآن بماء الشرائع
فصافوا عسكر السلطان مرعدين بالبطش والبأس مبرقين بصوارم
الأسياف وجعلوا يبرزون في وجوههم هرير الكلاب أعياها الفراد

ابن سوري ابن الكفرة عظيم اسمه

قصبة آهنكران ١٢

واحرجتهم الاحجار فقام السلطان بمداركة الشد عليهم على ما اوجبه
حكم الاحتياط اذ كانوا مستندين الى معاقل وثيقة ومعتصمين
بخنادق عميقة حتى اذا انتصف النهار على قاحتهم في مغامسة
الحرب ومصابرة الطعن والضرب اشار بتولية الظهور على وجه
الاستدراج والاغتيال فاغتروا بخدعة للانقلاب وانفضوا عن
مواقفهم الى فسيحة الفضاء لاغتنام فرصة الانهزام فكرت عليهم الخيول
بضربات غنيت بذواتها عن اخواتها فلم تنقع منها واحدة الا عن
دماغ منثور ونياط مبتور وصرع في تلك المعركة الواحدة رجال
كهشيم المحتظر او كاعجاز نخل منقعر وملك الاسر عظيمهم المعروف
بابن سوري باقربه وذويه وسائر حواشيه وافاء الله على السلطان
ما اشتمل عليه حصانه من ذخائر الاموال والاسلحة التي اقتناها
كابر عن كابر وتوارثها كافر عن كافر وامر السلطان باقامة شعار
الاسلام فيما فتحوا من تلك القلاع والربوع فافصحت بذكر منابرها
واشترك في عز دعوته باديها وحاضرها ورجع بعد ذلك عن
وجهه على جناح اليسر والنجاح والظفر المتاح وحين رأى ابن سوري
حصوله في ذل اساره واستباحة السلطان ودائع حصانه تبرم
بحوبته واستراح الى برد وفاته فامتص سما كان اودعه فص خاتمه

اسر ابن سوري

مص السم من فص الخاتم

نجاة للوقت بنفسه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

ذكر القحط الواقع بنيسابور سنة احدى واربعمائة

وقع القحط بنيسابور خصوصا وفي سائر بلاد خراسان عموما فهلك
بنيسابور واطرافها دون غيرها مائة الف او يزيدون ولم يدفن منهم باطما رهم
لضيق الاكفان بهم وعجز غسلة الاموات عنهم وكان الناس من
بين غلام وشاب وكهل وفتاة وعجوز يتداعون الخبز الخبز ويذوبون
على انفسهم حتى تغور عيونهم وتجب للموت جنوبهم ورعوا نبات الارض
حتى استحكم الياس عن الزروع وانقطعت الاطماع عن الربوع وضاق
بهم الامر فجعلوا يتتبعون رمام العظام على رؤوس الكناسات تعللا بها
ومهما ذبح قصاب ذبيحة اجتمع عليه الفوج بعد الفوج يتقاسمون
نجيعها بالكيزان والخزف تسكينا لحرقة الجوع واجتزاء به عن القوت
ولم يبل منهم احد الا سقط لجبينه وجاد عن كثب بنفسه وعهدي
بهم يتتبعون سقاطات حب الشعير عن الارواث وهيهات ان الشعير
لاعيا الانام فكيف البهائم والانعام ثم ترقى الامر الى ان اكل الام ولد ها
والاخ اخاه والزوج زوجته وظل بعضهم يختلس بعضا من شوارع
الطرق الى الخرابات فيطبخ منه ما شاء من الباجات وحرمنا الاسمان

على الناس لكثرة ما صبّ عليها من لحوم البشر فبيع في الأسواق وقبض
على أقوام بلا عدد كانوا يغتالون السابلة فيصيرونهم على هذه الجملة
ووجد في دورهم ما يغمر العدّ من رؤوس قد أكلت لحومهم وصيّرت
شحومهم فأما الكلاب والسنانير فلم يبق منها إلا العدد اليسير وكان
أوساط الناس وأرباب الحرف أن يخترقوا وقت العشاء محلة نائية
عن واسطة البلد إلا في عديد وسلاح عتيد وذكر أن فقيها
وجيها من أصحاب الحديث دخل على الإمام أبي الطيب سهل بن محمد
الصعلوكي فسأله عن تطاول عهده به فقال أيها الإمام عني أحدوثة
عجيبة رد الله علي روحي فضلا منه جسيما وصنعا كريما أني جعلت
أمرّ ببعض العشيات وحيدا في شارع أشار إليه فلم يرعني إلا وتر
صار في عنقي وجذبت به جذبة ضيّقت على مخنقي فبينا أهمّ بمواثاة
الجاذب ومداراته للسلامة على ضيق التخنيق إذ وثب إلي من بعض
تلك الأبواب امرأة فضربت أنثيي بركبتها ضربة سقطت منها
مغشيا فلم أشعر بعدها بشيء من مصارف أموري إلى أن أفقت عن الغشي
ببرد ما رش به وجهي وترائبي فنظرت إلى قوم أجانب يتخاوضون عما
دهاني ويتلاومون صورة ما عراني فأذالهم ساعة وجبني لجنبي أدركوني
عائدين إلى منازلهم فهرب منهم من أشفى على قتلي واستباحة دمي

احدوثة عجيبة

وتركني برمقي وخلّى الوتر في عنقي فصبرت ساعة إلى أن استوفيت
الإفاقة واستعدت القوة والطاقة وعدت إلى المنزل وسقطت من
هول ذلك المصرع على الفراش عشرين يوما مدهوشا مبهوتا وحيضا
مسبوتا إلى أن من الله علي بأوائل الإبلال وزوال أكثر ما مسني من ألم
الاعتلال فبكرت يوما أحسست بالخفة إلى المسجد لإقامة الفرض
وصعدت المئذنة على الرسم فلم أستتم التكبير حتى اختطف عمّتي
من رأسي وهو أراد صاحبه به رقبتي فأخطأها لما أراد الله من تأخير
أجلي فعدلت عن الأذان إلى الصياح بطلب الأمان وجعلت لله علي بعد ذلك
أن لا أخرج مدة هذه الفتنة من داري إلا والشمس بيضاء نقية
ولا أرجع إليها إلا وفي النهار بقية فهذه هي التي ثبطتني عن الخدمة
وأقعدتني عن الرسم في مساعدة الجملة فقضى الحاضرون عجبا من تلك
الداهية وسألوا الله حسن السلامة والعافية وحكي
عن الأستاذ أبي سعيد عبد الملك عثمان أحد الصالحين من عباد الله الموقنين
والساعين في مصالح المسلمين أنه نقل من دار كان يسكنها المرضى والزمنى
من الفقراء وأبناء السبيل في يوم واحد من أيام هذه السنة أربعمائة ميت
عن رح الجوع والمخمصة على أن يوعز بتكفينهم ودفنهم فأتاه خبّازه
الذي كان يقيم جراياتهم المذكورين من حنطته وهو في حيرته يذكر أنه

حكاية [illegible] القحط اعاذنا الله منه

قد بقي في هذا اليوم بعينه مما كسد على البيع اربعمائة من خبزا
فسبحان من يقضي على من يشاء بالفناء مع امكان الاقوات في وجود
الكفايات ۞ وقد اكثر الشعراء في ذكر هذا الغلاء والبلاء فمنه
قول ابي نصر الزاهي الكاتب

قد اصبح الناس في غلاء ۞ وفي بلاء تداولوه
من يلزم البيت يوذ جوعا ۞ او يشهد الناس يأكلوه

ولابي محمد العبدكاني الزوزني

لا تخرجن من البيوت لحاجة او غير حاجة
والباب اغلقه عليك موثقا منه رتاجه
لا يقتنصك الجايعون فيطبخونك شورباجه

وامر السلطان يمين الدولة وامين الملة بالكتب الى عماله فصب
الاموال على الفقراء والمساكين فاستبقى الله بها مهجات قوم قد اشرفت
على الهلاك وافتكهم من براثن الاحتناك فبقيت تلك السنة على
حالها الى ان ادركت غلات سنة اثنى واربعمائة فمن الله تعالى بازالة سنة ٤٠٢
تلك الشدة واطفاء تلك النائرة المتقدة وتدارك عباده بعد
استحكام اليأس بالغيوث الهامية والزروع الزاكية ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم

ذكر ما افضت اليه احوال الخانية بعد معاودة ما وراء النهر

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد انكشاف عسكر الترك
يراعي ما يسفر عنه تدبير ايلك الخان في اخيه الكبير طغانخان اذ كان
لخوفه بممالاة السلطان عليه لايمان يزعم نزوعها اياه ومواثيق يدعي
انعقادها عليه ويظهر البراءة على السنة رسله من فعلات ايلك
في منابذته ومكاشفته وتخطي الحدود ممكنة وتورك الذنب عليه
في اغرائه بما اتاه ومكاتبته في البعث على ما جناه ولما ظهر لايلك
ان اخاه طغانخان قد جعله عرضة للجناية وقلده طوق تلك
المكاشفة براءة منه وخذلانا اياه وشقا لعصاه واسلاما لما كسبت
يداه راى ان يبتدي به فيحسم دا قرابته ويغسل بالسيف وضر جنايته
فجمع جيوش ما وراء النهر لقصده واستدفاع مكره وغدره وسار
حتى اذا جاوز اوزكند نحوه سقطت ثلوج سدت عليه مسالك العقاب
المفضية اليه فارتد عن وجهه القابل حتى طاب الهواء وانحسر الشتاء
وجفت الانداء فكر عايدا على اثاره لفت المشتري موهنا بشاره
وكان ورد رسلهما في التنازع الذي تقدم ذكره تراجعا القول
عن جناية العبور واحالة بعضهم على بعض في نقض المواثيق والعهود

تغط

فخلا بهم السلطان في لفظ القول حتى وصلوا بحر اللقاء الى
برد الاستشفاء، واراد السلطان بعد ذلك قراهم، فأمر بتعبية الجيوش
وتغشية فيوله، فرتب العسكر سماطين عن جنبتيه في هيئة لو
رآها قارون لقال يا ليت لي مثل ما أوتي محمود انه لذو حظ عظيم

صفة اصطفاف للهيبة

وصفة مقامه انه اصطف من غلمانه على النقابة بقرابة الفي غلام
من عقائل الترك في ألوان الديابيج من بين سود وبيض وحمر وخضر
وكمت وصفر، وفيما يقرب من موقفه خمسمائة غلام من خاصته عليهم
في مثقلات الروم مناطق من ذهب مرصعة بالجواهر واعمدة من جنسه
فوق الاكتاف والعواتق، وقد أطاف بهم من عظام الفيول اربعون
فيلا على المحاذاة غواشيها ديابيج الروم بعصائب ومعاليق من الذهب
الاحمر مرصعة بكل جوهر ثمين وياقوت رزين، ووراء السماطين سبعمائة
فيل في تجافيف مشهرة بالالوان مسورة بالجراب والمران، وعامة
العسكر في سرابيل قد كدت القيون وردت عن اجتلائها العيون
ورتبت الرجالة امام الجيول في التهتة الواقية والجنن الحامية
والسيوف المرهفة والعوامل المختلفة، وقام بين يديه حجابه كالبدور
في ظلم الدجون قابضين على قبايع سيوفهم هايبين قدره وناظرين امره
واذن لهؤلاء الرسل على هذه الهيبة حتى لقوه واقاموا من رسم الخدمة

تزيين الدوان وضيافة الرسول عند السلطان

ما افترضوه، ثم عدل بهم الى الموائد في دار قد فرشت بما لم يخل غير الجنة
من زينة للمتقين معروفة للعارفين، وفي كل مجلس دست من الذهب
الاحمر بين جفان وحياض واطباق كبار، وقد نضد بها من صدره الى
قدمه ما يتكلف من الاواني الفايقة والآلات الفاخرة الرايقة،
وهيئ الخاص مجلسه طارم وقد جمعت الواحه وعضاداته بصفائح
الذهب وصفايحه، وثقبت بمسامير من جنسه، وفرش من الديابيج المثقلة
بما انكر الابصار منه غير حمرة الذهب، وفي الصدر منقلة مقسومة
بيوت مضلعة ومستديرة يشتمل كل منها على نوع من الجواهر
التي اعيت امثالها اكاسرة العجم وقياصرة الروم وملوك الهند واقيال
العرب، وحوالي المجلس اطباق وصحان من الذهب مملوة من المسك الاذفر
والعنبر الاشهب والكافور العطر والعود العبق، وهلم جرا الى ما
يملؤ الابواع والايدي من اترجات مصوغة، ونارنجات مصنوعة، وما
يشبه الفواكه من عقيان وبدخش ومرجان الى اواني لم يسمع بمثلها رقة
اجسام ودقة صنعة واحكام، وطاف على الرسل ولدان كالدر المنثور
واللولو المكنون براح كالماء المعين وخضاب الخرد العين الى ان اشتفوا
من غرات العقول فاستاذنوا للقفول، وصرفهم السلطان بمزيد اكرام ولد ومن
الله بعد هذه المادبة وراءهم بالاوجبة همته من تحقيق امانيهم

ورعاية حق الملح فيهم وبقي الأخوان على جملتهما في المنافرة والمناقرة
والمحاوجة والمكافحة إلى أن توسط السفراء بينهما ففصلوا الأمر
على ما كف كلا منهما عن صاحبه على ما سنورد ذكره

ذكر فتح قصدار

قد كان السلطان
يمين الدولة وأمين الملة يراعي ما يتجدد من أخبار الأخوين إيلك وطغان خان
فيما تنازعاه من الأمر فلما بلغه اشتجار ذات بينهما استخار الله
في قصد قصدار إذ كان صاحبها قد ألم بجانب المجانبة وأخل بحبال
كمال المقاطعة اعتزازا بمناعة مملكته واغترارا بحصانة الطرق المفضية
إلى حلته وقصد السلطان عن غزنة إلى بست موريا بقصد هراة
حتى انتشرت أخبار بعزمه واستفاضت الأحاديث بظاهر أمره ثم ركض
إلى ناحية قصدار في الغلس الغلب من رجاله ركضة طوت تلك الجبال
الوعرة والمسالك الصعبة ولم يشعر صاحب قصدار إلا بغلمان السلطان
حول داره قبل أن يكتحل بضوء نهاره أو يحتفل بشد إزاره فنادى
بالأمان الأمان وبرز فخدم السلطان وألزمه السلطان خمسة عشر ألف ألف درهم
من جملة ما كان أخل به من أموال عمله والتزمها ونقد أكثرها وقبض السلطان
على عشرين فيلا ضخاما هائلة كان اعتقدها ليومي بؤسه وبأسه ووكل
به من استوفى المال عليه ورجع عنه بعد أن رعى حق طاعته وضراعته.

باستخلافه على ما كان يليه وبسط يده في أطراف عمله ونواحيه ورجع
عنه إلى غزنة ظاهرا نجحه فائزا قدحه عاليا يده واريا زنده صنعا
من الله تعالى لمن يجتبيهم من خيار خلقه لعمارة أرضه وإنارة حقه
والله يعطي ملكه من يشاء والله عزيز حكيم

ذكر الشار بن الوالد أبي نصر محمد بن راشد والشاه بن محمد وما أفضى إليه أمرهما

قد كان يلقب كل من يلي غرشستان بالشار سمة مصطلحا عليها
ينبي عن معنى التمليك ورتبة الإجلال والتعظيم وكان الشار أبو نصر
واليها إلى أن أدرك ولده الشاه وبه لوثة مشهورة فغلب على الأمر
بقوة شبابه واستظهاره بمن تابعه من أصحابه فاعتزل أبوه مخليا
بينه وبين ما كان يليه وتفرد بالنظر والتدبير فيه ومقتصرا على دراسة
الكتب ومطالعة الأدب إذ كان بها مولعا وبلذاتها دون سائر
اللذات متقنعا وكان منتجعا للأفاضل من أعماق البلاد ينتابه كل
مبدع خطا وبيانا أو مبدع به بلوى وامتحانا فانتشب بعد أن ينتابه
ويشهد بابه حتى يستخصب جنابه ويستجزل بره وثوابه وكان
صاحب الجيش أبو علي محمد بن محمد بن سيمجور لما فتح الاستعصاء على
الرضي نوح بن منصور رام أن يستضيف ولاية الغرش إلى ما يليه وأن يجد

من جانبه الشارين طاعة له في أوامره ونواهيه فأظهرا التمرد عليه
كراهة لاختياره على أرباب الملك الذين أعطوا المقادة قبلهما وسلموا
لطاعتهم تسليما وإدلالا بحصانة صياصيهما وقلاعهما ومناعة
حواشيهما وأشياعهما ومحاماة للدهر على حقوق طاعتهما وسوابق
حرمتهما إلى أن هم أبو علي بمنازعتهما ملكا ورثاه وطمع في
فضل مال اقتنياه فلم تمهنه أبا علي أن جرد إليهما أبا القسم الفقيه أحد
أنياب دولته وأركان دعوته في جيوش كثيفة وخيول على الآلاف
منيفة فناهضهما في عقر دارهما متوقلا إليهما فوارع تصافح
السماء وشوامخ تناطح الجوزاء ومتوغلا مخارم تمردت على السلوك
مرود السموم على غلاظ السلوك تناجزهما في تلك المقامات التي
تدار عندها بالرؤوس وتغشى على النفوس وألجأهما من مضيق إلى
مضيق وتفجعهما بفريق بعد فريق حتى أجلاهما عن قرارة بيتهما
إلى قلعة ورثاها في أخريات هاتيك الجبال تنزل عن أعاليها أقدام
الغيوم وتخلق دون مناكبها قوادم الطيور وعكف عليهما صحون جبالهما
وسهول ديارهما ومحالهما بجميعها وتتبع ما ينشأ من الحاصل منهما
فيهما إلى أن صمد الأمير ناصر الدين سبكتكين صمد أبي علي فاسترد أبا القسم
الفقيه شغلا بالبازل القرم عن الثني وبالعقاب المنقض عن الكركي

وأتى الوادي فطم على القرى وانضم الشار إلى الأمير سبكتكين
في نصرة الأمير نوح فانتقما من أبي علي حين ولى هزيما وتعرى عما
تولاه واقتناه حديثا وقديما ولحق بنحو جرجان لا يملك لابدا ولا غريما
ولم يزل بعد ذلك حالهما على جملتهما في الأمنة والسكون واتجاه الصو ن
إلى أن ورث السلطان يمين الدولة وأمين الملة خراسان حكما لله في أرضه
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولما أذعن
ولاة الأطراف للطاعة والتزام حكم المتابعة وأعطاء صفقة البيعة
وقرع المنابر بإقامة الخطبة وكلهم سمع وأطاع وبذل في الخدمة والقربة
المستطاع أنهضت إلى الشارين في أخذهما بإقامة الخطبة أسوة
أمثالهما من ولاة الأطراف وضمناء الأعمال فتلقياه بفروض الطاعة
والحرص على الاقتداء بالجماعة وأمرا بالخطبة فأقيمت باسم السلطان
بجوزة الغرش في شهور سنة تسع وثمانين وثلثمائة وورد على الشارين سنه ٣٨٩
كتب المتحازبين إلى بخارا عن هزيمة مرو ويذكرون أنهم على الاستعداد
والتجرد للعود فلينتظر أمرهم عن قريب وليأخذا من الأهبة ودرك
الثار بنصيب فبعث الشار أبو نصر بها إلى درج رقعة أفردني بها
يسألني تأملها وإنفاذها بأعيانها إلى السلطان ليقرر حاله في الموالاة
ومخالفة ذوي المناواة والمعاداة فكتبت إليه في جواب رقعته

فتأملتها الآن لله بقاء آثار فوجدتها تدل على جد وجد وقد عمل فيها حول السيف

صيقل الوقاحة لمجدل بنو عم صاحبه بأن يضرب فجية ان لم يكف

عنه نفسه وما نحن فيه بهذا المعنى وفيما اولى الله السلطان من الحسنى

ان كما قال المتنبي

ولله سر في علاك وانما كلام العدى ضرب من الهذيان

فاما قولهم انا على الانتصار ودرك الثار فتلك امانيهم قل هاتوا

برهانكم ان كنتم صادقين على انا نقول

ان كان اعجبكم عامكم فعودوا الى حمص من قابل

فان الحسام الخضيب الذي قتلتم به في يد القاتل

فان قالوا ان العود احمد فذلك ولكن لمن حمد البدي لا لمن ذم وصادف

فيه ما ساء الاماني وغم فقد راوا في بدء لقائهم كيف شرقت

السيوف بدمائهم وحلقت النسور في اشلائهم فان نشطوا الثانية فها تيك

الصوارم ماضية والقواضب ضاربة وما اشبه حال القوم بما قام به

ابو الاشعث خطيبا في قومه فقال يا قوم انه ما بقي من عدوكم الا كما

يبقى من ذنب الوزغة تضرب يمينا وشمالا فما يلبث ان يموت وكذا

المصباح اذا قارب انطفاءه توهج قليلا ثم لم يغن ذلك من حينه

فتيلا فالحمد لله الذي جعل سيوف مولانا تخطب على منابر الرقاب

[illegible]

اذ جعل ألسنة اعدائه تخطب فوق اسرة الاذقان والى الله الرغبة

في ان يطيل بقاء مولانا ما طلع نور حاجب امس وطلع نفس من

قرارة نفيس منصورا اعلى من نابذه وناواه ليودعه من بطن الارض ملحده

ومثواه وعن كثب سيرى الشار كيف يفعل الله بالغاوين ويلبسهم

خزي الباغين ويردهم اسفل سافلين وقبل وبعد فالحمد لله رب العالمين

وكان الامر على ما حدثت وتفرست فان ابلك الجرد اليهم فلك عليهم

دار الملك بتحصله واخذ معظم القوم اسارى وشرد الباقون في الارض

حيارى نعم وطالعت الحضرة بصورة امر الشاديين في الطلحة حتى

حظيا من الاكرام بما توقعاه وحليا من الاعزاز والايثار بما تطلعاه وحضر

بعد ذلك الخدمة الولد المعروف بشاه شار فصادف ما استحقه من ترحيب

وترتيب وحظ من الايجاب والايثار رغيب وغيرة على هذه الجملة

وهو بين الاعتزاز بسمة الملك ولو ثنى في الطبع ما يسلم امثاله عند الملوك

على الملك هو على حد ذلك محتمل وبلطف القبول والاقبال مقتبل

واستاذن من بعد الانصراف ورآه فصادف اذنا بالمبار الكريمة مشفوعا

والى الخلع الشريفة فوق الهمة المنيفة مجموعا وعاد الى افشين قرارة

بينة ومثابة عزة الى ان عنت للسلطان غزوة احب ان يحتشد لها

فضل احتشاد ويستظهر فيها بما حواه من قوة وعتاد وامر جيوش

وقوّاد وامر بالكتاب اليه في استنهاضه اسوة امثاله ثقةً بخلوص
حاله وثمرة ما افاض عليه من سجال افضاله فلزّ به الخذلان على الحران
ولقّنه معاذير واهية الاركان فظلّ يتردد بين الحران والاذعان
الى ان حقّت عليه كلمة العصيان فاعرض السلطان عند ذلك عن تدبيره
واقبل على ما اهمّه من امر مسيره حتى اذا دان له ما قصد وظفر بما
كدّ او تمرّد عاد بالفتح خافقا لواؤه والنجح شادقا ضباؤه جدّد
مكاتبته ايمانا له من خيفة ان اوجسها وايناسا من وحشة ان ابسها
واستبقاء للصنيعة عنده من ان تختضد اشاءها او تنقطع دون
المآرب شآبيبها فلم يزدد الا كفورا ونفورا وكان امر الله قدرا مقدورا
وعند ذلك جرّد السلطان حاجبه الكبير التونتاش وقفّاه والي طوس
ارسلان الجاذب فيمن ضمّهم الى جملتهما ورسمهم بالمسير تحت رايتهما
لمناهضة الشارين والاستيلاء على الغرش عليهما واحاقة وبال العصيان
وكفران الاحسان بهما فنهضا في العدّة والعديد والبطش الشديد
واستنجحا ابا الحسين المنيعي لزعيم مرو الروذ لمكانه من العلم بمعاطف
تلك السبل ومخارم تلك الجبال والقلل فساروا اليهما في رجال قد هذّبتهم
التجارب ونبّهتهم النوائب يمجّون باطراف الثنايا على الزبر ويدخلون
ولو خرت الابر ودمّروا على الشارين تلك الناحية فاما الشار الكبير

نهوض الحاجب والجاذب بامر السلطان نحو الشارين

الى الوالد ابو نصر فاستشفّ استار العاقبة واغتنم شعار العافية
ولاذ بالامان الى الحاجب التونتاش مظهرا للبراءة من فعال ولده وصلاح عا
بما اشتهر في الخاص والعام من عقوقه وتمرّده وتحمّل بشفاعته الى
السلطان في ملاحظته بعين من لم يتكلّب جريرة ولم يتعلّق بريبة ولم يتبدّل
في الطاعة والاخلاص سيرة فحدّره الى هراة بمن برز فيه اقتضته طاعته
والاحتياط اوجبه خلاف الابن وممانعته فكتب بحاله الى السلطان فورد
في الجواب ما آمنه رهق المؤاخذة وعنت المعاقبة واما ابنه الشاه فتحصّن
بالقلعة التي آواها ايام السيمجورية وهي التي سبق وصفها في عزّة
الجوانب ومناعة المناكب وصعوبة المصاعد والسموّ على متون الغيوم
الرواكد واستصحب اليها خواصّ غلمانه وخزائنه وسائر حاشيته وبطانته
وقصده الحاجب ابو سعيد وابو الحرث ارسلان الجاذب في الجمّ الغفير
من اعيان القوّاد وابطال الافراد وتقاسما اركان الحصن فقذفا
بالمجانيق المنصوبة والعرّادات الموضوعة ومناوشة الحرب من جهات
كادت حشاشات النفوس من هول المقام ان تذوق كؤوس الحمام قبل
ذوقها بوقع السيوف والسهام وواصلا صبوح تلك الحروب بالغبوق
حتى هدّا احد اسوار الحصن فوضعاه بالحضيض من وقع الجلاميد
وصدام المجانيق وتسلّقه اهل العسكر منحدرين على سائر الاسوار

كالعصيّ واقلّة في شمّ الهضاب او الارانب هاربة من عصف الكلاب
واشتبكت الحرب على تلك الحال ضربا بالسيوف القواضب واخذا
باللحى والذوائب حتى سالت المذانب من دفع النحور واحمرّت المنابع
من علق الصدور ورأى الشاه عند ذلك من هول المطلع ما لم يكن ثمّ
كان قد عاد الامان الامان هيهات انّ غضاب النفوس اذا صادفت
نجح المرام ووجه التشفي بالانتقام لموقورة الآذان او تنفعل افعالها
وتنال من درك الثار منالها وما زالت تلك دعواه وهذه حالهم حتى
اخذوه اسرا واستنزلوه عنوة وقسرا واستبيح ذلك الحريم بما
حواه من درهم ودينار ومال واستظهار واخذ حلبته وزينه بكل
نبيهة وسميرة كل قليلة وكثيرة فوضع عليه الدهق حتى اعفى بما عرفه
من خباياه وخبره من ودايعه وخلب عامة اوليائه وعمّاله والمتصرفين
في اموره امواله حتى عروا عن لباس اليسار وعرّت اخلافهم دون الاستدرار
وقوطع ابو الحسن المنيعي عن ارتفاعات الغرش على ما علم ارتفاعه
قبل الشاه فتمكن منها واستخلف هناك من يتقوّى به في عمله وشحن
الحصار بكوتوال يوثق بامانته وجلده وبعث السلطان بعض خواصّه
لنقل الشار الى ما سوره الحضرة على سبيل ارفاق له من جهته فلما
سلّم اليه حمله في ثاقة نحو غزنة وسمعت بعض الثقات انه

فتح القلعة عنوة

حكاية غريبة

اتفق للغلام ان كتب الى اهله تخبرهن وما لقيه في حاليّ ورده وصدره
ويبشّرهم بمنصرفه فاستدعى الشار في عقاله وامره ان يتولى
ذلك بخط يده فانعم تفكرا ثم اظهر تشكرا وكتب ما هذا معناه
ايتها القحبة الرجبة اتريني اغفل عما اجد ثنيته بعلي من خيانتي
في الفراش وتمزيق ما خلفته عليك من مالي في تجبيقه بانواع الفساد لقد
انتهى الي جميع ما ركبته من فجور وشربته من خمور وضيعته من مالي
في كل محظور ومنكور وها انا عايد البلد وايم الله لاضعنّ الدهق
عليك وعلى والديك ولادقنّ يديك على رجليك ولاجعلنك
عظة ارباب الخدور في الدور بكذا وكذا واستانف الشتم حتى
علم انه قد اكتفى واشتفى ثم طوى الكتاب ودفعه الى الغلام فطير به
بعض ثقاته فقامت القيامة على اهله وخفن عدوا سعى بهن وحرّف
من صورتهن وفكرن في امرهن فحيّرن اصوب الآراء بتفريغ الدار وتقديم
الاستتار وفعلن ذلك دابات على القلق بايتات على الجوى والارق
فلما وصل الغلام الى الدار فاذا هي كالقاع القرق لا يلم بها نافخ
ضرمة ولا معلق ذمة وبقي حيران وسال الجيران فاخبروه بصورة
الكتاب وما خيف من الفضيحة والعقاب فدعا ويلاه ولعن الكاتب
وما والاه والكتاب ومن املاه واحتال في ردّ العيال بضمان اكده

ولحاجز خدّه. وبلغ الخبر السلطان فضحك لاحتيال الشار عليه
وقال كذا احتيال مثله ممن يستخدم الشار كاتبا ووضع جهته جانبا
ولما حمل الى الباب تقدم السلطان بتجريده للسياط تأديبا
له على ما اغفله من حق النعمة ومتكه من ستر الحشمة فجردها
واخذته عذبات العذاب فاكثر الضراعة والاستكانة وشكا الذل
والمهانة فلما استوفى التأديب حقه دون ان يبلغ النكير منتهاه
والعقاب مداه امر بانزاله واعتقاله في موضع يصلح لامثاله
وامر بمواساته والتوسيع عليه في اقواته من حيث لا يشعره بالحزن فيه
وفيما اتاح له من الترفيه ذكرها سرى في تضاعيف مزاجه ولا الخمر في عروق
العنب او الماء في عذوق الشجر والتمس اسعافه بغلام كان خطيبا
عنده فرد عليه واعيد بعض ما يصلحه اليه فاما ابو المقيم بهراه فاذن
له في ورود الباب ولوحظ بعين الايجاب وابتاع منهما السلطان خاص
ضياعهما بالغرشستان جلالها عن عقدة الشبهة واستضافة اياها
الى جملة ضياعه الملكية وامر لهما باثمانها عاجلا نقدا صيانة لهما
عن مس الفاقة وذل الحاجة ورفرف الجناح الجليل على الشار ابي نصر
بجناح الاكرام والرعاية حتى اتاه الداعي وقام به الناعي وكان ذلك سنة
ستّ واربعمائة. سنه ٤٠٦

ذكر وقعة نارين

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة لما استصفى نواحي الهند
الى حيث لم يبلغه في الاسلام راية ولم تتل بها قط آية فرحض
عنها ادناس الشرك وقشع دونها اغباش الكفر وبنى بها مساجد
تقوم فيها دعاة الله بالاذان الذي هو شعار الايمان رأى ان يطوي
تلك الديار الى واسطة الهند منتقما لله ممن جحد توحيده ووضع
لعبادة الانداد من دونه تعالى خده ووريده وحكّما فيه سيوفا
طبعت على غرار الاسلام وسقيت بماء الايمان وصينت في قراب دين
الله وانتضيت بايدي الاخيار الابرار من اولياء الله فندب الرجال
وفرق الاموال واخلص اليقين واستنصر الواحد المعين ونهض
سنه ٤٠٤ في الطم والرم والليل المدلهم فعل ذلك سنة اربع واربعمائة وسار
في اخريات الخريف ثقة بطيب الهواء من جانب فاتفق عند اقتحامه تلك
الديار ان سقطت ثلوج لم تعهد قبلها مثلها فسدت مخارق تلك
الجبال وسوت بين الاباطح والتلال وكلح وجه الهواء كلوحا اثر
في الحوافر والاخفاف فضلا عن المحاسر والاطراف وضلت مهايع
الطرق فلم تعرف الميامن من المياسر ولا المقادم من المآخر واضطرت
الحال الى الانعطاف الى ان يأذن الله ثانيا في الانصراف ولكل شيء
حد محدود وامد من القدر ممدود. واقبل السلطان على استيناف

العدة والعتاد واستعمال الميرة والازواد واستدعاء اعوان
الغزاة من اطراف البلاد حتى اذا تمت العدة والعديد وباهى العقد
بجوانه الفريد وتضام الناس كقزع الخريف من كل وجه منشورا
عن كل اوب محثوثا ومحشورا واقبل الربيع بطيب المقيل واعتدال
برد الغداة والاصيل استخار الله في الرحيل وسار كالبحر الاخضر
تضربه الاعاصير والامر الحتم تجتنبه المقادير فعدت وحوش الارض
ماسورة وطيور الجو مقهورة ولو احست الارض لرنت من ثقل
الحديد والمشي الوئيد وحث الابطال فوق القب القباديد وساق
امامه ادلة يهتدون اعماق تلك البلاد ولا الشمس عليها طالعة والنجوم
بينها متسقة وراجعة وحث الركائب شهرين بين انهار عميقة الاغوار
بعيدة ما بين الاقطار بواد يضل في ارجائها اسراب اليعافير وتحار
في دهنائها افواج العصافير حتى اذا قارب المقصد عبى الجيوش كتائب — ترتيب العسكر
وميزها عصائب وزينها كواكب وقسمها مناسر ومقانب ونصب
اخاه الامير نصر بن ناصر الدين في الميمنة في حماة القواد وحماة الافراد
وارسلان الجاذب في الميسرة في البهم الذكور والبزل الفحول وجعل
ابا عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي على المقدمة في مساعير العرب
احلاس الظهور وابناء الصوارم الذكور ورتب في القلب اعلى حاجب التونتاش

وسائر خواصه وغلمان داره رجال اذا اصطفوا فالجبال الشواهق
او زحفوا فالسيول الدوافق ونذر بهم عدو الله ملك الهند ففزع
من فالج الفزع الى من حوله من جبابرته واعيان جيوشه وناصرته
ولجا الى شعب جبل لجج المدخل خشن المتوغل صعب المرتقى والمتوقل
مستعصما بالاحجار عن البراز وبالاحتراس من وقع الباس وسد
مفغر الجبلين بفيلة لا يراها الراؤون هضابا نابتة وجبالا ثابتة
وبث النفير في اقطار مملكته يستنهض من يحمل حجرا فضلا
عمن يلقم القوس وترا او يحس بالسيف اثرا ومد في طول المطاولة
كي يلتقي بقوة وافية وعدة متوافية او يلجي اولياء الله الى الخلال
من فرط الملال والنفور من ضيق الصدور ولم يعلم ان الله من
وراء المؤمنين وان الله موهن كيد الكافرين ولما علم السلطان
من نيته في ارجاء القتال وتاخير النزال زحف الى عدو الله بقلوب
قد صقلها التوحيد ونشرها الوعد وانذر الوعيد ورماهم بالصيلم
من جبابرة الديلم والشياطين من الافغانية المطاعين
رجال كالاجمال مطوحة بالنفوس مزللة للاعين الشوس
او الليوث اخرجها الجوع واعيا بها الى اشبالها الرجوع ينفذون
في الاسداد نفوذ المثاقب في العيدان او البيارم في الحيطان

ويفرعون البواذخ كالوعول ويزلون عنها منحدر السيول وواصلهم
عليهم اياما تباعا يجذبهم بصدق البراز الى البراز جذب النار
للسليط والمقناطيس الحديد فلما فارقوا تلك المضايق
التقطهم الفرسان كما يلتقط الافراس بيادق ولم يزل هذه حالهم
حتى انضم الى اللعين اكثر من والاه ولباه معظم من دعاه وعند
احتشد للبروز مستندا الى الجبل ومن حوله الافيال كالفلك
فجد المصاع واحتدم القراع وحمي الوطيس واستوى المرؤوس والرئيس
وصار اللقاء كفاحا فمن آخذ بالتلابيب ومناقر كاليعاقيب
ومضارب ما بين الرؤوس الى العراقيب وكانت ا..شليت الفيلة للتهويل
والتفخيم والحطم بالاظلاف والخراطيم مطرتها سحائب الرانات
متلوية كالاراقم منسابة الى حدق العيون او ثغر الحلاقيم ورأى
الكافر موقع ابي عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي من الغناء وضراوته
بإسالة الدماء فانتحاه بالخشن من جملته شوكة واعظمهم
شكة حتى اثخنوه ضربا على الهام وحطما من خلف وقدام وهو
كالحرون ثابت لا يملك شرف مقامه ولا يحل دون الضراب بحسامه
متسمحا بالروح في نصرة الدين وطاعة رب العالمين وراى السلطان
انحاء الكفرة عليه فانتدب بكوكبة من خواصه لاستخلاصه فاستنقذوه

الى السلطان ممشوقا بالسيوف منقوطا بالاسنة كالحروف فأمر له
بفيل يستريح الى سعته عن الم الجراح بجوارحه فصار ملكا له يتميز
به من اعيان اهل عسكره ولم تزل الحرب على حالها حتى اهب الله ريح
النصر لاوليائه وادار دائرة السوء على اعدائه فاخذتهم سيوف
الحق تحسهم بين خلل صاد ومنعطف واد ومدخل ومغار ومعتسف
ومنار وملكت عليهم الفيلة التي اعدتها حصونا واقية فصارت
عليهم عبا فيه باقية وافاء الله على السلطان واوليائه غنائم ضاقت
الصدور عن رين الحسد لاشتراك الكافة في الغنى المقصود واستوائهم
في كفاية المرجو وفتح الله نارين فتحا طرز به شعار الاسلام
اذ لم يبلغه ايه الحق من لدن عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى زمان
السلطان يمين الدولة وامين الملة عزا كتب الله له على يديه وصنعا اتاح
له التوفيق والتيسير من عنده ووجد في بيت بد عظيم حجرا منقورا
دلت كتابته على انه مبني منذ اربعين الف سنة فقضى السلطان من
جهل القوم عجبا اذ كان اهل الشريعة الغراء والحق المنزل من السماء
على ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانا منها في الالف الاخير وذلك
ما تكذبت به الاخبار من امارات الساعة موجودة وبابصار العيون
وبصائر القلوب مشهودة واستفتى فيه اعيان العلماء فكل اجمع

عمر الدنيا سبعة آلاف سنة

على انكار ذلك المنقول وعلى تزييف مثلها من شهادات الصخور
وعاد السلطان وراءه بتلك الغنائم العظيمة وكاد عدد الارقاء
من العبيد والاماء يزيد على عدد الدهماء ورخصت قيم المماليك
فصار اصحاب المهن الخاملة فضلا عمن فوقهم من السوقة يعتقدون
عدة من تلك الرقة ذلك فضل الله الذي اعز به الدين
واذل الالحاد والملحدين والحمد لله رب العالمين

ذكر وقعة تانيشر

قد كان انهى الى السلطان يمين الدولة وامين الملة ان بناحية تانيشر
فيلة من جنس فيلة الصيلان الموصوفة في الحروب وان صاحبها
غال بها في الكفر والجحود وغير آل جهدا في الطغوى والعنود
وانه محتاج الى ذوقة من كاسه وحرقة من جمرات باسه ليعلم ان عز الاسلام
عام وان له من سطوة الله سهما كما لسائر اقيال الهند سهام
فعزم السلطان على غزوة اليه يرفع بها راية الاسلام وينسخ معها
ولاية الاصنام ويدع الكفر عليها مجبوب الغارب والسنام وسار في
اولياء الله الذين قد نشأوا على القراع نشأ الاطفال على الرضاع
ودرّوا بدماء الكفرة ضراوة الصقور ببغاث الاطيار وقطع الى المذكور
اودية لم يقطعها غير طائر او حيوان عابر وخرق سباسب لم يطاها

نعل باسر ولا نعل حافر وجيدهم في تلك القفار علالات الشفاه
وبلالات الافواه فضلا عن سائر الاقوات حتى صنع الله بان بدوا
منها الى فضاء يفضي الى الناحية المقصودة ودونه نهر صخاب ارضه
ظراب وصفاح كظبى السيوف حداد يلقى بشاطيه شعب جبل قد
استند اليه الكافر مستظهرا بفيوله ومتكثرا بافناء رجاله وخيوله
واحتال السلطان لقتال عسكره في مجاوزة النهر الى اعداء الله الكفرة
حتى عبروه من طريقين وشغلوهم بالباس من كلي الجانبين ولما جد
الكفاح بين الفريقين امر السلطان بحملة على الكفرة في مخاضات النهر
الهائل والماء الصخب السائل بين عجمهم عن طرف الساحل وتقحمهم اهدا ق
تلك الشعاب والمداخل واشتدت الحرب ضربا بالخناجر في الحناجر
وبالقواضب في المناكب واولياء الله في كل حال ظاهرون والكافرون هم
الصاغرون حتى اذا كاد يهزمهم شباب النهار حمل المسلمون من جميع
الجهات حملة اوجرت بهم لهوات تلك المخارم مضطرين فخلفوا الفيلة
التي كانوا بها معتزين وتبعها اولياء الله يردون الاعظم فالاعظم
منها الى الموقف السلطاني فلم يفتهم الا ما جد به في الهرب وضاق
به دون اقتناصه مجال الطلب وصب من دماء الاعلاج الارجاس
ما نجس به النهر الحاجز على طهارته وامتنع من الشرب على غزارته

ولولا ان الليل ستر اثرهم لاستلحم الخيل اكثرهم صنعا من الله
لدين بعث به رسوله المصطفى محمدا صلى الله عليه وعلى آله الذين
ارتضى له مظهرا له على الدين كله ولو كره المشركون فهو على الازدياد
الى يوم التناد وانصرف السلطان باولياء الله غانما موفورا
وظاهرا منصورا ومحمودا اذا سمه ماجورا وقد غنم ما يجل عن ذكره
انامل التحرير ويضيق عن اثباته ادراج الاضابير وتطاير به البشاير
في الآفاق وخفقت عليها اجنحة الغروب والاشراق والحمد لله رب العالمين
على عز الاسلام والمسلمين

ذكر الوزير ابي العباس الفضل بن احمد وما تمت اليه حاله الى ان مضى لسبيله

قد كان الوزير ابو العباس الفضل بن احمد من خاصة فايق الملقب
كان بعميد الدولة ومن كفاة بابه وثقات اصحابه وكان على البريد بمرو
ايام سالارية السلطان بنيسابور فنمي الى ناصر الدين سبكتكين خبر قوته
وامانته فكتب الى الرضي يستوهبه لوزارة السلطان وكفاية اعماله
وتدبير امور امواله ورجاله فاوجب اجابته الى التتمة وخوطب بالبدار
الى نيسابور على مقتضى مثاله فاعتمد السلطان للوزارة واستكفاه
مهمات الامارة بعد ان كان يرى مقام الشيخ الجليل شمس الكفاة ابي القاسم

احمد بن الحسن في الكفاية كتابة وحسابة واصالة وهداية وحماية
ودراية وجبانة اذ لم يكن على طراءة شبابه بنزاهة اغنى منه
غناء وامضى مضاء وازكى ذكاء وادهى دهاء غير ان الامير سبكتكين
جنى عليه في ابيه عند اعتماده لوزارة بست وتدبير اعماله واموالها
جناية سبق السيف فيها العذل لصغاء منه الى عداته فيما شققوه
فيه من وقيعة ولفقوه عليه من سعاية ووقيعة فاستوحش
منه استيحاش البري من فعله والمسيء نفوره والقلوب عن ذوي
الاساءة صور وكره السلطان الاستبداد على ابيه في انتصابه
حسب ارتضائه واستكفائه وفق المخبور من وفائه طاعة في الخفية
واتباعا الفلك رايه تحت مداره وقضى الله ان يكون ما يليه حتى تعترف
خراسان بانه عذيقها المرجب وجذيلها المحكك تتبع ما يفسد الغير
بالاستصلاح وتستدرك ما اجرضته ايدي الاجتياح وتداوي داء
حال بدوائه وترد غاير الماء الى حالته فاجرى الوزير ابو العباس
الامور مجاريها على جملة لم يعرف فيها غير الجباية والاستدرار وقصد
التوفير دون الاستثمار حتى جبى الاعظم سنين عدة اذ كانت خراسان
بعد مكسوعة باغبارها لم تنتزف منها دواعي اللبن ولم تنتزع عنها
كواسي السمن فلما احتلبها استنزافا واستنفد ما في ضرعها اسرافا

مثل

لوضع الطرا

ومن قبل ما قد حال بينها وبين خصب المرابع وبرد الموارد والمشارع
وصعب له ما على ظهورها من فضول دسم وسمحت بما وراء عظامها من
نقي مقتسم حتى صارت من فرط الهزال والعجف كالأهلة المحنية
بل الأخلة المبرية وتداعى بإخراب معظم الضياع ووقفت الفتى بين
القصور والانقطاع وتشرد في البلاد أكثر الأكرة والزراع فعندها
أخذ الجار بذنب الجار والتزم القار مؤونة الفار حتى تمت البلوى
وعمت الشكوى وشملت نوائب البؤس وذهبت حرائب النفوس
وصدمتهم سنة القحط بعقبها فصار الغني محسورا والمتوسط
مقفورا والفقير مقبورا وكان أمر الله قدرا مقدورا وبقيت
في رقاب خراسان من الأهوال على كل متعذر ومتكسر وثاو ومتحير
لو أذنبت عن آخر فقرة منها لم يف بعضها فضلا عما جمعته أقلام الاستيفاء
فأظهر السلطان ضجرا من تحير الأموال وتراجع الارتفاعات وطالب
الوزير منها بما اقتطعه وأتواه وضيعه وهو يرجع القول على سبيل
الدالة بين البراءة والإحالة فمهما عضه العتب بثقافه أظهر
الاستعفاء وجلب على نفسه البلاء واستلم النفس اختيارا وآثر
الحبس قرارا فتوسط الملأ بين السلطان وبينه على أن يجبر بعض
المتكسر من خاص ماله مما استفضله طول وزارته من مرافق أعماله

فأبى أن ينزل عن درهم إلا بعزله وحبسه إلى أن شاء من فلاغه صنيع
المتبرم بالعمل المتنغص بالأمل المستسلم للبلية المتحكك بالمنية واختار
عند ذلك السلطان الدهقان أبا إسحق محمد بن الحسن وهو إذ ذاك
رئيس بلخ لصحابة الديوان واستنظاف البقايا على العمال والسكان
وأنهضه إليها سنة إحدى وأربعمائة فانحدر إلى هراة وجبى من الأموال سنة ٤٠١
ما درت أخلافه ولانت على المس أعطافه ولم يلبث إلا يسيرا حتى
حمل عملا كثيرا والوزير أبو العباس بعد في صدر الوزارة والشيخ الجليل
أبو القسم يسعى بينه وبين السلطان على سبيل السفارة يروم انتصاحه
إياه في تسدده به مكانه ويستدل إلى غرض الاستقامة شأنه وهو
يأبى سوى اللجاج في إلقاء القول عن حدة المزاج حكما من الله عليه
لم يسع رده وقضاء سابقا أعيا العالمين صده وما زالت هذه حاله
لزوما للصدر على بابه فريضة القدر إلى أن ركب بنفسه القلعة
غزنة مستروحا بزعمه إلى الاعتقال عما تولاه ومتسمحا بجملة
ما حواه واقتناه فلم يسمع بمثله رجلا يشتهي الحبس اختيارا ويستقبل
صرف الزمان بدارا وغاظ السلطان ما أتاه فاستبذل له الخط بغرامة
ما جناه على أمواله ورعاياه فبذل خطه بمائة ألف دينار ثم لم يزل
يستدر إلى أن عرض حال الفاقة وعدم الطاقة ثم استحلفه

السلطان يحوق رأسه على طاهر أفلاسه وعلى أغلاق دهره إن وجد
على الطلب له مالاً مفرّقاً ومجمّعاً ومدفوناً ومستودعاً وبقي على جملة
تنتابه أوداءه مُعفى عن الإرهاق والتعنيف مصوناً عن التحامل
والتكليف إلا أن ظهر على ما ذكر له مال عند بعض التجار ببلخ وديعة
وأمر بوضع الدهق عليه لاستصفائه واستخراج ما وقاه بنفسه
وذمائه وما بقي من رمق جاهه ومائه واتفقت للسلطان غزوة حالت
بينه وبين مشاهدة حاله واستبراء ما يصدق أو يكذب من مقاله
والدهق يستمر به على الدوام وينال منه يوماً على يوم حتى أتاه أجله
وحاق به ما كان يستعجله فهلك في سنة اثنتين وأربعمائة ولما عاد سنة ٤٠٢
السلطان ورآه ساءه ما سمع فيه وهيهات أين فراق الحياة روح
مطموسة ونفس بين أطباق الثرى مرموسة كذلك من آثر المخلوق
على الخالق ولم يعتبر بالماضين في الزمن السابق وقد كان أدرك له ولد
في صدر وزارته يعرف بأبي القسم محمد بن الفضل فبرع على ميعة الشباب
في وجوه الفضائل والآداب حتى استطار ذكره واستطال قدره واستفاض
نظمه ونثره فمن شعره قوله في أبيه

لقد أدى أبو العباس جوداً على جود الربيع لمعتفيه
ففي إحدى يديه ممات قوم وفي الأخرى الحيوة لمرتجيه
لقد خضعت لك الدنيا ودانت فهل أم في سواه فتى يقيه
وأقبل نحوك الإقبال حتى غدا بصراً وأنت النور فيه
فنوّر فالفتى برور سعيداً رفيع الجد في عيش رفيه

وله أحجية

وذي حجبية قادت إلى القوم نصّة لينكحها من كان يعشقها قدما
فقام إليها واحد بعد واحد ولم ير ذنباً فعلهم لا ولا ذمّا

مثل وأدركته حرفة الأدب فاختطفته يد المنية أنضر ما كان عوداً وأثبته
عوداً وأبهره سعوداً وأحمده قياماً وقعوداً وحكى لي بعض
أصحابه أنه أصبح ذات يوم يروي بيتين تلقنه في المنام وهو

أرى الدنيا وزخرفها ككأس تدور على أناس من أناس
فلا يبقى على أحد كما لا يدوم بقاؤها في كف حاسي
سأحفظ عهده ما دمت حياً وحفظ العهد من كرم النحاس

ورثاه بعض أهل العصر

يا عين جودي بدمع ساجم على الفتى الحر أبي القسم
قد كاد أن يهدمني فقده لولا التسلي بأبي القسم

وسد الله مكان الماضين بأبي الحسن بن الفضل المعروف بالحجاج
بفضل ساطع نوره وعلم جامع سوره وحلم ثابت طوره وجود موكل

بأنثار آمال الأحرار صون، فتي السن في حصافة الكهول، أجبان الرأي
في شجاعة الشيوخ، أدهم اللباس في غرة النجابة، قدم الحياء
في ذلق الفصاحة، ندب لأعمال الجوزجان، فدرت على ابساس ولابنه،
ونقل إلى أعمال بست، فضاقت عن فضفاض كفايته، يصون الأعمال
صيانة عرضه عما يصمه، ويحيي الأموال إحياءه مآثر آبائه، ويميت
بدع الرسوم إماتته ذكر أعاديه.

تسمو الرجال بآباء وآونة … تسمو الرجال بأبناء وبلدان
كم من أب قد علا بابن ذرى شرف … كما علا برسول الله عدنان

ذكر وزارة الشيخ الجليل أبي القسم أحمد بن الحسن رحمه الله

قد كان الشيخ الجليل أبو القسم يلي ديوان الرسائل للسلطان أيام سالاريته
بخراسان، وهو الكريم نسبا، العظيم حسبا، العريق مجدا وحرية،
الوثيق رأيا وروية، يباهي عليه أقطار الأرض بفصاحة القلم،
وسماحة الشيم، ونفاسة الهمم، واحتقار الدينار والدرهم، ودرجة
وفاءه للسلطان على تصاريف الأحوال به إلى أن ولاه عرض
عساكره في أقطار مملكته، وزاد أعمال بست والرخج وما والاهما بأصولها
وارتفاعاتهما علاوة على ما ولاه، فقام بجميع ما تولاه قيام من وفقه
الله

وحدا عليه جوده بين بني الآمال من أطراف البلاد، فوسعهم جدواه، وعمهم
نداه، وكتبت لهم أمانا من الفقر يداه، فاتت مروته ما يومن بالمعجزة
الصادقة، الصادعة منها الآمر شاهدها عيانا، واستغنى عن دول
احصائه عليها سيرا وامتحانا، وكان الوزير أبو العباس لا يصدر
إلا عن رأيه، ولا يحتشم غيره في تصاريف زمانه، والخانه لفخامة
شأنه، وكانت المعونة من سلطانه، ووساطته بينهما في معظم
ما يوجبه دين حيثه وحيثه وبقيته وبدنه ونيابته وتقديره وتقريبه،
ولما وهب عليه قوة أمره، وانكسرت سورة جمره، واتفق للسلطان
أن يرحل نحو نارين في الغزوة التي تقدم ذكرها، استخلف الشيخ
الجليل على مهمات بابه، وأمداد صاحب الديوان فيما يليه وتجربة
بصواب رأيه، وبعثه على مواصلة الحمول عن فرط جده وغنائه، فهو
متسم بالوزارة غير متسم بها، إلى أن اتفق للسلطان استدعاء
صاحب الديوان في عمال خراسان لرفع الحسابات في تقرير المعاملات،
فنهض إليه كل نجس ورجس وخسيس شريف وشروف ومستعمل ومعزول
ونمير ونهول، قد اتخذوا الطمع والغمض حراما، ووضعوا الأرواح
على الراح توكلا واستسلاما، ووافق وصولهم ركضة عزمها السلطان
إلى الهند، فسبب عليهم لأذناب أهل عسكره ما رآه، ووكلهم باستخراجه

تقدم ذكرها في ١٥٤

في مدة يومين لابهام الركض وضيق رقعة الوقت فعصبوا عصب
السلم وسلخوا سلخ الغنم وأبيتوا على جمر الضرم ونكسوا على الهام
والقمم حتى اعتصر بها منهم عن تضاعيف اللحم والدم وعند ما صب
السلطان على الشيخ الجليل خلعة الوزارة وفوض اليه مهمات
الامارة وامر بمحاسبات العمال ومطالباتهم بما صار في ذممهم من الاموال
محكما في الحل والعقد مخيرا بين الاخذ والرد وسار السلطان
نحو مقصده واقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده من تهذيب الامور
ونظم المنثور وتوظيف الاموال وصرف العمال ورد صاحب الديوان
ابا اسحق على جملته الى خراسان مستوفيا عليهم ما بذممهم من حاصل
وباق وعتيق وناض وقعد في الدست كالبدر المنير والسيف الشهير
منفردا بالتدبير محتشدا لروعة الملك وهيبة السرير فلما اتفق
عود السلطان الى قرارة عزه وشاهد الامور في كنف وزارته
منظومة العقود مضبوطة الحدود والاموال وافرة الريوع حافلة
الضروع رسم له بان ينحدر الى خراسان مستنظفا ما وهى او وهن
صاحب الديوان في جبايته واستيفائه وقصر او قصر عن تبرضه
وامترائه فانحدر الى هراة وهيبته تاخذ النفوس بمخنقها
وتخلع القلوب عن معلقها ويكاد ينطق له كل مال مخزون

في نسخة ضبط الاموال

ويلفظ اليه كل درهم مدفون فجمع عن تسمح النفوس بما جمعته واستدرارها
عما منعته مالا لم يسمع بمثله محمولا من خراسان ذهبا واوراقا وعضبا
دقاقا وغلمانا رشاقا وافراسا عتاقا وتلافت الرقاع على صاحب الديوان
بما ناله من صنوف المنافع ووجوه المطامع فسامه السلطان تصحيحها تسبيبا
وحملا الى بيت المال قريبا واعتزل العمل ونزل عن كل ما حصل وفرغ من
بعد الى خاص املاكه وضياعه ومواشيه وكراعه وتجمله واثاثه حتى حلي
اناثه فحصل ما اعتقده منها على مال مصادرته وما جمع عليه من بقايا عمله
وكان الوزير ابو العباس قليل البضاعة في الصناعة لم يعن بها في سالف
الايام ولم يرض بنانه لخدمة الاقلام فانتقلت المخاطبات مدة ايامه
الى الفارسية حتى كسدت البيان وبارت بضاعة الاجادة والاحسان
واستوت درجات العجزة بالكفاة والتقى الفاضل والمفضول
على خطتي الموازاة فلما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل اسعد الله به
جدود الافاضل وورد بمكانه خدود الفضائل ورفع الوية الكتاب
وعمر افنية الاداب فحرم على اوشحة دواوينه ان يتنكبوا الفارسية
الا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه وعجزه عن فهم ما يتعرب به عليه
وطارت توقيعاته في البلاد وشوارد الامثال وابيات المعاني بين
القصائد الطوال ففي كل ناد نداء بالحانها وفي كل مشهد شهادة

باستحسانها فاما الشعر فقد نشر عليه ملحوده وسعد به جدوده
وفتنوا بالعذب الروا صيغه فاربابه كالعنادل تغريدا بمناقبه وتقاري
تسجيعا على الضرب الماذي من ضرائبه فهو بعدله في الناس غياث
ورحمة وبفضله تمال وعصمة وانفرد بتدبير العباد والبلاد بناء على
الاساس وحلبا على الابساس واخافة مع الايمان ومكافاة بالاساءة
والاحسان واسوا لجراح القلوب بمراهم الترغيب وانكارا بمعروف العمارة على
سابق التخريب واشارة على السلطان في امره ومملكته بما يفيده عاجل
التوفير واجل الثواب الغزير لا جرم انه استتبت الامور بعنايته
وانسدت الثغور على آرائه وكذلك من كان على نعلم ايراده واصداره
وعلى البصيرة ارتجاعه وعدانه

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وما ختم به اجله وانتصاب الامير فلك المعالي ابي منصور منوجهر منصبه ووراثته مملكته

قد كان ذلك الامير على ما خص به من المناقب والراي
البصير بالعواقب والمجد المنيف على النجم الثاقب مر السياسة
لا يستساغ كاسه ولا تومن مجال سطوته وباسه يقابل زلة
القدم باراقة الدم ولا يعرف في ادنى درجات العقوبة وان لم يقصد

مر وصعب [illegible] الخشونة

اليه مراده ولم يشترك في كسبه اعتقاده غير جرد الانتقام بحد الحسام
والتلفيق عن مركب الهام لا يذكر العفو عند الغضب ولا يعرف معنى
السوط والخشب ولا يرى الحبس الا ما بين الصفائح والترب وهلك
على خشونة هذا المس وصعوبة هذا البطش قوم من حاشيته لو
استبقاهم على خفة اجرامهم لكان اشبه بالجلالة واليق بالاصالة والعدالة
فما زالت هذه حاله حتى استوحشت النفوس منه وانقلبت القلوب
عنه وشحنت الصدور عليه ومالت الاهواء المائلة اليه اذ كان احد
لا يامن العثرة ولا يملك العصمة ومتى كان العقاب ملحقا بالخطا اليسير
صارت النفوس مجتاحة والارواح مستباحة والمرء من البشر لا من
ورق الشجر فهو اذا مات فقد فات وليس مما يعود بعدما عري العود واتفق
ان حاجبا له كان يعرف بحاجب نعيم وهو احد الكراكلة في جد وجار
عليم الغائلة والعاقبة سليم الناحية من بين افناء الحاشية وكان
اعتمده لضبط اسبابه وسياسته رفع عليه انه طمع في بعض رعايا ها
في مال او مال الى الانفلاج منه بمال فامر بقتله وتعليقه عن
خيط رقبته وهو يستغيث مفصحا ببراءة ساحته ونقاء جيبه وراحته
وقصوره ما سعي به عليه لو صح اسناده عن افاتة نفسه واراقة دمه
فزاد قتله في ايغار الصدور واضغان القلوب وتوامر عند ذلك

اعيان العسكر على خلعه ونزع الايدي عن طاعته وكفاية النفوس
شغلها بثقل وطاته وخشونة سياسته ووافق هذا التدبير منهم
غيبته عن جرجان الى المعسكر بخناشك استبدادا لهوائها عن لفح
الحرور عند طلوع الشعرى العبور فعمي عليه وجه الصورة وشذ
عنه علم تلك المشورة فلم يرعه ذات ليلة غير زحام العسكر بباب
القلعة التي اعتصم بها وانتهابهم امواله وافراسه وبغاله ومرامهم
قبضه واستنزاله فهم في وجوههم من كانوا نزولا بفنائه محامين
من ورائه حتى انقشعوا عنه صاغرين وولوا على اعقابهم داحرين
ومالوا الى جرجان فتملكوها عليه معلنين شعار العصيان لابسين عار الكفران
وبعثوا الى الامير ابي منصور منوجهر بن قابوس وهو بطبرستان يستحثونه
على الورود لعقد البيعة له وزفاف الملك اليه فطار اليهم بقوادم العقاب
استعظاما لما لحادث بابيه واكبارا لما انفذ من الحيلة فيه وطمعا
في تدارك الخطب وتلافيه فلما دنا منهم مضربه تواقفوا على طاعته ان
خلع اباه وابرز اليهم رداء الملك آن اباه فلم يجد في عاجل الحال غير المداراة
ضبطا لما انتشر وربا على ما استعر وصونا لبيضة الجنة من الانخراق
وابقاء على سر الفساد من الانبثاق واشفاقا على البيت من
الضياع وعلى الملك من التخطف والانتزاع ٭ وقد كان شمس المعالي

عصيان عسكر قابوس ومشاقتهم له وبيعتهم منوجهر

فلما سمع بنبا القوم واجتماع كلمتهم على الخلع عطف بمن استصحبه
ومعه من رجاله ومال الى ناحية بسطام ناظرا ما تسفر عنه عاقبة التحزب
وتنتهي اليه غاية التغلب والتوثب فلما تسامعوا بنبائه حملوا ا
لامير منوجهر على قصده وازعاجه عن مكانه او رده فسار معهم
اليه مضطرا ودافعا بالشر شرا كالجمل الآنف ان قيد انقاد
وان انيخ على صخرة استناخ فلما وصل الى ابيه اذن له دون من يليه
من اتباعه وحواشيه اذ قام دونه من خاصته رجال يرون الموت
شهدا دون جلاله والارواح وقفا على شكر احسانه فلما وصل اليه
كفر طاعة وخضوعا واسال اودية الشؤون دموعا وتشاكيا صورة
الحادث وتذاكرا حقي الموروث والوارث وعرض الامير منوجهر ان يكون
حجابا بينه وبين اعاديه وان ذهبت نفسه فيه ورأى شمس المعالي
قابوس ان العارض قضا لنا امره وختام عمره وانه احق بوراثة
ملكه وولايته للامر من بعده فسلم خاتم الملك اليه من يديه واستوصاه
الخير به ما دام في فسحة من امده وتواضعا على ان ينتقل هو الى
قلعة خناشك متفرغا للعبادة الى ان ياتيه يقينه فيسلم له نفسه
ودينه وان ينفرد الامير منوجهر بتدبير الملك قربا وتقريبا وتقديما
وتاخيرا وتقدمت اليه عهوده على هذه الجملة فانتقل الى القلعة المذكورة

مع مرضية يحمد منه ومعونة على ضروب مصلحته وعطف الامير منوجهر
الى جرجان فولى الصلة وضبط الامر واخذ بدا القوم ترغيبا
وتطميعا وتمنيهم الاحسان جميعا فانهم على جملة النفور خيفة الثبور
ما دام شمس المعالي في فسحة البقاء وزمرة الاحياء وما زالوا في
الاحتيال عليه حتى فرغوا عن امره وسلموا احمازعوا من عادية شره
ولم يرضوا به وهو في صوان الاموات حتى كشفوا اعرض حياه رداء رداه
فطابوا نفوسا حين عدموا شمس المعالي قابوس وواروه في مقبرة
كان ابتناها لنفسه بظاهر جرجان على سمت خراسان وغدا الناس
في مغناه كما قال مهلهل

نبئت ان النار بعدك اوقدت واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا في امر كل عظيمة لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا

وعقد الامير منوجهر المأتم ثلاثة ايام على رسم الجيل في حسر الرؤس
وضرب النفوس ورفض المنام وهجر الطعام ولما انقضى ايام المعزى
نسي المفقود واستونف على البيعة السرور

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

ولما سمع القادر بالله امير المؤمنين بخبر شمس المعالي واستيثار قضاء الله
به خاطب الامير منوجهر معزيا ومسليا ولقبه بفلك المعالي

قطع شجرة قابوس [illegible]

مشرقا ومجليا وعزم الله له على الصواب في اختياره والرشد في
ايثاره ففزع الى السلطان يمين الدولة وامين الملة معتصما بحبله معتصرا
بظله مستنصرا في متابعته مستغشيا رداء عنايته متلافيا
وهن المصاب بقوة اشباله ورعايته وانهض عدة من ثقات بابه
بمبار موفورة ونفايس مذخورة ورسايل على صدق الاخلاص
وصفوة الاعتقاد مقصورة فصادف بارجاه رغبة في موالاته وحرصا
على تقرير مرضاته وتردد السفراء بينهما على ربابة هذه الحال وتوكيد
عقدة الوصال واحتكم السلطان عليه في اقامة الخطبة له على
منابر ولايته امتحانا لمصدوقه عقده في موالاته وانهض اليه ابا محمد
الحسن بن مهران احد ثقاته بما لك اصحابه من نفايس خلعه وكراماته
فصادف منه قريبا مجيبا وسميعا مطيعا وامر باقامة الدعوة باسمه
على منابر جرجان وطبرستان وقومس والدامغان والتزم في السنة
خمسين الف دينار اتاوة وعلى عسكري الطاعة والاخلاص علاوة
واستدعى السلطان على تقية ذلك وقد عزم غزوة نارين انجاد
حشمه بطايفة من الجيل والديلم يحسنون حروب المضايق ويغنون
غناء الحماة البطارقة فسرب اليه الفي رجل من خلص الجيليين
ان رأوا الوعور فوعول او قصدوا السهول فسيول وقدام

بإناخة عليهم في أعطياتهم ونصب لهم من يقيم أود حاجاتهم
ويطلق مدّة الحاجة إلى غنائهم ولجبر أرزاقهم واستحقاقاتهم
ولما استحق على السلطان بآثاره في القربة مزيد الرتبة في مصلحته
في الطاعة قضاء الحاجة انتهض رئيس جرجان أبا سعد الشوكي
المقدّم فضلاً والأديب المحتشم حسباً ونسباً لاقتضاء مزيد الحال
بوصلة تقوم الكفاءة بخطبتها عنه والطاعة باستيجابها له
فنهض في خفارة الأدب بهديه وكفاية الرفق بما يذره ويأتيه ولم
يزل يأتي الأمر من بابه ويستطلع المراد من حجابه حتى أسمحت قرونة
السلطان لما استدعاه وأوجب الإسعاف لما توخاه ولما انكفأ
الفاضل أبو سعد ورآه بصورة الإيجاب وما صادفه من هزة المجد
للطلاب جشمه الأمير فلك المعالي معاودة الحضرة مع القاضي حجاز
وهو شيخ العلم وراوية الحديث ورضيع أخلاق التدرب والتجرب
لتنجز النجاح وتأريب عقدة النكاح فنهضا إلى حضرة السلطان
مقيمين رسم الخطبة وخاطبين ضم السدى إلى اللحمة فرأى السلطان
تحقيق مبذول العدة وعصية سلطان النفس طاعة لرب العزة
وفلذ للأمير فلك المعالي خلباً من كبده وسمح له بزهرة الأرض من
نجوم ولده وأي نجم كان فلك المعالي مداره لم تبعد داره إلى مدار

النجوم للأفلاك وأزواج الملكات للأملاك وجرى من الاستبشار
بانجاي النفوس والديار وصب النثار وصوب المبرة كالغيوث
الغزار ما أرّخ به كتاب الدهر ورسم بذكره سالفة العصر وعاد
الرسولان بدرك النجح الموقوت ولا السعدان يقترنان في الحوت
وعندها تخلّف للأمير فلك المعالي حرمة للقربى ونحلة يربي النجوى
ما لا يتبيّن من رآه على الخلاف في أصنافه وأغراب نقوشه وأفوافه
أن له همة إلى قمة الجوزاء مرفوعة ونية على صدق الولاء مطبوعة
ولم يبق أحد من أركان الدولة وحواشيها والراتعين حول مراعيها
لم يضرب بسهم من سهام اللطف ولم يشترك بالبر المعقود بالشرف
لا جرم أن السلطان رعى حرمة قرباه وجزاه عما سمحت به تمناه وأفرد
ولاه من قواد جيوشه وأفراد رجاله بخلع علمت أجانب الملوك
كيف شريطة الجود والسماحة بالموجود وتقضّي المجد بعفو الرأي
دون المجهود فأما صاحب درة الصدف وياقوتة الشرف فما
طال عهد الدهر بمثله مجموعاً في مكان محمولاً من خراسان ولا غرو فالشمس
تغني البدر نوراً والبحر يدع الخليج مسجوراً وقد كان الأمير فلك
المعالي بعد أن استتب له أمره واشتد بمظاهرة السلطان ظهره
دبّر على أعيان عسكره المشتركين في دم أبيه فصدع ذات بينهم

بوجوه الحيل وانواع العلل حتى ابان خضراءهم وسقى ظماء الارض
دماءهم واحس ابن خركاش وهو القريب العاق والنسيب المشاق
بالداهية الدهياء فانسل تاليهما بين سمع الارض وبصرها تاباه
الدعان والاباطح وتلفظه القيعان والصحاصح فتهاهما من جانب
القرار طلبته هامة الماضي بالثار فنام على وجهه ولا فقيد ثقيف
بين تشريق وتغريب وتصعيد وتصويب وكان احد من اثار ذلك
الشر على شمس المعالي على ما تشاهدت به الاخبار ابو القاسم الجعيدي
وكان صاحب جيشه وانحدر الى راس الحد كباز على قفاز بين حال
صيحة عليه وكل حسيس سهم اقواس جنبيه فانهاه فلك المعالي
زمانا حتى ظن ان له دون شؤون الاخرين شانا ثم القاه اطباه بتطميعه
وترغيبه حتى اعلقه حبالة الاقتناص وايسه من الطمع في الخلاص
وان لله حكما في امور عباده معلقا باجال معلومة وغايات محدودة
فليس قبلها مستقدم لما تاجل ولا بعدها مستاخر لما تعجل
فاحتال ابو القاسم حتى اجتذبه واعتسف البيد جانبا وما زال
على حاله واحتياله حتى هدا نفسه ونظر بعض الظن اثم ان
انقطاعه الى السلطان على تغلغل داخله ارتهانه بسالف فعله
معا تمهد في ذات البين من عقود وتاكد عهود واشترك فيه من

طارف وتليد وعجل عقال اثامه وكيف عنه ما حق عليه من باسه
وانتقامه كلا ان سوء الفعل خذول والقاتل لا محالة مقتول
وجنى ثمر الجنى بما ومض بالخلاص قبل ابانه واستيفاء مدة
النضج على حرانه انه ليوهم الفكاك ثم يعقب الهلاك كالدرة تطمع
الفارة في الخلاص حتى اذا كانت منها على غلوة الحقتها بعدوة
الاخرى ان السلطان لما انتهى اليه صورة حاله ومن قبل ما سمع بسوء
فعاله امر برده ورده في عقاله ولقد احسن ابن الرومي في مقاله

الخير مصنوع بصاحبه فمتى فعلت الخير اعقبكا
والشر مفعول بفاعله فمتى فعلت الشر اعطبكا

ذكر دارا بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير

قد كان دارا بن شمس المعالي بعد استيمانه من جانب ابي علي محمد بن
محمد بن سيمجور الى الامير الرضي نوح بن منصور مقيما على خدمته سهيما
في نعمته قسيما في جملته الى ان فتح الله على ابيه جرجان وطبرستان
فانحاز اليه مستغنيا بخدمته عن خدمة غيره وصادف من الاستبشار
والاقبال ما اقتضاه حكم الابوة والبنوة ثم حدث شمس المعالي
الى طبرستان فاقام بها سنة اذون مخالفيه وزمانا على اوليائه وقوا

لبز

واستنهضه منها على قرب قرية البيت اليه فأتاه وهو باستراباذ
يرتبه صحة اديمه واستواء حديثه وقديمه فاحسن استقباله
له وانزاله ثم دعاه في وقت ارتاب به فركب على قصد مجلسه ثم
عطف عطفة الليث الخادر نحو خراسان بين غياض تشكو الاراقم
بينها ضيق المجال والمضطرب بصعوبة المنساب والمنسرب
واستصحب من وافقه ووافقه من غلمانه واهل الثقة به فما ان عرف
شمس المعالي خبره واستركب لاقتصاصه عسكره ما قد طار به الركض
وحالت دون مناله الارض ولما شارف خراسان فرقت الامنة
عليه بجناحها الى ان ورد حضرة السلطان فتقبله احسن مقبول
ولقاه احسن مقول ومفعول وما زال يرفع به تنويلا وتخويلا وتفخيما
وتبجيلا حتى اغتره فضل الانبساط وعز الانتساب بما شاهده من قربته
وهدم رتبته فاستوحش من عارض الاعراض واشفق من
رهق التغير والانقباض فلاذ بظل الليل هربا وبات يطوي الارض
تقريبا وخببا وامر السلطان بطلبه واتباعه وجوه مهربه فلحق
حيث قامت الخيول تعبا ولم تجد السيوف عليه مضربا فمر هو على
وجهه ملتجيا الى النشار المعروف بالشاه لحال بينهما في اصفاء مودة
واصول ود بالوفاء مأثورة فلما استقر به المكان وخبر حاله

السلطان كتب اليه فاسترده وخوفه ان يأتي عليه ما بعده فاضطر
الى رده واسلامه عن يده وبقي في الحبس مدة يجاذب بؤسا وشدة
الى ان وجد فرصة الانفصال عن رق العقال ففاق فعقله من
حيث لم يطمع فيه احد ولم يكن يغني عنه لولا المقدور راي ولا جلد
وابت عليه فلجلجة المحنة ان يتم خلاصه او يستتب له مناصه
واعثرت عليه حتى اعيد في وثاقه وزيد في ارهاقه الى ان شرح الله
صدر السلطان لاطلاقه فانشأه نشأة ثانية وانبت ريشه قادمة
وخافية واعاد حاله بالاحسان حالية ويده على ايدي الاولياء عالية
ووجهه لولاية جرجان وطبرستان معضودا بابي الحرث ارسلان
الحاجب في ذوي النجدة فرحاة الرجال وكفاة الابطال لولا ان الامير
فلك المعالي منوجهر سبق بتمام الراي باظهار الطاعة وعرض ما ورا الى
الطاقة ولما حالت حرمة التقرب دون التحيز عليه استرده
السلطان الى الحضرة يجري مجرى اكابر الدولة واعيان العترة لا
يفارقه في حفلة ولا بذلة في خلوة ولا يقعد عنه في وقت ركوب
ولا ينفرد عنه دون كون وكوب الى ان ورد ابو الفوارس بن بهاء الدولة
حضرة السلطان منزعجا عن كرمان لقصد عسكر اخيه اياه مستظهرا
به على معاودة مملكته وارتجاع بيته ونعمته فجمعهم ليلة مجلس دارت

فيه الكؤوس وطابت النفوس وجرى حديث السلف والخلف وأعراق
من أعرق منهم في الشرف فنطق دارا بما لو سكت عنه لكان أشبه
بحق الخدمة وحكم الحشمة ووقف الجميع على رضاع العشرة وحمله
رمز الانكار عليه على قصد المادة وركوب المجاهرة حتى تأدى به الأمر
إلى أن عاجله عن مكانه وأشجاه بغصة المذل على سلطانه وأمر به
فغد فردا في العقال وحمل إلى بعض القلاع وقبض على ضياعه فأجريت
مجرى الحوزيات تستغل أسوة أمثالها إلى أن سأل الشيخ الوزير
في بابه فأمر بردها معونة له على مصلحة حاله ومؤونة اعتقاله وذلك
في المحرم سنة تسع وأربعمائة

ذكر مجد الدولة أبي طالب بن فخر الدولة

قد كان فخر الدولة كتب إلى أبي العباس تاش وهو بجرجان منحدرا
إليها عن خراسان على لسان الصاحب ببشرى بولادته وأجرى الله إياه
في الصنع له على كريم عادته وكان مما كتب وقد رزقني الله ولدا كنيته
أبا طالب تطلبا للسلامة في صحته وسميته رستم لأنه من أسماء نصابه
وأرومته فلما اخترمته المنية بايع الناس مجد الدولة إلا أن
التي قامت عنه كانت أختا للأصفهبذ بن فهم وسائر مملكة الجبل
وهي في منعة من أهلها وعزة من جانب أرضها فتملكت على الديلم

واستأثرت

واستأثرت بالأمر والنهي والحل والعقد وجرت بينه وبينها مناوشات
تأدت بها إلى استنهاض بدر بن حسنويه وامتلاكه الري عليه
وجرت بينهم مهاوجات أفضت بالديلم أولا وبأهل الري ثانيا
إلى بؤس وفاقة ودماء مهراقة وفتن ليس لها فواق عن إفاقة
وعن كل قريب يعود الخلاف جذعا وحبل الصلاح منقطعا فتنتج
عنه إباحة الرجال واستباحة الأموال وشرود الصلحاء في البلاد
وقراءة السفهاء بالإفساد ولما غرض مجد الدولة بالأمر وبما انقدح
على الدوام من شرر الشر آثر البر في الاعتزال عن سمة الإمارة وحمله
الاعتراف لها بالطاعة على ترك العقوق المفضي بمن تحت ولايته وراء بيته
إلى خطة الاختلال المشفي بهم على خطة الاجتياح والاستهلاك
فلزم البيت منفردا بالكتب والدفاتر ومبيضا وجه الفضل بسواد
المحابر وانفرد أخوه شمس الدولة بولاية همذان وقرميسين
وما والاهما إلى حدود بغداذ وورث بدر بن حسنويه أموالا عظيمة طال
ما حفظتها صدور القلاع مكنوفة وخنقتها خيوط الأكياس
مخنوقة فلم يلبث إلا قليلا حتى استغرقتها صلات الرجال
واستنفدتها حقوق الآمال شيمة له في التحقق بالفضل
والتخرق في البذل وقد كان ابن فولاذ نجم في دولة آل بويه أمره

وارتفع قدره وانتشر صيته وذكره والتفت عليه صناديد الديلم
ومشاهير الاكراد والعرب فسأل مجد الدولة والقائمة بالتدبير
ان ينزلا عن قزوين طعمة له ومزعة لينفرد بولايتها وجبايتها
ركنا من اركان دولتهما وظهرا من ظهور حوزتهما يذب عنهما بسيفه
وسنانه متى دهمهما خطب او دخن عليهما حطب رطب وضنا
بها لضيق رقعة الملك ونكود درة الدخل وادليا اليه بظاهر العذر
فقصد اطراف الري على وجه العصبية يفسد ويغير ويقطع دون
اهلها سبل الميرة وملك عليهما كثيرا مما يلي جانبه من قرى وضياع وريع
وارتفاع الى ان استعانا بالاصفهبذ المقيم بفرهم فاتاهما في رجراجة
فخمة من الجيلية الى البأس والحمية فتناوشوا القراع وصدقوا
المصاع وجرت بينهما دفعات ملاحم استلحمت كثيرا من الفريقين
واصاب ابن فولاذ في ساقه نشابة اثخنته فولى فيمن تبعه على
سمت الدامغان حتى ألم بها فرم الرث وعالج المرتث وكتب الى
فلك المعالي منوجهر يستمده على عسكر الري على ان يقيم له الخطبة
ويظهر الطاعة ويلتزم الاتاوة فامده بالفي رجل يوزن احاكهم
بالآلاف وافرادهم باضعاف يرون الشرف فرضا لمن كان تحت المشرفيات
والنزر بحقا على من حاد عن اليثربيات ووصل جناحهم بمال

قضى به حق انقطاعه اليه واعتماده عن ظهر الثقة عليه ونهض
نحو الري حتى اناخ بظاهرها واعاد الاغارة ومنع المائرة والمارة
وغادر الديلم بها في ضنك البلاء وضيقة اللأواء حتى اضطر
مجد الدولة ومن وليت التدبير الى ايثاره باصفهان فعقد له عليها وخلى
بينه وبينها استمالة لقلبه واستعاذة من شره فطرت عند ذلك
نعرة الخلاف عن راسه ورحلت وحرة العناد من صدره واقبل يروض
عسكره على شأو وسداد ويغل ايديهم دون امتدادها الى الفساد وصرف
عسكر الامير منوجهر وراءهم بذكر صلاح حاله واستغنائه عن رجاله وعطف
الى اصفهان خاطبا لمجد الدولة على منابرها وذلك في سنة سبع واربعمائة
وكان نصر بن الحسن بن فيروزان قد انقطع الى السلطان يمين الدولة وامين الملة
واقام على خدمته الى ان جعل ناحية ساروجومند برسمه فنهض اليها
واقام بها يستغلها ويتوفر عليه دخلها الى ان دعاه مجد الدولة من
الري فاعتسف السبيل اليها اشفاقا من عسكر شمس المعالي قابوس
وشمكير ومكايده وعيون رباياه ومراصده فلما وصل اليها عرف
له حق قرابته وقوبل بما اقتضاه حكم لحمته واستجابته فبقي هناك
سنين مرجوعا اليه في الراي والتدبير وموثوقا به في التقديم والتأخير
الى ان عثر منه على ممالاة لبعض المخالفين فقبض عليه وحبس في قلعة

اسفونا وند وما زال بها محصورا او في مخلب الامتحان مأسورا حتى عفي
عما جناه ورد ثانيا الى ما تولاه ووافق ما به خلع الديلم لجام الهيبة
لعدم السياسة وانفراد مجد الدولة في بيته بالدراسة وتبسط الديلم
فيما شاؤوا من غصب وقطع ونهب وكبس ونقب لا يرتدع منهم الا من
اشعره الله المخافة واودع صدره الرحمة والرافة فانتدب نصر بن الحسن
لقمع اولئك الضلال واجتاح منهم فريقا واوسع آخرين تمزيقا وتفريقا
فلما رأى القوم ما دهاهم في اضرابهم من حصده واستيصاله تجمعوا على
قصده وقتاله واحاطوا بداره فدافعهم بخاصته مليا ثم انثنى عنهم
منهزما وغادر ملكه في الدار منهوبا مغتنما وما زال يضطرب في محنته
الى آخر مدته

ذكر بهاء الدولة
وما افضى اليه امره

فقد كان بهاء الدولة بعد ان فتح الله على السلطان سجستان راغبا في
موالاته راعيا المصافاة مؤثرا المكاتبة حريصا على مقاربته بحكم الجوار
الواقع بين الدولتين والصقب الحادث بين المملكتين ووافق ذلك
من السلطان رغبة في مثله من جهته لشرفه بنفسه وسلفه ولما حيز
لهم من الكفاءة في الملك والملاءة في سعة الملك سفر بينهما السفراء
على الحام سدى القربة واحصاد قوى المودة حتى خلصت القلوب

ونقيت الجيوب وتأكدت العهود وتأكدت العقود وعندها احب
السلطان ان يجعل المصافاة مجاهرة والموالاة مصاهرة فانهض
القاضي ابا عمر البسطامي شيخ الحديث بنيسابور الى فارس
النبيه فضلا الوجيه محلا نحو الامام علما وتحقيقا والحسام لسانا
فصيحا ورايا وثيقا وصاحب فخر اجلال بهاء الدولة واكرامه واظهار
التلطف عليه في مرامه ما اقتضته جلالة من اصدره وسعة
المقدرة له في حل ما قدره واقام عليه منقولا من مجلس الايجاب الى منتوشد
الاكرام ومن حجر الاشبال الى عاتق الاكبار غير ان بعيد طلوعه
وافق منه علة احدثها سوء المزاج بين الف الراحة والراح فاعياه تجرع
المراد على العارض العائق وقد كان فخر الملك مقيما ببغداد وهو
الوزير والنصير ومن اليه الرأي والتدبير فجشم القاضي الى ما قبله
ليتفاوضا فيما يوجب صرف الرأي اليه وتأريب العقد عليه فاتفق
مع وصوله استيفاء قضاء الله ببهاء الدولة وانتقال روحه الى جوار
ربه وبايع الناس ولده ابا شجاع ولقبه القادر بالله امير المؤمنين
بسلطان الدولة فاستتب له طرق الامر واعتدل عليه عمود الملك
وجرى له الطير بالاقبال وحسن الفال ولما عاد القاضي الى ما قبله لم يملك
من ذاته جوابا يغنيه وحوارا يشفيه اذ كان دونه رسولا الى ابيه

فصرفه محملاً من مشاكلته في وراثة الود والوفاء بسالف العهد
واشترى الخلوص بقاصية الجهد ما اقتضاه حكم الابتداء بغرس
الوداد واستثمار الوفاء على ظهر البعاد وقد كان الامير ابو الفوارس
اخو الامير سلطان الدولة مقيماً بكرمان فشجر بينهما اختلاف اقتضى
سلطان الدولة تجريد الجيوش لقصده واستصفاء تلك النواحي
واستخلاصها من يده فنهض هو لمقاومتهم وكف عاديتهم واوقدوا
بينهم حرباً افنت الرجال اكلاً وشرباً واجاحت الارواح طعناً
وضرباً واستمرت الكشفة باتباع الامير ابي الفوارس فانقلبوا منهزمين
واقبل هو نحو سجستان يؤم حضرة السلطان يمين الدولة وامين الملة ممتطياً
رجاءه ومستنهضاً كرمه لرده وراءه وقد كان انهى الى السلطان
خبر اقباله فأمر ابا منصور نصر بن اسحق النائب عن الامير ابي المظفر نصر بن
ناصر الدين سبكتكين بخدمة استقباله وتخلف الواجب من انزاله وانزال
من معه من طبقات رجاله ونثر عشرة آلاف دينار له من خالص
ماله فبلغ من ذلك مبلغاً شهد من كان شاهداً بسجستان من قرانها
وظرائها ان احداً من ملوك هذه الاقاليم لم يتكلف مثله لاحد من
اولاد الملوك ولم يخل ان مثله يسمح به تيار البحور فكيف اقطار
الصدور واكتسب ابو منصور بذلك لنفسه ذكراً عقد بالنجم

نصفين وافاض على الشرق بعضه وعلى الغرب سائره ولما وصل
الى الحضرة السلطانية اوجب قضاء حق مقدمه بالاستقبال وتلقي عظيم
خطره بالاجلال وحمل اليه من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
وكل ما ينتمي الى قبيل الاكرام وما وقع عند الخاص والعام موقع الاستعظام
ما خلا الهمة التي ترى الدنيا خارجة عن ملكها شعرة من ابشارها
وصوفة من اوبارها وغرفة من بحارها بل قطرة من امطارها واقام عليه
قرابة ثلثة اشهر ضيفاً لا يتميز عن الادنين ارتياحاً وبهجة وانساً
وقربة حتى اذا نشط للانصراف والتمس معونته على عارض الخلاف
ارتاح السلطان له استدعاه فاعطاه فوق رضاه اموالاً احفت
اقلام الكتاب واوهنت انامل الحساب وانهض في صحبته ونصرته ابا سعد
عبد الرحمن بن محمد الطائي احد مشايخ بابه وافاضل كتابه في رجال
قد تعودوا النصر منذ خدموا رايته فلم يعرفوا وجهاً للانقلاب
الا بالانفال على الاكفال

شعر

تحملت صهوة اخرى شواكلها من طول ما حملت سبياً على الكفل

وتوجه الامير ابو الفوارس فيهم وفي سائر خاصته نحو كرمان
فجلا عنها من كان ولي عليها علماً بعجزه عن المقاومة واستصلاحه
ان تعرض للمحاكمة فملك تلك النواحي مملكة اباهما من قبل

واقام بها ابو سعيد الى ان فرقت تلك الامور ودرت بالجبايات الشطور
ثم كره ورآه بمن كانوا ابن سيمه وتحت قيادته واتت على ذلك مدة من
الزمان تمنع حشمة السلطان وحرمة الناهضين من اتباع رايته
في امره وسمه بعين عنايته ان يقصد بما يوهم خلافا عليه حتى اذا عاود
تلك الجيوش غزنة وانفرد الامير ابو الفوارس بالنظر وارتاش
بعد التحير بسبب سلطان الدولة عسكرا ثانيا لمواقعته واستخلاص
تلك المملكة عن يده وتلاقيا على حرب اشابت القرون تحيتهما لظى حرب
الصفاح في مخارج الطلى وحوبما نشبا الرماح على موارد الكلى
حتى تشقرت الارض من صبيب الاوراد وتمغرت من رشاش الاكباد
وعندها زلت قدم الامير ابي الفوارس فولى كسيرا لا يعرف
قبيلا ولا دبيرا وانتهى به الركض الى همدان حضرة شمس الدولة بن
مجد الدولة فقضى فيه حق القرابة اعظم ما يقدره واهتماما بامره
واغتناما لشكره واستعدادا لنصره واقام مديدة على هذه الجملة
حتى استشعر او اشعر انه مغرور ومقصود والى الامير سلطان
الدولة مردود فنفر نفار الايم من ضربة القاتل والوحش من كفة
الحابل وفارق مظنته قاصدا قصد بغداد وسنشرح ان شاء الله
من بعد حاله وما انتهى اليه امره مما كان عليه اوله

حرب

ذكر ايلك الخان
وما انتهت اليه حاله

قد كان ايلك الخان بعد الكشفة التي اجهمت عليه بباب بلخ وركب
ظهر جيحون في عاوده وراءه يضطرب على نفسه غيظا مما دهاه
واسفا على ما اعياه وما زال يعاتب طغانخان اخاه ويستنصر
قدرخان على ما اوهن من قواه وفوت مراده ومغزاه والقدر له معاند
والزمان مناكر ومناكد حتى طرحه الحمد على فراشه وفجعه غر قليل
بطيب حيوته فاشبعه التراب بعد ان جوعه الحرص والاضطراب
همة كانت معلقة بالاثير محلقة على فلك التدوير غير ان يد القدر
فوق يد التقدير وما يصنع المرء بالجد اذا وافق الجد سافلة
البير

فمنه رحى تجري بها اليم ماؤها وليس لها قطب بما اذا ادير بها
وقد تنهض العصفور كثرة ريشه وتسقط اذ لا ريش فيها نسورها

وكانت وفاته في سنة ثلث واربعمائة وولي مكانه اخوه طغان السلطان يمين
الدولة وامين الملة ووالاه وهاداه وهاداه متنلا فيا بن عمه لما
اخل به اخوه متردد امن حيث ركب الخلاف ذووه وجاشت من
جانب الصين جيوش لقصد طغانخان وبلاد الاسلام من ديار الترك

موت ايلك خان في سنة ٤٠٣
وولاية اخيه
طغانخان

عسكر الصين

وسائر ما وراء النهر يزيد عددهم على مائة الف خرگاه لم يعهد للاسلام
مثلها على صعيد واحد يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم
بغياً طالما صرع أهله وأوردهم حمائم بوار الهدى محله فاستنفر
من خطط الاسلام حتى اجتمع اليه من رجال الترك واحرار الغزاة
والمطوعة قرابة مائة الف رجل واستكت أسماع المسلمين من
فظاعة ذلك النداء الهائل وانباء الهائل فارتاعت له القلوب
وارتاعت النفوس وتناصرت الادعية والذكر وسار طغاخان

مسير طغاخان

مستقبلا من اقبل اليه من جموع الكفرة الفجرة بنيات مقصورة
على الاستقتال واستعجال الآجال او ينزل الله نصره ويظهر
حزبه تحقيقا لما وعدهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
حيث يقول وقوله الحق إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة
الدنيا والتقوا اياما تباعا على ملاحم لم يدر من فتق العروق
وضرب الحلوق وستر الخيول على الخيول أصوب انواء ام صب
دماء ولمع بروق او وقع سيوف وظلمة ليال ام رهج نزال وفي خلال
ذلك يتولى الله عباده بالايد المتين وطلوع النجح المشرق الجبين
والنصر والتمكين حتى توثقوا بالصنع المستبين وتلاقوا بيوم
منصوص عليه على فيصل الحرب فشد بهرام نطاقه وادار على

العزم
شد بهرام نطاقه

بر اعداء الله

الفريقين دهاقه فاما اعداء الله فبكروا باكرا استوجبوا به
الخلود بالخلود في البوائك فصبت عليهم من لدن جبين الشمس
الى أن ذكت سراجا وهاجا وكانت تصير على قمم الرؤوس تاجا

أولياء الله

فاما اولياء الله فانتشوا نشوة طربوا معها للضرب فوق الهام
والعبث بطلائع الحمام لا جرم ان الله حماهم ونصرهم وآواهم
واظفرهم فغادروا من جماهير الكفرة قرابة مائة الف عنيز صرعى على
وجه البسيطة عن نفوس مفقودة ورؤوس منبوذة وايد عن

عدد الغنيمة
عدد القتلى

السواعد مجذوذة نقرى للضباع بل جفلى للسباع والوحوش
الجياع وافاء الله على المسلمين مائة الف رأس غلمانا كالبدور واللؤلؤ
المنثور وجواري كالحور العين والبيض المكنون في سوائم غصت بها
اقطار البيداء وضاقت عنها اطراف الدهناء وشرد الباقون
وراءهم تتلقاهم السيوف تشل الأنعام وتختطف ارواحهم بايدي
الحمام وتطايرت به البشارات في ديار الاسلام فنضرت لها الوجوه
وضحكت القلوب وعم السرور وتوفر الشكور وتباشرت الدور حتى
القصور والخدور لطف من الله تعالى لدين ارتضاه ووعد أن
يصله بيد التأييد قواه ولم ينشب طغاخان بعد أن فرغ من هذه الحرب
العظيم بأسها الشديد مراسها أن استأثر الله به فنقله الى جوار

انتقال طغاخان
الى رحمة الله

وبوّأه مبوّأ الصدّيقين من دار قراره ختماً له بالشهادة وحتماً
عليه بالسعادة وورث مكانه أخوه صنوه في النقيبة وتلوه في
الأمور الالهية ثبت القدم في دين الاسلام لا تعرف له جاهلية ولا تنقم
منه عنجهية ولا عجرفية يقيم الصلوات جماعة ويفترض العدل
سمعاً لله وطاعة وعمر الحال التي كانت بين طغان أخيه وبين السلطان
يمين الدولة وأمين الملة أظهر المصافاة واستشعر المواخاة وآثر
الاشتراك على تصاريف الحالات وخطب السلطان إليه وإلى أخيه ايلك
كريمة له على ولده الأمير الجليل أبي سعد مسعود بن السلطان يمين الدولة وأمين
الملة فأحسنا الإجابة واغتنما القرابة وتردد السفراء بينهما في تلك
مدة على جملة التهادي ورضا الحال باقتسام الأيادي إلى أن حققت الحقيقة
وتمت العقدة والوثيقة وانهض السلطان من أخصائهم من ثقات بابه
لنقل الكريمة اليتيمة فجهزت وديعة تشاح عليها ملكان هذا صدر
الملك وذاك ملك الترك تختص بها الشبل بن الليث والوبل بن الغيث
والتيه بن البحر والصباح بن الفجر الأمير الجليل أبو سعد مسعود بن محمود
ونقلت إلى الحضرة ببلخ وقد صحبهما من فقهاء تلك الدولة وأعيان
رجالها من عدّ من أئمة المشرق والمنطق فأدّوا أمانتي اليد واللسان
على أحمد الحال بين الجنبتين ورفضت الحشمة في ذات البين

ورث صنوه لممالك أخيه

وأما السلطان أهل بلخ فقبيل الوصول بعقد الآذين وتكلف التنجيد
والتزيين فبلغوا من ذلك مبلغاً لم يبق فيه من الوسع مذخور ولا من
الرسم مذكور ومسطور ورأى السلطان بعد ذلك أن يرفع من قدره فعقد
له على هراة سرة مملكته ونواحيها وسيّره إليها بعد أن وصله بمال
عظيم يعدّه ذخيرة ويوسعه تجملاً وزينة فنهض إليها رشيد السيرة
حميد السريرة عادل الطريقة فاضل الخليقة خليقاً بالملك على
الحقيقة وذلك في سنة ثمان وأربعمائة

ذكر الأمير أبي أحمد محمد بن السلطان يمين الدولة وأمين الملة

جملة ما يمكن الافصاح به والايضاح عنه من حاله وذكر خصاله قول
القائل شعر

إن السري إذا سرى فبنفسه … وابن السري إذا سرى أسراهما

قد جمع الله له من الميل إلى خصائص
الأدب والسعي لمعالي الرتب ما دل على أنه ابن أبيه شرفاً سمقت على
النجوم شرفاته وكرماً تعرفت لأهل الفضائل غرفاته خرج من حضن
الكفالة خروج الابريز من جمرات السبائك والهلال من تحت الشعاع
المتشابك لم يعرف له طول أيام الإيفاع غير الارتفاع إلى اليفاع تصرفاً
على كرم الطباع وتقييداً للمأثور بالسماع وبدلاً لما لفظته يد الطباع

وارتياضاً بآداب الثقافة والمصلح حتى اذا نزع يداه برد احداثه
ولبس خداه طوق الشهامة ورأى السلطان ان يوفيه حق البنوة
ويوتيه شرط المروة ويجذب بضبعه الى حيث اقتضته الفراسة
فيه واستدعته العناية والرعاية له فزوجه كريمة الامير ابي نصر الفريغوني
والي الجوزجان وهي التي تجمع الى الاصالة جلالة والى الكفاية كفاءة
والى النبه همة وعقد له على اعمال الجوزجان كما عقد للامير الجليل
ابي سعيد مسعود على هراة وهي التي وليها آل فريغون وهم الذين حلوا
في العز افريذون وفي الهمة المنجنون وفي الغزارة والسماحة جيحون
وولّى ابا محمد الحسن بن مهران كفاية اموره وولاية تدابيره فبرز اليها بروز
السيف فرندا الصاقل وهمى على اهلها همي السحاب الهاطل واحياهم
بندى العدل الشامل وعدل في العطف عليهم بين الايامى والارامل
فعلقته قلوب الخاص والعام وكفته النفوس مؤونة الاستخدام
ولما رأى السلطان حميد اثره ورشيد مخبره ازداد شغفا بآثاره
وحرصا على اصطناعه وايثاره فلم يخل من جديد انعام ومزيد حفاوة
واكرام وسيأتي بيان خبر الاخوين في موضعه من بعد باذن الله وتوفيقه

ذكر التاهرتي الرسول الوارد من مصر

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة منذ شحذ الله عزيمته لغزوات
الهند مجيبا لسنة ابيه ومقتفيا نهج آثاره ومساعيه باحثا
على طريق النظر وسبيل الجدال عن سنن الاسلام والبدع المعترضة
عليها في سالف الايام استبصارا منه في الدين واستظهارا على
قمع الملحدين فقرأ الكثير وسمع التأويل وتتبع القياس والدليل
وعرف الناسخ والمنسوخ وخبر الصحيح والموضوع وتلقن من اصول
الدين ما لم يستجز معه في الدين بدعة ورأى كلما خالف ظاهره نكرا وشنعة
وألقي اليه ان في عمار الرعايا بخراسان اقواما ينتحلون مذاهب
الباطن المنسوب الى صاحب مصر ظاهرها الرفض وباطنها الكفر المحض
بتاويلات موضوعة تؤدي الى رفع قواعد الدين ودفع معاقد الحق
اليقين وابطال معالم الشرع وتتبع احكام الله بالرفض والنقض
فامر بوضع العيون عليهم والصاق الطلب بهم وعثر على رجل كان سفيرا
بين المذكور وبين اوليائه والملبين لندائه يعرف القوم بسيماهم واسمائهم
فنص على عصابة منهم مختلفي البلدان والاوطان اشخصوا الى الباب
ورجموا تحت الصلب بالاحجار ولم يزل يفعل مثل ذلك باضرابهم ومن
كان يخرج له ذكر بالقفاء بهم حتى التقطتهم مجرة الرجم والرض عن
بساط الارض وقد كان الاستاذ ابو بكر بن اسحق بن محمشاذ زعيم

اصحب لابي عبد الله ابن كرام غزير الفضل كبير المحل مذكورا بالديانة
الوافرة والامانة البادية واليقظة على الفرق الغالية والبدع
الجافية فوافق رأيي السلطان على اجتياح من ركب بنيات الطريق
وعدم في العدول عن سبيل مخارف النعم مساعدة التوفيق ونبهه
على عدة زعموا انهم ضلال ولهم في فضول القول وهذر المحال مجال
فسلكوا في اصفاد للآخرين ونصبوا عبرة للناظرين وازداد ابو بكر
فيما تقرب به من ظاهر المحاماة على دين الله والمراماة دون حق الله
وتطهير بيضة الاسلام عن كل ذي ريبة بعيدة او قريبة حشمة
اطمعت فيها الرجال وامالت اليه الآمال وابة حشمة وضع الله عليها
طابع الدين فهي بجوار النجم علو مكان وسمو شان وكفاك بها فخامة
ما ورد في الخبر المروي ان الله تعالى قال للدنيا من خدمني فاخدميه
ومن خدمك فاتعبيه او فاستخدميه واتفق بعقب ذلك ان طلع رجل
من ديار العراق ينتسب الى الشجرة العلوية يذكر انه رسول صاحب مصر
الى السلطان بكتاب حمله وبر تزوده فورد نيسابور مدلا بسبب
النسب ومدليا بصلف الشرف فاستوقف الى ان انهي الى السلطان
خبره ووكل الى ما يبدو من مثاله صدوره ونهض من بعد ذلك الى هراة
ممتدا الى الحضرة فامر برده الى نيسابور لتقرير ما حمله على رؤس

مداعبة لطيفة للباطنية

الاشهاد ويرى ولي ومسمع من كل حاضر وباد صيانة لخاص مجلسه
عما عسى ان يضاف اليه من احالة وستر تحت رسالة فلما ورد التاهرتي
وفتش عما صحبه عثر على تصانيف الباطنية واغاليط في الشريعة
الحنيفية اصح منها في الاسلام خباط المجانين ووسواس المبرسمين
لا توخذ في محصول ولا توجد في معقول ومنقول وناظره الاستاذ ابو بكر
على امور من جهته مهملة تفاوتت فيها الفاظه فلم يوجد له على
الامتحان ثبات ولا الى وجه التحقيق وجانب التمييز التفات وما زال
يضرب اخماسا لاسداس الى ان تبين له انه قد اخطأ في تحمل
تلك الرسالة وحرم التوفيق في تقلد تلك السفارة وقضى الله ان
اشخص الى الحضرة السلطانية فلما وردها استحضر مجلس حفلة قد
غص باعيان الاسلام وسادتها وكبرائها وقضاتها وفقهائها
وغزاتها وزعمائها وهناك الحسن بن طاهر بن مسلم العلوي ومن
قصته ان جده مسلما لم يكن في الطالبية من اولاد الحسن الاصغر
رضي الله عنهم بناحية مصر اوجه وانبه منه ولا اغنى واقنى منه
فلما استقر معد ابو تميم المعز بمصر خطب اليه بعض بناته على
ولده ابي منصور الملقب بالعزيز وسبب ذلك على ما قيل انه وجد في
داره رقعة فيها

قصة حسن العلوي مع المعز الفاطمي

ان كنت من آل ابى طالب فاخطب الى بعض بنى طاهر

فان ذاك القوم كفو لهم فى باطن الامر وفى الظاهر

فأم من سفه خوزية يغض منها البطر بالآخر

فنسبهم الشاعر الى امهم الخوزية بالعسكر لان كورها خوزستان
وهى ام محمد بن عبد الله بن ميمون فاعتل مسلم عليه بان لا واحدة
من بناته الا وهى فى حبالة وتحت عقدة تفاديا من اجابته وتحرجا
من مصاهرته فلما عرف امتناعه ذهابا بنفسه عنه وترفعا
بنسبه دونه وضع عليه يد الاستقصاء بعد ان اودعه الحبس
بنيز وخبطه خبط العصا ودق السلم والبسه عن فضفاض
الغنى غلالة العدم وهلك من بعد على بن فقال قوم غيبت
عن مجلسه فما يدرى كيف صار امره واين جعل قبره وزعم آخرون
انه هرب من الحبس على طريق الحجة فاحتضر فى الطريق وعند ذلك
نجا طاهر والد الحسن المذكور الى المدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
منتابا على اهلها ومعه ابن عم له يعرف بابى على بن طاهر ختنه
فلما مضى لسبيله ورث ابو على مكانه من الامارة الى ان لحق به
وورثه ولداه هانى ومهنى دون الحسن لاستضعافهما اياه وتقويهما
بالجاه والمال عليه فرحل هو نحو خراسان ملتجئا الى السلطان

يمين الدولة وامين الملة فى سنة ثلث وتسعين وثلثمائة فلما ورد الناهرتى سنة ٣٩٣
بزعمه رسولا صغر الشريف الحسن شانه ووضع فيه لسانه وابى ان
يكون له نبات على دوحة الرسالة وانتساب الى شجرة النبوة وادعى
عليه فساد الدين واستخفافه ضرب الوثنيين فخلى السلطان بينه
وبين ما يستحقه لنفسه ودينه فيه فقام الحيد بضربة غرقته
فى دم وريده وقد كان القادر بالله قد كتب الى السلطان يمين
الدولة وامين الملة بما ترامى اليه من خبر الرسول وما يقتضيه الدين
من التصلب عليه وتقديم الجد فى الانتصاف منه للاسلام والمسلمين
فلما ختم امره بما تقدم ذكره انهى الى مجلس الخلافة صورة الحال
وكعم السيف افواه العذال فقوبل من القبول بما ضاهاه وجرى
الخبر على ما اتاه وتوخاه فكان مثل الناهرتى ه كما قيل

ومن يشرب السم الذعاف فانه حقيق بانياب المنايا النواهس

ذكر الامير ابى العباس مامون بن مامون خوارزمشاه وما ختم به لعمره الى ان ورث السلطان مملكته

قد كان ابو الحسن على بن مامون لما ورث اباه مامونا مملكته
وقد كان استضاف خوارزم الى الجرجانية خطب الى السلطان

احدى اخواته تقوية لعمدة الحال في تربية للحمة الوصال
فاوجب اسعافه بما استدعاه استكفاء اياه وتوخيا لرضاه
وزف اليه من خطبه ووصل اسبابه بسببه ودر التهادي بينهما
حتى صارت الديار واحدة والاسرار لغير الاخلاص جاحدة وعرت
الحال على جملتها في الانتشاج والامتزاج الى ان قضى خوارزمشاه
نحبه ولقي بانقراض الاجل ربه وورث الامير ابو العباس مامون بن
مامون مكان اخيه وولي ما كان يليه فكتب الى السلطان يسأله ان
يعقد له على شقيقته عقده على اخيه من قبل فهو تاليه في الطاعة
بل اتم اخلاصا وثانيه في القربة بل اشد اختصاصا فشفع
السلطان فيه داعي الكفاءة واستجد للحال رونق الطراءة وعقد
عليها عقدا اخلطه فيه بنفسه وفرغ له فريقا من قلبه وخلبه ومازال
الامر على جملة الاشتراك والاشتباك الى ان دعا السلطان داعي
الاخبية الى سومه اقامة الخطبة باسمه وانهض رسولا به يتنجز
العمل بما يقتضيه ظاهر حكمه فصادف ذلك منه حرصا على الاجابة
وافتراضا لحق الطاعة غير انه عرض الحال على من حوله من اعيان
اشياعه واتباعه فاظهروا انفة واصروا واستكبروا استكبارا
وقالوا نحن اتباعك واطواعك ما سلم لك الملك عن الاشتراك

ممات خوارزمشاه وورث ابو العباس مامون [illegible]

فاما

فاما اذا وضعت خدك وضعنا السيوف على العواتق خلعا لك
وتمليكا عليك وجها وانفة فيك فعاد الرسول الى السلطان بما راه
عيانا وسمع بغيا وعدوانا ولحس القوم بحمة الدم من وراء اجرائهم
على ولي نعمتهم بالقول الفظيع والرد الشنيع وزعيمهم في الامر
ينالتكين البخاري صاحب الجيش فاحسوا خيفة وتوامروا على
الفتك به غيلة وثاروا في التدبير عليه الى ان دخلوا اليه ذات
يوم على رسم السلام فاذا هو صريع كاس الحمام لا يدري كيف قتل
ومن اي وجه اليه قد وصل فبادروا بالعقد لاحد ولده ونشطوا
ايدي الاصفاق على بيعته وعلموا ان السلطان يمتعض للحادثة
ويقصد قصد الانتصاف للوارثة فتحالفوا على مقارعته
ان غزاهم في عقر دارهم وحجزهم عن مسخوط اثارهم ولما انتهى الى
السلطان خبر صنيعهم بولي نعمتهم وهو قيم شقيقته وحامي حقيقته
ان عجمته قوة الحفاظ للانتقام من الاكلب الغدرة الفجرة
والمرقة الفسقة فجاش لما هضتهم على حمية مسجونة وحفيظة
على ابتغاء ذات الله مقصورة وكانت سعادة ايامه ان لقنت
الاكلب العتاة البغاة ما اتوه استحقاقا للنقمة وبراءة من
العصمة وتمهيدا للعذر قربا وبعدا في استخلاص مملكة كانت

[illegible]

الى عزة اباليته نازعة ولباب الاقبال بنفق سياسته قارعة وجر
الجحافل كالجبال سايرة والبحور زاخرة حتى اناخ بعقوتهم مستعينا
بالله على قتالهم واستنزالهم الى مناهل آجالهم وتشاور صاحب
الجيش الخوارزمي وعامة قواده في كبسة على طلايع السلطان بياتا
يعضهم بانياب الحديد ان لم يسلمهم التشريد والتبديد فطرو ولحث
خوافي الليل حتى انقض على ابي عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي
وهو طليعة السلطان في حماة العرب حين انقض الكرى نو سهده
وشغل برد الصباح نفوسهم واختلط البعض بالبعض ضربا بالسيوف
القواصل وطعنا بالرماح الذوابل فطار الخبر الى السلطان بركض
القوم فزحف بجيوشه الى معترك الحرب وثبتت الخوارزمية من
لدن طلوع الشمس الى ان حمي وطيس النهار جاهدين في القراع
مجاهدين دون المساكن والرباع يظنون ان يظفروا وقد غدروا بمن
رباهم في حجور الانعام وارواهم من ندى الاكرام هيهات ان الغدر
قلادة منظومة احد طرفيها عاجل العار وثانيه آجل النار ولم تشرف
الشمس على التجبيد حتى اضجعت الجنوب ثم القبول جالا جلوا اجماله
وقد قصفت اصلابهم وانتهبت اسلابهم وفلقت بالسيوف هاماتهم
وبضعت اجسامهم وانتهى الباقون في خمر الغياض على شاطئ جيحون

عن السلطان الخوارزمية

الخوارزمية ... عدهم

والصوارم مرفوقا بهم تخطب ارواحهم حتى اذا وافقها نحلتها الطلاق
صداقا واستاسر زهاء خمسة الاف حقن الله دماءهم عبرة للنظر
وعظة لامثالهم من الغدرة الفجرة وركب البحلاني ظهر الماء
موايلا في الهرب ومقدرا الخلاص من العطب ولم يدر ان فعلة
السوء تخزيه واقدامه على ولي نعمته يرديه وان حافر البير لاخيه
ساقط لا محالة فيه وجرت في الزورق بينه وبين بعض اصحابه منافرة
حملته على الاستيثاق منه وبعث الملاح على استقبال المعسكر
بوجه الزورق فلم ينشب الا يسيرا حتى حصل في يد السلطان اسيرا
واحضره السلطان مجلسه في ساير القواد المأسورين يسأله وإياهم
عن استحلالهم دم صاحبهم من غير داعية واجترائهم عليه من غير
وطاة غاشية فرد جواب المستبسل المستقتل واما الباقون
فسقط في ايديهم لا يدرون ماذا يردون وامر السلطان بضرب الاعواد
والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم ابي العباس مامون بن مامون خوارزمشاه
وصلبهم اجمع عليها مع عدة ممن اتهمهم بالدين وعدهم معد النا كبين
عن قصد السبيل وامر بالكتابة على جدران تلك المقبرة بان هذا قبر
فلان بن فلان بغى عليه حشمه واجترا على دمه خدمه فقبض الله
يمين الدولة وامين الملة حتى انتصر له منهم وصلبهم على الجذوع عبرة

للناظرين وآية للعالمين وأمر من بعد بالأسارى فوضعت الأغلال
في أعناقهم يقادون إلى غزنة دار الملك فوجاً بعد فوج حتى
إذا حصلوا بها وقد امتلأت منهم العيون وغصت بهم المحابس
والسجون من عليهم بالإفراج وفرض لهم في جملة سائر الحشم والأجناد
ووضعهم موضع أمثالهم من ديار الهند رعايا يحمون أقطارها
وينفضون عن عيون العبث مناكبها وأطرافها وولى حاجبه الكبير
التونتاش خوارزم فأقام بها قامعاً لجوم الفساد وفاقئاً
عيون الغي والعناد إلى أن نضب ماؤهم وأذعن للطاعة أفناؤهم
واستقرت تلك الأسباب ودرت الأحلاب وذلك تقدير العزيز
العليم

ذكر فتح مهره وقنوج

ولما فرغ السلطان من مهم خوارزم وقد انضافت كإحدى
أخواتها إلى سائر مملكته الموشحة بآثار ولايته الموشعة بأصباغ
عدله ورعايته رأى أن يختم صحيفة العام بطابع الاستتمام
إجماماً للركائب والركاب وتقليباً لرأي الغزو بين جوانح القلب
فعدل إلى بست كالشمس قد جنحت للشمال وجاوزت نقطة الاعتدال
والدنيا بها حواشي المطارف وعواشر المصاحف أو عقود
المخانق أو نهود المعصرات العواتق يدير أعمالها ويرتقي فيما صار

أحمى لها إلى أن أذن الله في معاودة غزنة منشياً سحاب الفكر
في غزوة تحقق إعجاز القرآن بما تضمنه من وعد الله المنان في
إظهار دينه المرقوم بسيد البشر ومولى البدو والحضر محمد تاج
الأنام وسراج الظلام صلى الله عليه وعلى آله خيرة البررة الكرام
ليظهره على الدين كله وإن سخطت نفوس وضرعت خدود ورغمت
معاطس وأنوف بعد أن كانت الشقة قد بعدت عليه وعلى أعوان
ديوان الله السائرين تحت رايته بنور هدايته إذ كانت الهند قد
تحيفت من شواتها وأطرافها سبياً وانتهاباً وملكت على أربابها
سهوباً وشعاباً فلم يبق إلا ما الجنة ضمير فسمير ومن دونها فياف
تصم عن حل عزيف وصفير ويضل دونها وفود الرياح إلا بخفير واتفق
أن حشر إليه من أدنى ديار ما وراء النهر إلى أقصى حدودها عشرين
ألفاً من مطوعة الغزاة قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين
بجهادهم متنجزين في ذات الله الاستشهاد يخطبون الجنان بصداق
الأرواح ويستامون الغفران بحدود الصفاح فتحرك من السلطان
نفيرهم وذمر نفوس المسلمين تكبيرهم واقتضى رأيه أن يزحف بهم إلى
قنوج وهي التي أعيت الملوك الماضين غير كشتاسف على ما زعم المجوس
وهو كبش أقرانه وملك الأملاك من عمهم في زمانه فشار وبين غزنة دار
مملكه

وخطة قنوج مسيرة ثلاثة اشهر سير الركائب القود والخوانيف السود
واستخار ربه وسار وهجر النوم والقرار واستصحب من شهد
من انصار دين الله واعوان حق الله رجالا يقتحمون اشداق المنايا
شوقا الى السعادة بالشهادة وحرصا على الموعود من الحسنى
والزيادة وعبر مياه سيحون وجيلم وجند واهروا وايراوه وكندر
سالما في سالمين وهذه اودية تجل اعماقها عن الاوصاف وتمسع اطرافها
عن الاطواف منها ما يغمر غوارب الفيول فكيف كواهل الخيول ويدهده
ثقال الصخور فكيف خفاف المطايا والظهور صنعا من الله لمن
والاه وعز بروحه في استدامة رضاه ولم يطأ مملكة من تلك الممالك
الا اتاه الرسول واضعا خد الطاعة ضارعا في الخدمة كنه الاستطاعة
الى ان جاء جنكي رشاهي صاحب درب قشمير عالما بانه بعث الله الذي
لا يرضيه الا الاسلام مقبولا او الحسام مقتولا فاظهر العبودية
عن خاضر التوفيق وضمن الارشاد في الطريق وجعل يسير امامه
هاديا يجزع واديا فواديا ولما انتصف الليل اذن بالسير خفق
الطبول واستوى اولياء الله على ظهور الخيول يجشمون تعب الركض
والسول الى ان يجنح الشمس من غد للدلوك حتى استظهر ملجون
لعشر بقين من رجب سنة تسع واربعمائة وما زال يفتح الصياصي

والقلاع مبنية على ربود الجبال وحروف القلال بحيث تالم منالع
الاعناق متى شخصت اليه نواظر الاحداق الى ان شافه قلعة برنه
من ولاية هردت وهو احد الرايان اعني الملوك بلغة الهند فاطلع على الارض
الطلاعة وهي تموج بانصار حق الله مسومة من فوقها الترايك ومن حولها
الملايك فتزلزلت قدمه واشفق من ان يستباح دمه فرأى ان يتقي
بالاسلام باس الله وقد شهرت حدوده ونشرت بعذبات العذاب
بنوده ونزل في نحو عشرة آلاف منادين بدعوة الاسلام متنفسين عن
ولاية الاصنام فحقق الله ميعاده واحسن بفضله اسعافهم واسعاده
ثم وامتد الوجيف به بعد الى قلعة كلجند وهو من اعلام الشياطين
واعيان الاباك الملاعين يدل على الملوك بعز انفس ويرنو الى الفرم
بطرف اشوس قد قضى في الكفر معظم عمره وغني بهيبة الملك وسطة
الامر عن تجشيم بيضه وسمره ولم يقصده احد الا ارتد عنه مفلولا
وعاد عقده عليه محلولا عزة حال وكثرة مال وقوة رجال وعدة
افيال ووثاقة معاقل وحصون وهلك عن مطامع الايام ومطامح الوهم
والاسلام مصون فلما رأى السلطان قد قصد قصده وجرد لمجاهدته
جمده رتب فيوله وخيوله وراء غياض لو رميت بافراد الابر لاتقتها
الارض باوراق الشوك والشجر واغرى السلطان به بعض طلايع

جيوشه فثاروا اليهم يخرقون الآجام خرق الامشاط منابت الشعور
بل الاثافي مغارز السيور واعرض للسلطان طريق من فوق القلعة
المذكورة فلم يرع اهلها الا البحر الاخضر والله اكبر والسيوف لا تبقي
ولا تذر فثبتوا للجلاد مستقتلين وتواصوا بالمنايا مستبسلين
والسيوف تأخذهم من فوق وقدام وتبضعهم ما بين لحوم وعظام
وحملاتهم بينها تتصل اتصال الكعوب وضرباتهم تتوالى توالي الغيث
المصبوب غير ان الله منزل الحديد فيه البأس الشديد وهو الذي
اذا شاء قطع واذا شاء نبا وامتنع. شعر

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع احيانا مناط القلائد

فان كانت من اولياء الله فلاجر الاستشهاد وثواب المعاد وان نبت
فلاعجاز القدرة واظهار العزة وليعلم ان الحكم له في كل مخذول
ومعصوم ومحذور ومقصوم وظل المخاذيل يتنامسون بينهم وقد
عاينوا سيوفهم نابية وسيوف اهل الحق ماضية وحملاتهم واهية
وحملات اهل الدين اولى وثانية ما هؤلاء من جنس الانس ولا من
زمر البشر هيهات ان وقع الحديد ليحز في الجبال ولا حز له في
هؤلاء الابطال حتى اذا مثل لهم شخص الطغيان في صورة الخذلان
تواصوا بالاقتحام ما وراءهم من زاخرة المنايا يظنون انها تقيهم بأس

الانتقام وتحميهم كأس الحمام ولا يرون ان الكفر لا يهدي سبيله
وان الله يردي بكثير ما يحيي قليله لا جرم ان صفائح الماء وافقت صفاح
الشماء فاوسعوا قتلا واسرا واغرقوا فادخلوا نارا ولعل
عدد الغرقى والقتلى يزيد على خمسين الفا اصبحوا طعما للنسور والضباع
واقواتا للتماسيح والحيتان وعمد كلچند الى قتالته فاهلك بها عرسه
ثم كر فالحق بها نفسه واغنم الله السلطان مائة وخمسة وثمانين راسا
من الفيلة الضخام مضافة الى سائر ما اطرد عليه حكم الاغتنام من
نعم الله الجسام وقسمه الراجح بالاقسام ولما وضعت تلك الحروب اوزارها
وحلت له الغنائم ازرارها عطف عنانه الى شط البلد الواقع عليه
اسم المتعبد وهو مهرة الهند بطابع ابنيته التي يزعم اهلها انها من
صنع الجان دون الانسان ابداع اساس وسقوف واعجاز واوساط
وحروف قريبي ملتخالف العادات وتفتقر روايتها الى الشهادات
بل المشاهدات بلد امبني السور من صم الصخور قد شرع بابان
منها الى الماء المحيط به موضوعة ابنيتها فوق شواخص التلال
صيانة لها عن مضرة السيول من الماء ومعاد غيوث السماء وعن
جنبتيها الف قصر شبيه بسائر الابنية في الوثاقة مشتملة على
بيوت اصنام قد هندمت مفاصل اعرافها بمسامير تساوي سطوح

اشتغال العسكر
بحربهم
وهلاك
كلچند

صفة مهرة الهند
وهي اسم المتعبد

البناء وتوالى ما وراءها من الحزون تحت الخفاء وفي صدر البلد بيت
أصنام يحكي لخواته او احسن وتجري مجرى اضرابه بل اتقن لا يهتدي
الكتاب بأقلام الدواة ولا النقاشون بأطراف الخامات الى امثالها
تحسيناً وتزويقاً ونقوشاً تخطف الابصار بريقاً وكان فيما كتب
السلطان به انه لو اراد مريد ان يبني ما يعادل اشباه هذه الابنية
لعجز عنها بانفاق مائة الف الف دينهم في مدة مائتي سنة على ايدي عملة
حملة مهرة سحرة وفي جملة الاصنام خمسة من الذهب الاحمر مضروبة
على قدر خمسة اذرع في الهواء منصوبة وقد الحمت عينا واحد منها
بياقوتتين لو سيم مثلها على السلطان لابتاعه بخمسين الف دينار استرخاصاً
ولم يستشر فيه دركاً ولا اخلاصاً وعلى آخر قطعة ياقوت ازرق ربيا
من ريق الماء وبريق البهاء يزن اربعمائة وخمسين مثقالاً وخرج من وزن
قدمي احد الاصنام المذكورة اربعة آلاف واربعمائة مثقال وكانت جملة
الذهبيات الموجودة من اجرام الاشخاص المنصوبة ثمانية وتسعين الف
وثلثمائة مثقال وزادت الفضيات منها على مائتي قطعة لم يكن وزنها
الا بعد التفصيل والعرض على كفف المعايير وامر السلطان بعد بسائر
الاصنام فضربت بالنفط والضرام وجعلت سقوفها مواطئ الاقدام
وسار من بعد قدماً يروم قنوج وقد اشتق الفال له من تصحيفه

صفة بيت الاصنام

مسير السلطان الى قنوج

فتوحاً وعده صنعاً من الله ممنوحاً وخلف وراءه معظم العسكر
تطميعاً لراجبال في الثبات لخفة الرجام وتقبيحاً له قبل اللقاء
صورة الانهزام اذ كان امراء الهند على غلب رقابها وقوة اسبابها
اطواعاً لراي قنوج اعتزازاً بمكانه واغتراراً بفخامة شانه ولم يعبر
على قلعة من قلاع تلك الرباع الا وضعها بالارض وعرض اهلها على الاسلام
والسيف وحاز من السبايا والنهاب والنعم الرغاب ما يعجز انامل الحساب
ووصل ثامن شعبان الى قنوج وقد فارقها راجبال حين سمع باقدامه
فراق من لا يرى الهزيمة عنه عاراً ولا يعتد الفضيحة شناراً وعبر الماء المسمى
كنك وهو الذي تتواصف الهنود قدره وشرفه ويرون من عين الخلد
مغترفه وان احرق منهم ميت ذرّ فيه بعطامه فظنوه طهرة
لآثامه وربما اتاه الناسك من بعيد وحرق نفسه فيه يرى ان ذلك ينجيه
وهو في العاجل يرديه وفي الآجل يصليه ويخزيه ثم لا يميته ولا يحييه
وتتبع السلطان قلاع قنوج فاذا هي سبع موضوعة على الماء المذكور
بالبحر المسجور وفيها قريب من عشرة آلاف بيت للاصنام تزعم المشركون
انها متوارثة مائتي الف سنة كذباً وزوراً وقولاً موزوراً وعدواناً عن
سنن الهدى ونفوراً وبحسب قدمها كانت عبادتهم لها واهتشاشهم
بالدعوات اليها وقد شرد عنها اكثر اهلها خيفة الايم واليتم وحلول

التكبير بآلهتهم الصم البكم فمن بين ناج أعانه نجاؤه وثاو أباده ثواؤه
ولم ينجه من سيوف الحق أرضه ولا سماؤه ففتحها كلها في يوم واحد
ثم اباحها اهل عسكره يتناهبونها طلقا حلالا ويتنابونها وقما
وإذلالا وركض منها الى القلعة المعروفة بقلعة البراهمة وهم حي لقاح
وعتاة ما لهم عن الفساد في تلك البلاد براح فثبتوا للقراع أشباه
العفاريت عارجة والشياطين ماردة او مارجة حتى اذا أعوزهم
الثبات وأعجزتهم النجاة وعلموا ان ليست لهم بالمسلمين طاقة وأن
دماءهم لا تشكل مهراقة تهاووا من غرفات الجدران وشرفات البنيان
على شبا الرماح وظبى الصفاح استخفافا بالنفوس والأرواح واستسلاما
لأمر الله المتاح لا جرم ان السيوف أشربت الأرض دماءهم وأطعمت النسور
أشلاءهم كذلك المنايا أصهار من خطب اليها لم تر له ردا ولم تجد
من نكاحه بدا وأخذ على تعبئة ذلك نحو قلعة آسي وصاحبها المعروف
بجندال بهور وهو احد أنياب الهنود وأرباب الجنود لم يزل ذا منعة
بالملك وسعة في الملك فعرض له ركى قنوج منه غاداه الحرب
مكاوحا ومقارعا فلم يزد على ان أتعب أولياءه ونحل على الجيبة
وراءه وقد احاط بهذه القلعة غياض متكاثفة كأعراف الجياد
ومتداخلة كأشعار الجعاد لا يستجيب الأفاعي بينها للرقاة ولا

عرض السلطان بعد الفتح الى قلعة السانق راجه البر

يستغيث البدر فيها للسراة وقد احاط بها خنادق قعيرات الحفاير
فسبحان الدوائر احاطة الثور بالثريا فما له عنها انفراج ولا له
دونه انعراج فلما شعر المذكور بزحف السلطان اليه في كواكب دولته
وصواكب جملته فقد قلبه ففقد الحذار وحس نبضه وكان ذنب الفرار
وراى الموت فاغرا فاه فلم يملك الا ان يوليه قفاه فأمر بقلع قلعته
مراصدا لها وتعويرها على من بهم آنفا بحلولها وقفى آثاره بعفاريت
انصاره ينهبون ويغنمون ويقتلون ويأسرون حتى علم الكافرون
انهم الخاسرون وكان المخذول يذكر ان أعوانه من حماة المقانب
وحماة الأشاهب ورماة الكتائب حتى راى عسكر السلطان بين
تلك المشاعب وآثارهم بالقنا والقواضب والقسي المواطر كالسحائب
فعلم ان ضرب اللاعب خلاف ضرب الثائر الغاضب وقوس المحلج غير
قوس الناشب ولما فصل السلطان امر جندبال واذاقه في مهربه
الداء العضال عطف على جندراي احد أكابر الهنود في قلعة شردة
وهو يظن بنفسه ان القائل يعنيه بقوله
عطست بأنف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم
قد ذهب بها عن ان يعطي غيره مقادة او يألف غير التعزز عادة
وكانت في غابر الأيام بينه وبين بروجيبال منافسات تجاحش

عطف السلطان بعد فصل الى حصار خنبان على جندراي

عن خيوط الرقاب فدامت حتى استلحمت رجالا واصطلمت
ابطالا ثم قام دست الحرب بينهما فاضطرا الى التوادع والتحاجز
حقنا للدماء وصونا للاطراف وخطب ابيه بروجيبال ابنته على
ابنه بهيمپال استدامة للالفة واماطة للفرقة واستدفاعا للفساد
واستبقاء للسيوف في الاغماد فسرح ابنه اليه على تنجيزه
عقد الوصلة وشرط الانتشاج في اللحمة والاشتراك في البيت
والنعمة فلما حصل الختن في يده جعله تحت قيده وقيده وطالبه
بعوض ما ذهب له على يد والده فعجز بروجيبال عن قصد قلعته وافتياض
بيضته واستخلاص ابنه من اسار محنته غير ان المنازعة لم
تنفك بينهما قائمة الى ان طلعت رايات السلطان على تلك الحدود
وسفر صنع الله له في المقصود بعد المقصود فاما بروجيبال
فلحق بهوسمر واحد المتعززين بحصانة المعاقل وحزونة المداخل
وخشونة المواقل خلاصا بمهجته واعتياصا بنزعته على من هم باقتناص
اثره واما بهيمپال فانه استعد للمدافعة واحتشد للممانعة
اعتزازا بوثاقة قلعته ولو ثبت لقلعته واذا لا بمنعته ولو
وقف لاخلعته فراسله بهيمپال بان محمودا ليس من جنس اكابر
الهنود وامراء رجالهم السود ان السلامة من مثله بغنم والجيش

بأسه بهتزم وقد رأينا من كان أقوى منك حماية واعلى اكمة لم يقم
لضربة من ضربات جنوده ولم يف بهضبة من هضبات جنوده فان
رأيت الافتضاح فشأنك او الخلاص فقمص ما استطعت كأنك
فعلم ان الحق الذي نصحه وانه ان خالف الحق فضحه فسرب اثقاله
وافياله وخزائنه وامواله نحو جبال تناغي ذوائب الجوزاء وآجام توارى
خد الارض عن عين السماء وورى بوجه مقصده ولم يدر اين سار
ومن اي الاقطار طار امتطى الليل ام اقتعد النهار وكان غرض
النصيح المظلوم في تهييبه وتغريبه اشفاقه من حبالة الاقتناص
فيسام من كلمة الاسلام ما سيم اعمامه واقاربه قبل حين اضطروا
الى الاستئمان والاستسلام فلما احاط السلطان بتلك القلعة
وافتتحها على حصانة قواعدها ومناعة مراقيها ومصاعدها
وتوسع منها في علق كثير ومال على اختلاف اصنافه خطير لم يهنه
الموجود وقد فاته الكافر المقصود وضاقت به الارض دون
طلبه وانتزاعه من يد مهربه فاقتص اثره ركضا نحو خمسة عشر فرسخا
بين منابت اشجار تضلل الوجوه فتدميها ومساقط احجار تصدم الحوافر
فتحفيها ولحق القوم ليلة الاحد لخمس بقين من شعبان وهم يطوون
مجاهل الارض هبوطا وصعودا ولا طيه النجد يخضمون بيدا واهاب

أي أولياء الإسلام وأبناء الصلوة والصيام باقتناصهم وادراع
الظلام في اقتناصهم ثقة بالله الناصر لدينه القاضي على الكفر
بتوهينه فكم من قتيل هناك قبل أن يمسه حر الحديد وأسير تقيد
قبل يد التقييد فأما الأموال فأتت نهبا دون الأرواح وسترا
دون السلاح وحز الجراح لا يعبأ بها أو تشفى النفوس من غزوة
الكفرة وعبدة الشمس والنار فظل الأولياء يتتبعون طراح المخاذيل
ثلثة أيام تباعا تنفلا واغتناما وحلالا بعد أن جمعها الكفرة
جهارا وأما الفيلة فمن بين مقهور ومردود متطوع بالعود إلى
السلطان محمود لطفا من الله تعالى يتيح له غنائم الأموال
حتى يسوق إليه بهائم الأفيال لا جرم أنها سميت خداي آورد شكرا
لله على إلهام ما لا يمسك إلا بالمقامع ولا يملك في المراتع إلا بالحيل
الخوادع أن تأتي طوعا فتهجر للأصنام وتخدم الدين للإسلام

ولقد أحسن من قال

قل للأمير عبدت حتى فداتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا
لو مس أعطاف النجوم جرين في التربيع سعدا
أو سار في أفق السماء لأنبتت زهرا وودا

وبلغ ما ورد من خزائن الشارب الهارب ذهبا وفضة ويواقيت محمرة
وفرائد مبيضة قرابة ثلثة آلاف ألف درهم فأما السبي فالشاهد على
كثرة عدده ووفور مدده وقوع الاستيام على واحد منهم ما بين درهمين
الى عشرة دراهم ذلك فضل الله ذخره لأيام السلطان يمين الدولة
وأمين الملة وهو المتولي له بتمام الثواب يوم قيام الحساب والحمد لله خير
معبود ومحمود وله الشكر على ما قربه عين محمد صلى الله عليه محمود

ذكر المسجد الجامع بغزنة

ولما عاد السلطان يمين الدولة وأمين الملة على هيئة النصر الموكل
بقمع الكافر المفتنة في الحلل بسعدي السماء الزهرة والمشتري
الى دار الملك بغزنة وقد كادت أن يغيض سيحها على عدد الأرقاء
من العبيد والإماء حتى استفرغت عليها أكياس التجار الضاربين
إليها عن نوازح البلاد ونوازع الأمصار فغص ما وراء النهر المرابع
العراق ومبادي الاستراق منها ما خلط بيضهم بالسود وعدل في
التمليك بين السود والمسود أحب أن ينفق ما أفاء الله عليه من
أنفال الأنكل الغلف الأغفال بإعمال بر يشيع جدواه ويرجع الى
أمر الاحتساب معناه وكان قد أوعز باختطاط صعيد من ساحة
غزنة للمسجد الجامع إذ كان المختط قديما على قدر أهليها حيث

عدت من معادن البلاد بشحوط دانيه شطون من ارفوانق عوده
من مضربه حصول المراد من تقطيعه وتربيعه واقامة الجدران
على تربيعه فصب بدر المال على الصناع كما صب دماء الابطال
يوم القراع ونصب لشادهم احد الزعماء بحضرته فهو يطوف
عليهم مطالبا بصدق العمل ومعاتبا على رم الخلل حتى اذا توسدت
الشمس قلة الجبل اقام السن الموازين ناطقة بالانصاف وازنه
بالجزاف فيمسون بين اجر بن عاجل على السلطان منقود واجل على
الرحمن موعود ونقل اليه من اطراف الهند والسند جذوع تنافقت
قدودا ورصانة وتناسبت تدويرا وثخانة كانها استودعت
ارحام الارض لامر معلوم وجمعت باعمارها ليوم محتوم فجاءت
ولا الحق جمالا والعدل استقامة واعتدالا تثنى عليها الملاسة
والسداد وكان بها صمما فهي لا تصغي ولا تحاد وقد فرشت ساحتها
بالمرمر منقولا من كل فج عميق ومضرب سحيق على تقطيع التربيع اشد
ملاسة من راحة الفتاة وصفحة المراة وعقدت عند منتهى الابصار
طاقات كما تقطع الدوائر على نقط المراكز فلو عاش سنمار لعد في
جنسها معدا لواهن العاجز فاما الاصباغ فطالع روضة الربيع
ضاحكة الثغور باكية الجفون تستوقف الابصار وتقيد النظار

[illegible]

واما التذهيب فحسبك به ان صناع الرصافه قد عبرت عليهم
الحقاق وصح لهم تخليف ما لا يطاق وليس بصفاح الزرياب فقط لكنه
ضبات الذهب الاحمر افرغت عن صور الاصنام المجذوذة والبدر الماخوذة
فطفقت تعرض على النار بعد ان كانت الهة بزعم الكفار وتضرب بالمطارق
بعد ان عبدت بالخدود والعناق اوليس الذي ينفق على جدران
مساجد الله عزة للموحدين وغيظا على الملحدين اتم سماحة واكرم
راحة ممن يفرغه معبودا وينصبه للنفع والضر مقصودا نعوذ بالله
من زيغ شوار عار وهو محتاج الى شعار وجزى الله عن الاسلام
ملكا هذه افعاله واعماله وامتهان الروح والممنوح في سبيل الله دابه
واداه نعم وقد افرد السلطان لخاصته بيتا في المسجد مشرفا عليه
مكعب البناء وموسع الفناء متناسب الزوايا والارجاء فرشه وازاره
من الرخام كدت عليه الظهور حتى نقل من ارض نيسابور وقد احيط
بكل رخامة مربعة محراب من الذهب الاحمر محلى باللازوردي
تعالج من الوان المنثور والورد من يرها بعينه يقل بلسانه استحسانه
لا زال هذا الاستاذ ممتعا ببنيانه الا من راى مسجد دمشق
فراعه مراه وشاقه النظر حتى ثناه وقضى بان لا يوجد شرواه
دونك هذا البيت تلزمك المثنوية وتتعلق عليك القضية ويبنيك

ان الحسن بعض صفاته والابداع احد سماته وانفال الهند من
خرم نقوشه والهمة العلياء قد طمحت بعروشه نعم وامام هذا البيت
مقصورة بتعاريج عليها منصوبة تسع ثلاثة آلاف غلام متى
شهدت للفرض اخذوا اماكنهم منها صفوفا واقبلوا على انتظار الاذان
عكوفا واضيف الى المسجد مدرسة فيحاء تشتمل بيوتها من
بساط الارض الى مناط السقوف على تصانيف الائمة الماضين
من علوم الاولين والآخرين منقولة عن خزائن الملوك الصيد نقروا
من ديار العراق ورباع الآفاق حتى اقتنوها بخطوط كفرائد سموط
مصححة بشهادات التقييد وعلامات التخفيف والتشديد ينتابه
فقهاء دار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين على
كفاية ذوي الحاجة منهم بما يهمهم جراية وافرة ومعيشة حاضرة
وقد اقتطع من دار الامارة الى البيت الموصوف طريق يفضي اليه في
امن من ابتذال العيون اللوامح واعتراض الرجال من بين صالح وطالح
فيركب اليه على فرد سكينة وشمول طمانينة حتى يقضي المكتوبة
ويقتضي الاجر والمثوبة فاما سائر دور الحجاب وقصور القواد
فما يثق بحقائق الانفاق عليها الا من اتاها اعتبارا او شاهدها
اختبة فهي ملء الاباطح ابنية تشرف على الهضاب شرفاتها

وسجاد تغترف عز نهر المجرة غرفاتها وبما يملك من بلد يحتوي
على مرابط الف فيل يشغل كل منها بسياسته وكابنته دارا كبيرة
وخطة وسيعة ان الله تعالى اذا اراد عمر البلاد وكثر
العباد وهو على ما يشاء قدير

ذكر الافغانية

ولما قضى السلطان وطر القيظ بغزنة واقبل الخريف بشفيفه
وسمح الوقت بحاضر ريعه وقد كان طوائف من الافغانية المستو طنين
قلل الجبال الشوامخ وارعان البواذخ تعرضوا فعل القطاع لذنابى
حواشيه منصرفه من غزوة قنوج اعتزازا بمناعة اماكنهم وحصانة
مساكنهم وتطنيا لخفاء افعالهم والتباسها بمنابر امثالهم راى
ان ينتقم منهم بركضة تبيح عليهم اوكارهم ومدارجهم وتخضب
بدماء النحور جباههم فعزم على ما دبر وصمم على ما قدر ووالى نهضته
نحو اقاصي اقطار بيضتهم ثم ركض عليهم في خاصته ركضا صبحهم	الركض دويدن لازم ومتعدى يا جنبانيدن ق
في مراقدهم فلم يشعروا الا بحر الصفاح على برد الصباح ضربات
تقطف الرؤوس عن النحور وتفرغ النحور على الحجور	ابو تمام
صرعى الى صرعى كان جلودهم طليت بها الشيان والعلام
فيا لها نهمة اتمت عليهم الفقود وآلت حلفة الا تعود او تشهد

لو قال ارؤس فوق الاعلام
وجثث تحت الاقدام
كان احسن

[illegible]

اليوم الموعود فكم من جثث فوق الأعلام ورؤوس تحت الأقدام حتى
إذا استلحمت السيوف أجسامهم ولم يستبق إلا أيامهم وأبناءهم كف
كفا للاقتدار وعلا ذروة العز بالانحدار وعادت تلك الوعول سهولا
وكان أمر الله مفعولا وعطف إلى غزنة مميلا الرأي بين أن يشتو
ببلخ مستجما ولغابر السنة في القرار مستتما وبين أن يركب نية يمينية
في غزوة تقشع باقي ضبابات الكنود عن ديار الهنود مجهزا على من كان
يضرب بذنبه في مهربه كالوزغة المثخنة لا يلبث أن يموت فأبت عليه
حمية الإسلام أن يسيغ على القعود جريضة أو يستبقي في محابس
الأغماد بيضه وثنى عنانه نحو الهند في رجال يرون الشهوات صهوات
الخيول وقصوى اللذات ملاقاة الفحول ويجتزؤن بالظهور أسرة
مرفوعة وبالأكوار وسائد موضوعة وبالسموم رياحين مقطوفة
وبالآجن الطرق صهباء موصوفة وبالعرق السائل ماء ورد وبالقسطل
الثائر مثار عنبر وفتات ند وبالليل سكنا وقرارا وبالنجوم ندامى
وسمارا ممن تتمه نسب فإن آباءهم المشرفيات بواتك وان اعيبات
فوارك وأعمامهم القسي حوازع وأخوالهم النبال قوارع وما زال يخوض
أنهارا هائجة وأودية هادية لم تضمن قط عن غرقها هادية وعين
الله ترعاه في كل سعي يسعاه حتى اقتحم مغارات الائك المغاوير

بل ديارات الائك المدابير فظلت رذايا الكفر يضجون بالويل
والثبور ضجيج النوق رواجع ببيت الله المعمور وما زال السلطان
يصفح عمن آمن وأطاع ويفضح من أظهر الامتناع بعد أن أصاب
غنائم لا يضبطها حساب ولا يطعمها ماء ولا تراب حتى انتهى المسير
به إلى ما يعرف براهب غابر المخاض حمئ القرار كالخضخاض يبتلع الخف
والحافر ويقتلع الدارع والحاسر فإذا بروجيبال من تلك الجيرة
في رجال كالصريم وأفيال تحتنا الأديم قد لحق من فجاج الركضة حذره
وأسند إلى آخر النهر ظهره ورام أن يمنع السلطان عبوره ويشغل
عن اقتحام اليم جمهوره حتى إذا اكتحل الليل بقار من في ذمة
استتاره مرور مروان على حماره فلما علم السلطان ذلك من قصده وولى
استعداده واحتشاده لصده أمر بالأطواف فهيئت للعبور وأجاب
إلى عدة من غلمانه للركوب فامتثل الأمر ثمانية منهم يبتدرون العدوة
القصوى ويلتزمون كلمة التقوى فلما رأى بروجيبال استقلال
الماء بهم رماهم بخمسة من فيلته المجففة وفوج من رجالته المصففة
فأراد الله تعالى أن يحقق قول نبيه الأمي الأمين في رسوله المؤيد
بالتمكين حيث قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الأرض فأريت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها فالتم تلك العدة

ان استوقفوها على اماكنها حرزا لاطرافها تبك احفاف بالتبال
وعززا لها بعد في وجنات الابل الضلال معجزة لم يسمع بمثلها
قبلها ثمانية تجرع سيلا وتدفع فيلة وخيلا وبدر من لفظ السلطان
عند ذلك البرهان ان قال من قدر على السباحة فليتعب اليوم للراحة
فاذا الخاصة ومعظم العامة خائضين ولصعب الماء رائضين فتارة
يسبحون بالاطواق واخرى يستريحون الى الاعراف حتى لفظتهم النهر
سالمين لم يتشجب لهم جنبة ولم يعطب لهم حربة ولم يذهب بحمد الله
سبية وحمل السلطان بهم وقد نزوا الى الظهور حملة نوزع عنهم
بين عقير سكران من عقار الجلد واسير حيران من اسر القد وطريد
يخاف وقع القواضب وقتيل يرمى النجوم الثواقب وصار ما حصل
في الوقعة من عدد الفيلة مائتين وسبعون ثقال الاجسام كثقال
الغمام وصار الكافر هزيما لا يملك عزيما ولا يقدر تاخيرا ولا تقديما
وقد كان السلطان قبل ان لقي الكافر او لبس جوشنه للدروع والمغافر
اخذ فالا من كتاب الله تعالى يهديه عاقبة ما ينويه فخرج له قوله تعالى
عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون
فلما حقق الله وعده ونصر بفضله جنده ضمن على نفسه ان يفي
بواجب عمله عدلا يرفه للانام وغزوا يؤيد الاسلام ويشد

يفيد الانعام لاجرم ان الله تعالى حافظه وحاميه ومصيب
برايه اغراض اماله وامانيه والذي يدخره له من ثواب المعاد
اربح مقادير وارجح مكاييل ومعايير

ذكر ابي بكر محمد بن اسحق بن محمشاد والقاضي ابي العلا صاعد بن محمد وما انتهى اليه امورهما بنيسابور

قد كان ابو بكر مرموقا بعين النباهة في صدر هذه الدولة لمكان
ابيه من الزهادة وضمه الاطراف على العبادة واقتفاره نهج ابيه
فيما كان ينتحله وينتحيه وكان الامير ناصر الدين سبكتكين يرى من
عصابته في التزهد والتعفف والترهب والتقشف ما قل وجود مثله
في كثير من فقهاء الدين واعيان المتعبدين فحلى ذلك في قلبه كما حلي
بعينه والمجاهد في الله محبوب وقد يكرم اهل الشفاعات من له
ذنوب واستمر السلطان بعده على وتيرته في ملاحظتهم بعين
الاحترام واشاد طوائف الكرامية بالاكرام حتى قال ابو الفتح البستي
فيما شاهده من نفاق اسواقهم

الفقه فقه ابي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام
ان الذين اراهم لم يؤمنوا بمحمد بن كرام غير كرام

وانضاف الى هذه الوسيلة القوية والذريعة الالهية انه لما
تورد جيوش الخانية خراسان عند غزوة السلطان ناحية الملتان
قبضوا على ابي بكر ونسبوه احتياطا لانفسهم من شيعته واحترازا من
غامض مكيدته ونقلوه في جملتهم حين طلعت رايات السلطان من
مغاربها واومضت سيوف الحق عن مضاربها الى ان وجد منهم فرصة
الانقلاب والسلامة على مس تلك الآفات فاعتد السلطان ذلك
له في ساير مواته واوجب له حقا بحظه بعين مراعاته ونبغت من
ارباب البدع الباطنية على ما تنامست به البلاغات والله حكم بما تجنه
الضماير والنيات فئام وافقت تصلبا من السلطان في استيصالهم
وتعصبا لدين الله تعالى في اجتثاث اشتاتهم فحشروا من اطراف البلاد
وصلبوا عبرة للعباد وكان ابو بكر احد اعوان السلطان على رايه حشرا
اليه وتصويبا للراي عليه فصار البري كالسقيم مذعورا وعاد
الملأ في عرض الخطب شورى وولي الناس ان ريقته السم القاتل
والسيف الفاصل فنجعوا اليه بالطاعة وفرشوا له خدود الضراعة
وانعقدت له الرياسة في لبسة الصوف وحظته الخاصة والعامة
بعين المرجو والمخوف ووجدت خاصته سوقا للاطماع بعلة
الابتداع فاستنزلوا الناس واستفتحوا الاكياس فمن الط

منهم بمكاس يرمي بفساد معتقده او يعطي الجزية عن يده وغبرت
على هذه الجملة سنون لا مطمع لاحد في تبديل شكلها وتحويل
فادح الحال عن اهلها ولا علم بان الزمان بتغيير الاحوال
ضمين وبالخلاف على صورة المعتاد رهين ومن صبر على الايام راى
الرفيع وضيعا والضليع ضريعا وصادف عن سموم الغيظ صرا
كالحا وصقيعا واتفق للقاضي ابي العلاء صاعد بن محمد ان حج
بيت الله الحرام سنة اربع واربعمائة وهو الامام المرموق والزاهد الموموق
والفاضل الجزل والبازل الفحل فقضى اكثر عمره على الحظ النفيس
من ثمر الدرس والتدريس تتطفل عليه الاعمال فيأباها وتصب
اليه الاغراض فيهي الخيار فيما عداها ومن حاز شرف العلم لم يشتر به
ثمنا قليلا ولم يعدل به حظا وان كان جليلا فلما حصل بدار السلم
وانهى القاضي بها خبره في حجيج بيت الله الحرام قوبل بمقتضى
حقه في الاسلام من واجب الاثرة والاكرام وظاهر التوقير والاعظام
وعضد بالكتب الى السلطان فيما يقرن من حاله وفي مهمات اوجب
الاحتياط شرحها على لسان مقاله فلما عاد من وجهته شخص
الى حضرة السلطان بغزنة فعرض ما صحبه وقرر ما تحمله وادى من
حق الامانة ما لزمه وبها الاستاذ ابو بكر محمد بن اسحق فجرى في

مجلسه ذكر الكرامية واطلاقهم القول بالتجسيم وتعريض الله تعالى
لما لا يليق بذاته الكريم فانف السلطان بهذه الشنعاء من مقالتهم
والعوراء من فحوى جدالهم ودعا ابا بكر سائلا عنه وباحثا صورة
الحال منه فانكر اعتقاد ما نسب اليه واظهر البراءة عما احيل
به عليه فسلم معه الامر عن مس العنت والانتحال واما الباقون
فان الكتب نفذت الى العمال في تقفيهم للاستقصاء عليهم فمن
اظهر البراءة عن قولهم التشنيع واعتقادهم الموجب للتبديع ترك وشانه
من عقد المجالس للتدريس وتشرف المنابر للتذكير ومن اصر على
دعواه ولم يختر لنفسه مثواه جعل غناه عليه حصيرا اورد لسانه
دون الفضول قصيرا وخلع السلطان على القاضي خلعة لا فتن جلاله
قدره وزخارة بحره ورعاية لمرام من حقه وابعادا تمهيد
امره وصرف كلا منهما على جملة الايناس والتفخيم على اعين الناس
ولم يزل غصة قول التجسيم ناشبة في صدر ابي بكر يضيع الايام
على نهزة المكافاة بها الى ان استتب له الامر في عقد محضر على
انتحاله مذهب الاعتزال وتحجر خطوط قوم من الاعيان سلكوا
فيه طريق المساعدة او تنفسوا به عن وغرة المنافسة فغيظ ما لا يطاق
داء دخيل وهم على سر النفوس نزيل واحتيل في عرض المحضر

سلاحه

على السلطان استنفاسا لصورته لديه فوقع التزوير موقعه
من الاحفاظ عليه وولى ان يبحث عن صورة المدفوع في احقاف
من صور وابطال من نذر فانهض قاضي قضاته واحد ثقاته
ابا محمد الناصحي من لم يشركه احد في اصطناعه والجذب الى العلاء
بباعه فانه استخصه على طراءة شبابه وحلة بين قبل ما يوجدان
في قبح الاسنان فضلا عن احداث الفتيان والشبان ومنهما العلم
والورع لغوان دونهما الدر والياقوت والصحة بالكفاف من القوت
واقعده بغزنة دار الملك للتدريس والفتوى واصباح الناس
من ساطع نوره في التقوى حتى اذا بهر كماله وطفح بالفضل مكياله
ولاه القضاء على القضاة في عامة دياره ممالكه ثقة بقوته وامانته
وورعه ونزاهته فتولاه بنفس كصفحة الشمس طهارة ونقاء
وروضة الحزن ديمتها السماء عشاء وامر بان يستحضر القاضي
ابا العلاء صاعدا وابا بكر الاستاذ في وجوه الرتوت واعيان
الشهود ويطالب باقامة الشهادة على الدعوى المذكورة على رؤوس
الملا من غير محاشاة او جنوح الى المداهنة ومحاباة فقابل الامر
بالامتثال وتجافى عن حرمة العلم لحشمة الملك وهيبة الجلال
وسال ارباب الخطوط عما عندهم من قضية الحال وجلية المقال

فاما ابو بكر فانه اراد ان يتلافى باغي الخطب فزعم ان الاشتراك
في رتبة العلم احدث بينهما منافسة تنازعا معها مذهبي التجسيم
والاعتزال فلا صح ما نسب اليه ولا تقرر ما ادعيه عليه واما
الآخرون فمن جار على حكم المساعدة في المحاباة والمهاودة ومن
خادر لئام للاحتشام في التصريح واطلاق الدعوى باللفظ الفصيح
مكشفة عدلت الشهادة الى التعصب وجاوزت حد المعلوم
الى التغيب وسيء لذلك وجوه اهل الرأي حتى كادت تثور فتنة التغضب
لولا هيبة السلطان اخرست الالسن الطوال وضربت على النفوس
النطاق من الانخزال وتلطف قاضي القضاة لعرض الحال
وتقرير صورة المحال فاتفق ان تحين الامير ابو المظفر نصر
ناصر الدين في مجلس السلطان فرصة القول في باب القاضي ابي العلاء
فنبه على سمته وسيماه وابانه عن ورعه وتقواه والتمس على
سبيل التلطف ان يقع تلافي الغضاضة وتدارك المهانة الطارية
عليه بعزل من تصدى لمكاشفته وتعرض لاستفساد مكانته
فوثق به السلطان فيما قال وحلف بيس ان صاحبه اجل من ان
يعتقد الاعتزال وامر باشخاص من انتدب لمراغمته ومقابلته
بما اقتضاه جهله وقاحته واستخلص القاضي قرارة بيته فلم يكن

[illegible] ١٢

يبرز الا لفرض تقضيه او علم يمليه مجتزيا بالله تعالى جده عن
غيره ومقتنعا بما ادر عليه من خيره وراى ان بقية العمر اجل
من ان يضاع على القيل والقال وخدمة فضول الآمال وزاولة
ما يصم قدر العلم بالابتذال واستتباب ولدين له كالفرقدين او الشعريين
ابا الحسن وابا سعيد شريكي عنان في المروءة والفتوة رضيعي لبان
في اوامر النبوة واحكام آيات الله المتلوة في قضاء المواجب واحتمال
النوائب فعفى له عن حقوق الناس وفرغ لعلم النظر والقياس وحظي
بمثل ما انبأ عنه ابو الفتح البستي من حاله بقوله

قد جمع الله اربعا لي فيهن عزي وحسن حالي
بلاغ علم مساغ شرب رفاغ عيش فراغ بال

نعم واطلق تمادي الايام على نباهة ابي بكر وارتفاع مكانته واتساع
حشمته ونباهته وانبساط ايدي حاشيته في اموال واعراض اهل
ناحيته واستمرار العناد بينه وبين اعيان اهل جهته الى ان الجمهور
بحضرة السلطان بما طغى من حاله وبغى من خرج حباله اذلالا بافاعيله
واعتمادا ابن عمه على ما سبق العلم به من خلوص ضميره ودرشاي سبيله
فتمادى لهم احتمال مدة من الزمان بعيدة محافظة على الصنيعة
من الانتزاع والعقة من الانتجاع وابقاء على المحل المرموق في الله

من ان يلم به انحطاط او يتخلل له ارتباط حتى اذا جاوز الاحتمال
حده وامتنع المستزاد بعده عقد السلطان رياسة نيسابور لابي علي
الحسن بن محمد بن العباس وقد كان جده في دولة آل سامان مجدودا
وفي جملة الاعيان والثناء معدودا واثره فيما بين آثار الرجال محمودا
ووافق ابوه ايام السلطان اول مقدمه خراسان وانتصابه منصب
اصحاب الجيوش لآل سامان فانجبل حلفاهما على مناسبة الشباب
وعرف السلطان له حق الخدمة والاصطحاب غير انه اعتبط في شبابه
نعامة حمايد او دك امري يوما مداه الى الردى وكان يجرب ابا نصر احمد بن
ميكال بقرابة واواصر مستحكمة فنشأ في جملته نشأة المقبل وخرج
خروج القدح قدح ابن مقبل واحدث له شكر النعمة حشمة وصغو
الحضرة ادبارهم فلما مضى ابو نصر لسبيله انتهى الى السلطان حاله
في كيسه وذكائه وظرفه ولباقته فاستحضره ليخبره فوافق اولى
النظرة قبولا وطرفا بمورد الاعجاب محلى وازداد على طول الخبرة
وفاقا وعلى سوق الخدمة نفاقا فانما نمو الاشياء اصلحها التدبير ولقحها
التأبير ونماء الثمر حتى سمت به المراتب وتوجهت اليه الرغبات والرغائب
وقابلت حشمته حشمة ارباب الجنود وسادات الاقلام والجدود
وكان غرض السلطان في عقد الرياسة له ان يقع بمن انعقدت

له بدايته الثانية والتعبد وسابقة الترهب والتزهد وقدر ان الذي
حظي به معقود بالدين فلا سبيل الى حله ولا امحاق ابدا لمستهله
ويرجع به الى ما يوجبه حكم التقية من رفض المراتب العلية والمطامع الدنيا وية
ولما ورد مما ساس اهله سياسة لو عاش لها زياد لعاد الى
سياسته بعين استزادته فخفقت عليه ضرائب الجنائب وسكن حتى
دبيب العقارب وهدا حتى شغب الاداب وسكن حتى ذوي المذاهب
وكانما اقبل به شفيف الشتاء فلحق سامة او هامة في اوجار
الحجرة وبالمغار استتره

لابي تمام

لقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقاربه

ها ان هيبة السلطان هي التي خطمت الهاميم وخطمت الاقاليم
فلو وكل بعض همته برواسي الجبال لاصبحت منسوفة او بطوامي
البحار لعادت منزوفة فما خاطر خطة يتيه بها عن الرشد تايه
ويعمى عندها عن قصد الصواب نبيه او نابه ومن احس في جنب
مثاله فعن عون القدر وحكم الفلك الدوار على البشر واني لنا ان
يجمد على جمر المريد شهاب او يمدح على سقي المجول ذهاب وتطرق — تطرق
الريس حوالي المقصود ينتزع منهم ما اخذوه رشا واختسوه شربا
وكشا ثم نقلهم الى بعض القلاع عبرة لمن اكل بالله واظهر الزهد

ثم لم يتوكل على الله وهم بصاحبهم فأخذ حذره وارخى من دونه ستره
ولم يقصد السلطان قصدا استيصاله ونفضه عن فضول ماله
فنزل عن ذروة الحجاب على قدم الزهادة وغصص الطعام عن العادة
وعطف من بعد الى جماعة الاشراف العلوية ذوي الاقدار العلية
واشعرهم ان حشمتهم بالطاعة موصولة وحرمتهم بلزوم القصد
وترك تعدّي الحد مكفولة فتلقوه بالاجلال وقابلوا امره بالامتثال
علماً بانه ظل الله في ارضه فما ينبغي منه غير الانقياد والميل على الغلو
للاقتصاد واستخلف على الرياسة عند الشخوص الى الحضرة ابا نصر
منصور بن رامش وهو يضرب بقرابة الى السلطان لا قطعها عليه صيانة
له من تغيير الاكرام وتنبيه الرجال عند ذكر الارحام فطوّع له قياد الكرام
الاحرار واشراف البلد والزمهم ان يخدموه بكرة واصيلا ويخصوا
بطاعته جملة وتفصيلا فمن ورم انفه دون طاعته شريفا كان او
مشروفا نفي عن بلده وعري عما تحت يده فشخصت اليه الاعناق
واحدقت بفنائه الاحداق واستتبت له رياسة لا عهد لاحد بمثلها
من رؤساء خراسان الا ابا عبد الله العصمي فانه بلغ مثلها ولكن
على عمر مديد وعز عتيد وباس شديد وخدم وعبيد ومال ينادي على
العفاة هل من مزيد وفرش في زمانه بساط العدل فقواعد الاحسان

كرجالات الثروة والرياسة اشتراكا في الانصاف ونفقت سوق الاحتساب
بالدرر فوق الاكتاف فمن بدعة مرفوضة وسنة مخفوضة وحدود على
الحق مقامة وعيون دون الفضول منامة وبطلت معها الحانات والمواخير
وخرست العيدان والمزامير وركدت الحان الناي والسكارى واستوى
في الاتجار والتبايع بما وراء الاستار عون النساء والعذارى فاما
شوارع اسواق البلد فقد كانت منذ بنيت نيسابور فضاً لا يخيّمها
غطاء ولا يظلها دون السماء سماء فتخرقها الاعاصير تارة وترد عنها
الاهاضيب اخرى فاما التراب مثارا واما الانداء ثلوجا وامطارا ولم
يفطن احد من ملوك خراسان واصحاب الجيوش بها لالحاقها باخواتها
من ديار خراسان تسقيفا لها وتستيرا وتنظيفا عن الاقذار وتطهيرا
حتى ورد الرئيس ابو علي فطالب اهلها به فلم يمض شهران حتى سمكت
نحو السكك سقوفها وقامت على اكتاف الاعواد حروفها فمن بين
منقش ومزخرف ومدبج بالاصباغ ومفوف تنفتح منها فرج بقدر
ما يملي ضياء النهار على الابصار دون ما يتوسع لذرور الغبار ويمكن
لذرور القطار وخمن البصراء استغراق قدر العمارة مائة الف دينار
عن طيب النفوس وفضل الكيوس لم يكلف احد عليها ولم يستكره
دون المانيها بل عمتهم المباهاة وشملتهم المباراة فانفقوا

وصوح السر
السمو والعصرا

موفرين ومتبصرين وأنفسهم على العجز دون المراد مستقصرين
فمن تسوق تاسعا او عاشرا ليس باديا او ثانيا رد الى الكاهل فزاله
وترك على شكل النظر اشكاله فيالها من شمل شاخص تحت السماك
والسماك وزايدا فلكا ثامنا على الافلاك ولما عاد الرئيس الى
الحضرة وقرر حال ما تولاه ومن عزله وولاه وافق هوى السلطان
ورضاه فصادف تقريرا وتحسينا واحمادا واسعا مستبينا وسنورد
شرح ما تجدد من هذه الاحوال ان اراد الله ويسره

ذكر الامير صاحب الجيش ابي المظفر نصر بن ناصر الدين ابي منصور سبكتكين

قد كان السلطان لما ملك خراسان واخلاها من شرذمة آل سامان
عرف له موالاته اياه في هجرته فيه اسمعيل بن ناصر الدين اخاه اعظاما
لحق الكبر واعترافا بواجب الفرض فولاه نيسابور مطية اصحاب
الجيوش الاكابر على وجه الزمن الغابر سادا به مكانه من قبل
اذ هو سايس الجمهور ومدبرها بتلك الامور ومن وضع اخاه موضعا
قد سده قبل بنفسه وراه اهلا لبعض قدره فقد بالغ في البر
والتوقير وخرج من عهدة التقصير فولها سنين عدة حميد السيرة
في الخيرة كريم الفعال في سياسة الرجال وجرى على يده من حميد الاثار

في مطاهة ابي ابرهيم المنتصر عند ركضاته وكفاية ما كان يطرا من
معرته وشذاته ما تقطع شوكته ثم راى السلطان بعد ذلك
ان يجمع به شمله ويتصل بمشاهدته حبله فاستدعاه واهل به منتجعه
ومغزاه فلم يزايله بحال ولم يفاصله في حالتي حل وترحال وكان
يراه في مقاماته اول سهم في المحاماة على دين الله والمراماة من دون
حق الله ووافيا اباه بمهجته ان كشف زحام او عظم على جيوش حق
الله استلحام شفقة يحيش بها لحمة القربى ووشيجة من الرحم الدنيا
وكان ينصر مذهب ابي حنيفة رحمه الله اعتقادا ويرى الاستمساك
به رشادا فاقام بمدرسة نيسابور في جوار القاضي صاعد بن محمد وانفق
مالا جما في ابتنائها وحبس حبايس على من اواها ودرس بها مالي العلم
في ذراها فبقيت تذكرة عنه تغدى بالعلم وتراح ويثنى عليها الامساء
والاصباح ولم ينقم السلطان دون ايامه منه قولا محالا ولفظا دون
الصواب مستحالا ولا شكا احد من الكبار له جانبا وفعلا لاشفاق
الروس على الاتباع مجانبا وقضى الله ان خانه الشباب ولما استوفى
امده ونفض بباقي الامل فيه يده فلحق بالواحد الغفار ان الكرام
قليلة الاعمار كتبت في مرثيته رسالة سلكت اثباتها في ذكره
ففعلت اذ كان في ضمنها ما يفي بشرح حاله وتقرير بعض خصاله وهي

آه من حسرة على الارباب آه من سفرة بغير اياب
آه من مضجع الامير المفدّى فوق فرش الحصا وفرش التراب
نصر ابن الامير ناصر دين الله صدر الحروب والمحراب
صاحب الجيش درّة الشرق تاج الفخر غوث الكرام والكتّاب

نعاً يا ساسة الرجال يا سادة الفعال يا اعيان العلوم يا اخوان النجوم يا شيوخ الاسلام يا عيون الكرام يا احرار الزمان يا انصار السلطان **نظم** نعاء الى الخلق حيّ نعاء فتى الكرم احتل ربع الفناء
اتدرون اى ركن انهدم واى حدّ انثلم واى عقد انفصم واى سوار انفصم واى روض ذبل واى نجم افل واى بحر نضب واى طود تحصّب واى خطب نزل واى نصر رحل رحل والله نصر للامير الجليل ناصر الدين الامير ابن الامير والشهاب ابن الاثير والبحر ابن الصبير والحبر ابن النحرير والعنبر ابن العبير مرخ الملك وعفّه وسور الدين وسوار وركن العز وعزان ونور المجد وعران وغارت به بحيرة الادب التى استعذبتها الشفاه وضلّت قبلة العلم التى ولّيت شطرها الجباه وعريت دوحة الكرم التى خبطتها العفاة وجفّت طينة الفضل التى خدمتها الكفاة وطلّقت كريمة البر التى درس عليها التوحيد وغنى بها اليافع والوليد واحيلت عليها قواصل

النهى وجليت عواطل الاسحار واقشعت سماء شام ابنا الدين بوارقها وخاف احزاب الكفر والجحود صواعقها فلانا رولاما وآخوف ولا رجاء فاضحى به جيب الزمان مشقوقا وسكر الحدثان مبثوقا وبناء العز منقوضا ولواء المجد مخفوضا ودمع الدين مسفوحا وطرف الاسلام مجروحا واقبل العلم فى صورة المفجوع وبزة الخشوع يفرمط خطوه وينفث الى اهله شكوه مغرقا فى صعدا تذوب لها جوامد الضلوع وتنقدّ عليها لواجب الضلوع
فلو غير المنون اتاه اهوى اليه اخوه بالبيض البواتر
يمين الدولة الملك المباحى صباح الدين مصباح المفاخر
الا يا صاحبىّ سمعتما الى ان هنتما مسعدين جامعين الى كلتى اليدين

الما على نصر وقولا لقبره سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
فيا قبر نصر انت اول حفرة من الارض خطّت للسماحة مضجعا
ويا قبر نصر كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميّت ولو كان حيا ضقت حتى تصدّعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى نصر مضى الجود وانقضى واصبح عرين السماحة اجدعا

لئن جاز للموت ان يغصب الامير نصرا لقد ساغ ان اغصبه معنا
وابن معن من شقيق ملك الشرق وسايس جمهور الخلق والقاعد من قمة
الفرقدين على الفرق سلطة الزمان يمين الدولة وأمين الملة من دانت
لعزته القروم واستكانت لهيبته الترك والروم ففي بعض الف معنى
لم يرق اليه معن بهمته ولم تلق له ذكرا في ديوان نعمته نال حظوة
من سلطان زمانه باتفاق اذا الحرب قامت على ساق ودارت كؤوسها
بين حاسر وساق وقد فضحه ابن بنان في جوده وفضله بالسخاء
عن موجوده ثم لم يعرض له قط صيانة لفعاله ولم يعترف عليه من بعد
ذهابا بعز جاله وجماله   ها ان الامير نصرا ورث العز اباه
ولم يخدم مدى العمر الا اخاه ولم يشغله غير فراغ الاكياس عن شغل
المواهب وفلول الاسياف عن قراع الكتائب وقطيعة الدنيا في
صلة الرحم وعصيان الهوى في طاعة السلطان ولي النعم نشا بين القرآن
والتفسير والايمان والتذكير والعلم بالصلوة والصيام والفرق بين الحلال
والحرام وسخر الورى بطرف العنان في سن العلى بحد السنان قد اقتسمت
ايامه شرائط السلم باسمة الثغور او الحرب ظاهرة البسور فاما
المغافر والبواتر واما المحابر والدفاتر واما المحاضر والمنابر
واما القماطر والمساطر فيوما في جحيم الغضب ويوما في نعيم الادب

ويوما بين ظلال السيوف ويوما بين معاني الحروف رفيقه اذا احتمى
زنج او قبيعة ونديمه اذا احتبى حكمة او شريعة فكم في ديار الهند
له من وقائع انطقت الحديد واخرست الوليد وفي كرت البثوق
وفجرت العروق وغادرت بيض الرباع في فحمة الليل وحضنة الحربي
عن ثميلة الحديد وكم في نوادي الفضل له من محاسن يلثم اطرافها
الحلم وتعشق اوصافها الامم وتسجد لاعقابها الحكم ويأوي
الى برد ظلالها الكرم وقد غنيت بذوي العقول عن صفو الشمول
وبحلو المقال عن كعب الغزال وبغرر البراهين عن نزه الرياحين
فالخليل عن ذكره محشوم وكان سيبويه من طيب نشره منشوق وايمة
الهدى عليه عكوف وملائك العرش حوله صفوف فمن صحيفة الذكر
منشورة ومن اخرى باقلام العدل مسطورة لا لغو فيها ولا تاثيم
الا قيلا صوابا وحديثا كخالص التبر مذابا نفس عليه الدهر مكانه
ان الدهر غيور وعلى عقائل الزمان جسور فصرعه جيادا للنظر
واضجعه عنانا للاخرار شاغلا عن الجود يمينه وعن السجود
جبينه وعن الذكر لسانه وعن الغزو سيفه وسنانه حتى اذا كاد
يطمع في انتعاشه واستمكانه وقد وزن على معيبه الفداء باضعاف
جثمانه فجعه بروحه الطاهرة ونفسه التي لم تغذ الا لنعيم الآخرة

فسحقاً عن النعيم انضر ما كان غصن شبابه، وانطقه فصل خطابه،
واكرهه عود نضاره، واحفظه حتى ذماره، وثقه بالدنيا دار قراره، فكم
هنالك من ستور مهتوكة، ودموع مسفوكة، وجيوب مشقوقة، ورؤس
محلوقة، وصدور مكلومة، وخدود بنعال السبت ملطومة،

رمى الحدثان نسوة آل حرب، بمقدار سمدن له سمودا،
فرد شعورهن السود بيضاً، ورد وجوههن البيض سودا،

حتى اذا نشر رداء الردى عليه، وقربت حمولة البلى اليه تنازعته اكتاف
الرجال، كما تنازعته قبل طمحا الآمال، فكان الشمس غربت من
حثو التراب، وان الارض غصت في دموع المصاب، والآذان موقورة من
رفع العقاير، والابصار مخطوفة من نقض الغدائر، وقد غدت الوجوه
مسفوعة للنظر، والجيوب مخشوعة للاعين، والعيون بين جموم
تجري سوافيه، وجمود لا تندى مآقيه، وودت زهر النجوم لو صار فن
ليلاً فدعون ويلا، وتناوحن على المصاب خيلاً فخيلا، فاما الليد
فقد احسن فيه من قال، وان ركبا لد ارتجالا،

لقد بكت الليالي في دجاها، لموت القرم مصباح الانام،
واشخاص النجوم الزهر مما، تخشم من مدامعها السجام،

ونظل هجيرا لدنيا كل سائر، وصار الى موقف الوداع جائر،

من كان مسروراً بموت اميرنا، فليات نسوتنا بوجه نهار،
يجد النساء حواسراً يندبنه، بالصبح قبل تبلج الاسحار،
يخمشن حر وجوههن على فتى، عف الشمائل طيب الاخبار،
قد كن يخبأن الوجوه تستراً، فاليوم حين برزن للنظار،

ها انا لله وانا اليه راجعون من شعوب تركت القلوب شعوبا،
واوسعت الاكباد ثقوباً، وكظمت النفوس كروباً، وسفحت العيون غروباً،
وفضحت الوجوه قطوباً، ونزت فنا الاصلاب انبوبا فانبوبا، وسارت
بشخص العلى الى فرضة البلى فرداً وحيداً، لم يغن عنه جوده، ولم يجد
عليه جنوده، ولم يقاتل عنه قبوله، ولم يناضل دونه مرده وخيوله
خلا انه فاح ذكا ماثره كما فاح ريا مجامره، ووهت على عزيته الرقاب
كما وهت حين اثقلها النعم الرغاب،

فليس نسيم المسك ريا حنوطه، ولكنه ذاك الثناء المخلف،
وليس صرير النعش ما تسمعونه، ولكنه اصلاب قوم تقصف،

ايا ويل العفاة من بعد ما حالهم، وما فعلت بهم آمالهم، لقد انقصم
والله محالهم، وانقطع دونها نيل الموات حقهم ومحالهم، كاني بهم غادين
على سدة كانت بالابواع تتشبك، وتلتزم، وبالافواه تستلم وبعثير
ركابها تتمسك، وبجدة اركانها تتنسك، قد اقفرت فلا باب

والابواب والحجاب لا حجاب يسألون ابن الامير وما فعل السرير وابن
الحاجب والوزير وابن المنادم والسمير وما هذه الوحشة المستطارة
والغبرة المثارة والظلمة الداجية والغمة الناجية يقولون
ركب الامير يزور اباه ويحيي بالسلام محياه ويقضي نذر الاعتكاف
على ثراه ويعتذر من هجرة طال عليهما مداه افمن يركب للسلام تخذل
ابوابه ويعدم بوابه وتعزل حجابه ويوحش منتابه هالته الركوب
فمتى المعاد يقولون ميعاده والله المعاد الم يروا عروشه بالامس ممدودة
وغروسه محصودة وجياده مهلوبة وسروجه مقلوبة واياماه
مفجوعة وايدي بناماه فوق الهام موضوعة هنالك نادوا ثبورا وعلموا
انه الحق مقدورا وعقدوا دون حمامه ابين مناحة وندبوا عين
الورى ادبا وفصاحة وكرما وسماحة وافعالا كما اسفر الصبح وابرز
كفه الكليم مغداة ومراحة يعتبون على الحجاب وقد غدوا في بيض
الثياب اينزع السواد وقد كذب الحداد الان الحوج ما كنتم اليه تحتمون
هلا خالفتم الرسم للوجوب ولبستم لبسة المنكوب ووقفتم وقفة المحجوب
للسيد المحجوب

يا قوم ليس بياض الثوب زينتكم وقد فجعتم بمولى كله كرم
ردوا عليكم جميعا فضل لبستكم ان الحداد على المفقود ملتزم

فطفقوا يتناشدون بينهم عتبا على الزمان وندبة للفضل والاحسان

يا دهر دونك ما فعلت فقد غدا بك كل ما تخشى الرجال سليما
من ذا الذي يرجو وفاءك بعدما غادرت نصرا في التراب رميما
من كان اعذب شيمة وسجية والذ مكرمة واطيب خيما
ومن العجائب والعجائب جمة ان الانام وقد غدوت مليما
يا دهر مالك طول قتلك ترتعي روض المعالي بارضا وجميما
يا دهر مالك والكرام الى النهى ماذا يضرك لو تركت كريما

لئن سر الامير اباه بلقياه فشفى غلة لوعته وصداه لقد ساء
اخاه بان عدم مثواه وافتقد مصبحه وممساه ووكل من بعده الى
نواهس الارض ولواحس التراب قراه لكنه ما يصنع وسيف القضاء احد
وحكم السماء امر لا يرد

ومن قبله ما قد اصيب نبينا ابو القسم النور المبين بقاسم
وخبر قيس بالجلية في ابنه فلم يتغير وجه قيس بن عاصم
وقال علي في التعازي لاشعث وخاف عليه بعض تلك المآثم
اتصبر للبلوى عزاء وحسبة فتوجر ام تسلو سلو البهائم

ولا در در الموت من وقاح وقرن كفاح ما انشبت نابه الا افترس
ولا اجح مخلبه الا انتهس سواء عليه الملك المحجب والسلطان المغلب

والفقير المستضعف • والسوقة المتنصف •
ألا تعس هذا الموت كيف ارتقى إلى حمى قصره العالي المنيع الجوانب •
فمر على تلك القنا بدل القنا • وجاز على تلك القواضي القواضب •
عجبت له والموت ليس بمعجب • وفيه إذا فكرت كل العجائب •
لعمري لقد جرى جرا حين عرا على نهاب النفوس واغتيال الكتائب •
ذخيمة فتح الحصون وإنها سوامي المرامي في ساميات المراتب •
وبصره بالقتال في غزواته • ورمي الرزايا وافتراص المضارب •
فكر عليه شدة الليث وانتحى • لطوف فحول السوء حول القرائب •
ومن عجيب الأمور في حكم المقدور • أن اخترم الماضي برد الله حفرته
دون غرته حتف أنفه على خطره بنفسه • في قحم الحتوف • وأعراضه للشهادة
بين الأسنة والسيوف • كخالد بن الوليد حين وافى أجله إذ قال
ثاورت الحروب منذ عقلت فما في بدني مغرز إبرة إلا وفيه جرح ضربة
أو وخز طعنة • وها أنا أموت ميتة الحمار • إن الحكم إلا لله الواحد
القهار • أوكلا ما شبهها به أما أن خالداً لم يدر أن سيف الله لا
يقتل بالسيف • وكذلك الفتك به نوى إلى موت الشباب من خصاص الحيف •
وأن الله تعالى لما جعله أكرم النفوس مناقب • قيض له أحمد الأمور
عواقب • وقد فرغ ابن الرومي من هذا المعنى فجوّد • وبيّض وجه الرهان

نسخة الطبعة

بما سوّد •
إن لم يكن ظفر الهيجاء منيته • فأكرم النبت يذوي غير مختضد
أما ترى الغرس إذ يذوي كرائمه • إلا على سوقها في سائر الأبد •
لميتة السيف قوم يشرفون بها • ليسوا من المجد في غاياتها البعد
عز الحياة وعز الموت ما اجتمعا • أسنى وأبهى لبيت العز ذي العمد •
موت السلامة للإنسان نعمته • وإنما القتلة الشنعاء للأسد •
لم يعمل السيف ظلماً في ضرائبه • فلم يسلط عليه كف ذي قود •
ولعمري إن الرزية به قدس الله روحه لقاطرة الغموم • مشاطرة
بين الرجال على العموم • غير أن القاضي أبا العلاء وسائر شيعته •
وأتباعه من ذوي شريعته • أوفر من الأحزان أقساطاً • وأشد على
مرائر الأشجان ارتباطاً • فقد كان عرّف الله تربته لهم ظلاً ممدوداً •
ومشرباً موروداً • وكهفاً مقصوداً • ولواء على نصرة الدين معقوداً •
ولولا أن الله جل ذكره سد ثلمة المصاب في خلة الكتاب •
بملك الشرق وسيد الغرب • وحجة الله في الأرض سلطان الزمان •
يمين الدولة وأمين الملة • أطال الله بقاءه • وحفظ على الدين والدنيا
بهاه وسناه • ففي بقائه عوض من كل شاجب • وخلف من كل غارب
أو عازب • لاتسع القول في عظم هذا النعي • وفقد ذلك الشهاب المضي

والنقاب الالمعي غير ان النعمة بحمد الله فيما بقي ضافية اللباس
نامية الغراس ناضرة الاكناف حافلة الاخلاف فلا زال فضل الله
عظيما وصنعه لديه جسيما ولطفه كريما ولا خلف عنه الزمان
يتيما والمنة لله فيما عراه راجحة الصبر وعرفه فيما غزاه فاتحة
النصر واقرّه ملك الوهم مواهب تنخرط الدنيا في سلك ملكه
ويقرّرها بحق الوجوب في قبضة ملكه ورحم الله ذلك الامير العظيم
الخطير والجليل الفقيد المثل البديل رحمة تبرّد ضريحه وتقدّس
روحه وريحه وعرف له مساعيه في الذبّ عن دين الله والسعي
في سبيل الله والقرض من ماله لاولياء الله وعوّض المشايخ السادة
عمّا دهاهم فادهاهم ثوابا يحفظ عليهم دينهم ويثقّل في موقف
العدل موازينهم وجعلنا من المستعدّين ليوم الدين ان حكم الله
يقري الحفلى في الخلق فيهما شرع والآخر للاول تبع

ذكر ما انتهى اليه امري بعد بلوغ هذا المكان من شرح حال السلطان من قصد الوزير شمس الكفاة واقتضائه حقّ الخدمة والموالاة

قد سبق في اول الكتاب ما سلف مني الى الامير ناصر الدين سبكتكين
انه الله برهانه من خدمته وتمهّد عنده من الي ذمّته وغرست
اثناء ذلك في التقرّب الى الوزير شمس الكفاة والتكفّل بما رآه
والتجرّد لما ارضاه ما رجوت على الايام ايراق شجره وايناق نوره
وثمره بعد ان صادفت من آثار رعايته ما لم يكن يليق الا بهمّته
وما ثبت من كريمة المجد في ضمان ذمّته فرأى عند وصولي اليه
وعرضي مجموع الكتاب عليه ان يسمني بالتقليد ويسيّرني
الى كنج رستاق على البريد وعليها فرعون يومئذ ابو الحسن البغوي
شيخ ظاهره نوره وباطنه ديجور ومنظره متن السيف ومخبره
ردّ الزيف واوّله منشور العاسل وآخره قرون السنابل فاستنج
موقفي عليه بسبب انه لم تناسب حشمة الامر ولا جرمة الاقلام
والمحابر يومئذ من جانب انه مبعوث ومن آخر ان الحقد موروث
وقد كذبنا ان الزعاق من منبع الشرب محال وورائه مخبآت الاولاد
حلال وما علمنا ان موالاة الابناء معاداة الآباء وان والدا كارشح
ولده ويطوي على الداء الدفين معتقده حتى يباغض من رافقه
ادعاهمه وضرب على جوب عقد الموالاة بيده وساءني خيانة
الدين بمواطاته على جبائر تعلق الرقاب وتوجب في عواقبها العقاب
حتى اذا علم ان مثلي لا يقرّ على الباطل ولا يرضى باستيكال اليتامى

في وصفه بالحقد

والآمال وكاد ان يغرقني في دردور ثنية بني نبهون فاختال
واكتال وحرش على الامراء الاشبال وابى الله بعلمه بعباده
الا ان يحيق به مكيدته وتنكشف عن اقواء الزور وابطاء الغرور
قصيدته ولما ايس عما رامه وابلس دون ما جرد له اهتمامه
واعتزامه عرج على استنزال شمس الكفاة بسحر التمويه وعرض
صورتي عليه في معرض التشويه موهما اياه اني لم اصغوا في بعض
مناظرتي بها على رتبة المقابلة او وازنته بمعيار الموازاة والمماثلة
علما منه بان حلمه لا يستخف الا بهذا التاويل وان رايه لا
يستميل الا على مثل هذا التخييل حتى نفذت فيه رقيته وعملت
في استنزاله دخلته فتشرب حقدا تشرب الارض من صوب
العهاد والكف من وشم السواد والثوب من صبغ الفرصاد او لون
الجساد وعلم الله اني لم اكن لاضمر كدرا على صفاء او اسر حسوا
في ارتغاء او استجيز غمصا لصنيعة او طمحا على عين شريعة
فيهي من نكب عن نهج الوفاء وغيب دون فرض النعماء ودوع حق
المنعم المثيب ورد الحجر على قرارة القليب ونزعني عما قلدنيه
بقدم من اهل جرجان لا يعرف النشر من الغي ولا الظل من
الفيء ولا النشر من الطي ولا النقد من اللي ولا الاثبات من النفي

وصير بالجهل

ولا جرجان من الرهي شوهة بوهة قد صيغ من طول القناة وزرقة
البزاة ولبقة الدواة وصفاقة الصفاة وتجبير الصحف بالعشرات
طالما خر على العشوق تشمما للتراب وتخففا للعصا في الجراب وتصرفا
على المكس بالصروف وتحجيا للانف بنقط بين الحروف وطفق
بعد ينتضح لكنة عجمية في شعر كشعره الموصوف بوثارة الصوف
مستمجحا كل صراف واسكاف وعطار وبيطار على سعر صفقته الاولى
اذا السلعة قايمة والجلة رايمة والحلة راقمة والسبحة ممطورة
والنخلة مابورة وعبرنا على هذه الجملة في الوقاحة والوتاحة
ثم انتجع خراسان ببضاعته المزجاة فوافقت على النظرة الخرقاء قبولا
ولبست من عز العطاء غرة وحجولا فلما تعقبها التأمل علم
ان خرق الانفاق ضيع المال واورث الوبال فاستمل مختفلا وغودر
في قتلة شعره مرذولا الى ان غر شمس الكفاة عن نفسه فاختاره
علي ونفذ معه مكيدة البغوي الغوي الي فقصدت من المكروه
في الروح دون سائر الممنوح بما لولا مكان الامير الاجل ابي سعيد
مسعود بن يمين الدولة وامين الملة وفضل احسانه واستنقاذه
اياي من فجوات اشداقهم باحد غلمانه لتراقى الخطب الى ما يعز
تلافيه ولتغلق رهن الحياة فيه ولو كنت علمت من سيرة البغوي

تبدل ما عرفته بعد ما استعفيت من جواره، واحترست من مساقط
أحجاره، لكن السرائر بعد الله لا يكشفها إلا الاختبار،
والظلم في خلق النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم،
وقد كتبت إلى جماعة الأفاضل في ذكر المذكور شكواه وتقبيح
سجاياه ما هذه نسخته

رسالة

بسم الله الرحمن الرحيم، جماعة أرباب الصناعة وعصابة أعلام
الإصابة من مبادي الإشراق إلى أقاصي العراق من محمد بن عبد الجبار
المعروف بأبي نصر العتبي، رسالة تخص كل حاضر موجود
وتعم كل لاحق مولود، ما سمع للحق أذان، وأطلق على الكفر عنان،
وشيم في سبيل الله حسام، وأقيم على كتاب الله نقط وإعجام،
سلام عليكم ما راق شارق مضروب، وأراق بارق سكوب، ودر على
الإبساس حلوب، وكر في حومة البأس فارح يعبوب، سلاما تميد
على نفحات السحر قضبانه، وتنم على فتات المسك والعنبر أردانه،
أما بعد فإن الله تعالى جده بإزاء نعمه التي تتبلج للسارين
صباحها، وتتبرج للناظرين وشاحها، معدلة القدود، موردة
الخدود، مصفرة القرون، منورة الشؤون، معلقة العوارض،
مدبجة المعارض، مخضبة الأطراف، معطرة الأردان والأعطاف

رسالة من ... على الطائف ...

منا على عباده ابتداء، يقتضيه حكم كرمه أو ابتلاء، لآثامهم في جنب
نعمه نقما قائدها شؤم الخذلان، وسائقها لؤم الكنود والكفران ن
تخالط أبناءها مشوهة المطالع، منفشة القنازع، مروقة المحاجر،
مقلصة المشافر، مغولة المعاري والمحاسر، تصرفهم بين أخلاق
منقوصة، وأخطار مثلومة، وأعراض مكلومة، وأفعال بعاجل العار
وآجل النار مختومة، وقد تتخيل النعم بأعيانها نقما منكورة، كما
تتخيل المحن على أربابها منحا مشكورة، تطبعا على خلق الكريم
وتنزعا على عادة المقصود بالإحسان، كالجعل يعطر من نوافح
الندود المعطرة، والجو يذفر من روايح الحشوش المقذرة، والمزن
يسقط على عرصة الروض فتوليه طهارة ونضارة، ويهبط على
فروة الكلب فيعديه نجاسة وقذارة، والماء القراح تسقى عروق
الشجر فيقضي عليها باختلاف الثمر، فيقبله كل منها على ما كتب له
من مرارة وحلاوة، ومرازة وحرافة، وكثافة ولطافة، يسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الأكل، قدرة من البدي الأول الأبدي ى
الموجود في الأزل، إن شر خلق الله نفسا وشيمة، وأخبثهم
فتنة وقيمة، من تضيفه صنع الله ريان من ماء الطلاقة نشوان
من صهباء اللباقة، فينان من غلل السماحة، ميسان في حلل

الراحة حتى اذا حط رحله وخالط بالبشر الخصيب اهله قراه من
بؤس الخصال في عبوس الملال وضرة الاستبدال في مضرة الابتذال
ما يطير واقعه ويهيج وادعه وينشز ودوده ويعقر ولوده فيرحل
في سواد الحداد شاكيا سوء الجوار وخفرة الذمار وذلة المقدار
وغلظة الاحماء والاصهار ثانيا على ثنية الوداع صليفه
متمثلا بقول القائل

نعمة الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على اقوام
لا يليق الغنى بوجه ابي يعلى ولا نور بهجة الاسلام
وسخ الثوب والعمامة والبرذون والوجه والقفا والغلام

ولولا ان العقاب تبع للخطاب وان التام على الاعراض محمول
في حكم الاعتبار ونص الكتاب وان مجاز الشعراء غير حقائق
الكتاب لادعيت غضب الله على نعمه حين ابتلاها بمجاورة الانذ ال
وزواها عن مظان الاستحقاق من كرام الرجال غير ان المقصود
فيها بالكرامة وقد قابلها بالاستخفاف فعكابر عقله في جوارها
بغير الانصاف فاولى بان يقهره عاجل الغضب ويصهره آجل اللهب
فكم من وارد ماء اشرقه بمين وقادح زند احرقه سعيره وشاحذ
حد قطع به وريده وراكب جواد قصم عليه جيده وقد تختلف

مواقع النعم من اربابها على سننها ممن صارت اليه ونيلها ممن
مالت بسوء اختياره وقبح آثاره عليه فالاحداث فيها احسن حالا
وازين خصالا من الكهول الطاعنين في الاسنان وذوا الشيوخ الحالبين
اشطر الزمان فليس من قبح وحنك وسبر وسبك واخذ على
وجه الاستبصار او ترك كالغر لم تلفحه هواجر الامور والغمر
لم تردعه زواجر الدهور والغفل لم تدر به احاديث باحوالها
ولم ترضه الرجال باكفالها وقد يتعذر الثاني في طول الجهالة
بالشباب الذي هو طليعة الحيوة وشريعة الشهوات واللذات
وان سايس العقل لم يضرب عليه عقاله وصيقل التجارب لم يحكم
على متنيه صقاله وان الرأي برغوته يفتقها كر الجديدين
بتزايد وشمس تطلع ثم تغور وصمايم زمان تتفتق فيه النور
والنور وان الشباب شعبة من الجنون وان قلم التكليف
مرفوع عن المجنون والحدث الغر كالعجماء جرحها جبار وعجمتها
دون جنايتها اعتذار ويا لمن خلع لباس الحداثة ووضع
جلباب الطراءة واجتلى نهار المشيب عيانا وافنى ثلاث عمايم الوانا
سوداء داجية وسحق مفوف واجد لونا بعد ذلك هجانا
وجاز له ان يصحو عن قهوة البطالة وينزل عن صهوة الاستطالة

ويبكي لضحك المشيب براسه ونصول الانفاس عن قرطاسه وتمشي
الوهي في عظامه وقعود القوى به عند قيامه واصباحه على
خمار ندمه وافتضاحه بعثار قدمه ونداء برهان الله عليه بانتساخ
محجته وانقطاع حجته وابتلاع النار اعنانها لالتقاطه واختطافه
هاويا عن صراطه ستنجيه العمى في سبيل الله والصمم دون كلم
الله خبطا في ليل الخبال وحطبا في حبل الضلال ورجوعا في حافرة
الخسار وولوعا بمشاجرة الاثار وخلاء في شطط العتو والغلو
واباء الا على النفس الامارة بالسوء فلا در در المشيب مشوبا
بدنس الجيب ولا نورت اقاحي القذال الا على كريم الفعال
فاقبح ما اجتلاه الطرف يوما ضياء الشيب في حلك الخصال
نعوذ بالله من غضب الرحمن وختمه الغمر بطابع الخذلان وتعريضه
المشيب لما ينتهك من استاره ويكشف من اسراره ويمحق من نواره
ويحرق من نون بنانه وعصم اقمار الكرام واحرار الانام عن مصرع
الغوي ابي الحسن البغوي دلة الاحتيال وسلة الافتعال
وجراب المخاريق وجراب التخاليط وعقرب التضريب ويلمع الاكاذيب
وشبه التدليس وزيبق التمويه ومراة القريب ومقراض المغيب
وافة الجود وخرافة الموعود وحرباء الالحاد وكيمياء العناد

وينبوع النفاق ويعسوب الشقاق وضبة العقوق وفارة الفسوق
وثعلب الخلاع وخنزير القصاع وكلب الهنات واسود الخبث واسد
النزات وحرضة الانذال وفرضة الخبال وسكير الاحجام وتبرين
الدم الحرام ولعل بعض من يتصفح هذه الالفاظ منسوقة
والاسجاع مجموعة ومفروقة قد يظن بها ركوب البهت في حلبة الا قتدار
وعصيان القصد في طاعة الاهجار اذ لا ينقض البلاغة عالا
لمقراض الشفة هنة وحذوا على غرار الشعراء في استعمال المجاز واغفال
التحفظ والاحتراز انكارا لالتقاء هذه المساوي السود في شخص
قد شرى على تصاريف الزمان وجرب واكل طعمي احواله وشرب
ولم يعلم ان الله تعالى اذا خذل من شاء من عباده لم يبق منه الا
حمأ مسنونا وجلدا على اخلاط الفساد معطونا وعلى شك خاصره
الشك عن واضحة اليقين بالافصاح عما ابهم والاصباح عما اظلم علما
تحذيرا لغفلة الانام وتيسيرا لشاكلة الاستعظام وتنبيها على
مزلة الاغترار بظواهر النعم والانخداع لزواهر الاحاظي والقسم فكم من
صفيح يروق العيون نوره ويروع النفوس مشهوره قد قطف عناقيد
رؤوس واراق اباريق عروق وفرق المنايا عن عصل من الانياب زرق
ومن شهاب كما خط بالابريز كاتب او حل عن معقود اللواء راكب

تستوقف الابصار ضياءً ممدوداً وبهاءً بافق السماء معقوداً
قد زهد من طار بطوله وسهد من رام التحيز في جواره وكذلك
الدفلى يغر الناظر بمجرده ويفتر عن عقيق الورد زبرجده
ثم هو الداء المجلوب لمن خبره والسم القشيب لمن فكره واعتبره
ولولا ان قصد الشريعة ان تسمح بخيرها على العموم وتكافي بين
الكافة في فضلها المعلوم اباحة للكتابة التي هي قيد العلوم
وصيد الحكم المبثوثة في الفهوم لقلت لله در ساسة العجم
ورفعة اقدار الدواة والقلم حتى عنسوها دون ذوي الاستحقاق
وخدروها الا على الكرام العتاق
لله در انوشروان من رجل ما كان اعرفه بالدون والسفل
نهاهم ان يمسوا بعده قلما وان تذل بنو الاحرار بالعمل
فما كل خيزرة لها كفاءة في مناكحة الاداب وملاءة في متاجرة الكتاب
ولا كل مسك يصلح للمسك وعاء ولا كل ذرور يصلح للعين
جلاء واضيع شيء عقد في نحر خنزير وحد بكف ضرير وخط بجنب
قبير ونقش على بنان فاجر شرير هذا ان المذكور معيدي الاحرار
بخراسان دناءة همة وقماءة قيمة وخساسة مفعول وخصاصة
معقول نشا في بيت الفضل والنعمة وربي على فرش اللين والنعمة

فرق عليه نعيم النشب وعبق به نسيم الادب فاصبح مخيلاً لصوب
الصواب في افعاله جديراً بحكم الانتخاب في امثاله يظن به وبعض
الظن اثم ان الفرع الى الاصل نازع والغيث للغيم مضارع ولا علم
يقضي بان النار تهفو عن رماد مائل والخمر تطفو على عكر سافل
حتى اذا ايفع وايتع حملته نذالة الطباع وخباثة السنخ تحت
يد الطباع على عقوق ابيه سعاية به الى السلطان فيما حوله وابتلاعا
له بالمكائد والملال ذويه فامتلك عليه فيما لا استحقاق ماله وقصم
محالته واحال حالته وفجع به امه وكانت عياله واحجره دون ما اقتناه
على كبر سنه وضعف اساسه واشتعال المشيب براسه ورسوب قذى
العمر اخر كاسه فطفق يمري الشؤون دموعاً ويقتضي اجل الكتاب
مخمصة وجوعاً ونجي مطايا الاسحار بين برد الياس وحر الانفاس
بدعوات لم ترتجع مجانيقها الا بقاصمة الظهور وحالقة الدين
لا حالقة الشعور وعطف بعد على من طلعت عليه شمس والده ورفت
عليه اغصان فوائده فنجبهم نجب السلم وقرضهم قرض الجلم وعركهم
عرك الادم وقشرهم قشر القلم فعادوا اعرى من الصخر معصوراً
والسيف مشهوراً والغصن مخبوطاً والدجاج على السفود مربوطاً
كل ذلك بمرئية ونصب عينيه حتى اضمرته الارض نديماً للزفرات

كظيما بالحسرات غرقا في العبرات شرقا بماء الحيوة وعقد على مال
خطيته بكنج رستاق عقدا اشتهى به اهلها واخذ يطنبهم بانيابهم
من شدايد السيرة ورعاية حق الجيرة ذريعة الى استيحالهم واستيصالهم
دون حرابهم واموالهم وسامح عدة من شيوخ تنائهم ببعض ما
لزمهم استمالة لهم على بوث مغرورين وضعفاء مضرورين وسامهم
بعد الاحتكام عليهم في التراضي بزعامته والتواصي بطاعته عقد الوثايق
عليهم بتصحيح مال عن ضمانه بنكسر وجران حق من عقد بنجبر حتى
اذا استتب له ما اراد واستوفى عليهم الحق وزاد وضع عليهم يد
الاستصفاء بعلة حاضر وباق وجاير وتائق فاخذ ما وجد من صامت
وناطق وصاهل وناهق حتى اذا ارب كل من ذي يديه وبار غير اطلال
الضياع والرباع عليه رام استنزالهم عنها طواعية وكراهية
فمن اهتبل فرصة الخلاص على التظلم مما دهاه فادهاه وعراه فعراه
سبقه محضر العصبة القايمة بالافك في خفرة التوفير وكفارة التزوير
فارتد على عقبه خزيان قد سال به السيل واسوان اطاف به الويل
وناح عليه النهار والليل فاما ان يزول على كرب وقلق واما ان يؤول
على غيظ وحنق حتى اذا استخلص الضاحية والضامنة واعتصر
البادية والكامنة وغادر الضياع حشين وشرد عنها الزراع

عزين واخرس الثغاء والرغاء وانطق الهام والاصداء وظلم المنابع
والمشارع وحمى المراعي والمرابع ولو ملك عصافير الهواء ويعافير
البيداء لاستخرجها على طعوم القوانص وحفوف الملاجي والمفاحص
قد شحا فاه للاطماع ولا مداخل الكهوف ومفاتح الوالج الجوف
كالحوت لا يرويه شيء يلهمه يصبح ظمآن وفي البحر فمه
وما بها التخريب لولا اجتياح الممالك بجوعه واستحلال حرام الملك
بربوعه كانما عقد على الدهر حلفا لا يخونه واتخذ عنده عهدا ايصو نه
ويتحاماه من دونه مئونه وهيهات انها مظالم جديدات الشفاير
ومغارم ثقيلات الغراير ومصايد طال ما خنقت فخاخها وضربت
عليها الشاهمان بخلخها ومطاعم ظاهرها الاري وباطنها السم
وان من البهيم ما يقتل حبطا او يلم نعم واقام سوق الفسوق
خاصة وعامة واباح حمى الفجور بطانة وجامة ملئها سمة
الشطارة ومستمطر ابقية الجارة ومضاهيا تيوس المجوس في
خبث الاحشاء وصلة الاخوان والاولاد بلاغا بمتة ثقات خدمه واد ته
على وجه الاكبة جيران حرمه وربما ارادوا له في السر ملاما وراموا
من تحذيره حدود الله وتخويفه عقاب الله مراما فاربئهم على ظاهرتين
عاهرتين كحدق الجراد ماها الجفان تواريهما ولا اهداب تقيهما تصدقا

بذنوب الآثام وتخلّفاً لمحظور الحرام، وإنما أثبتّ لفظ التخلّف
قطعاً على ما سمعته بعض مشايخ الأدب يحكي عمّن سأل أبا حاتم
السجستاني عن قول النبي صلى الله عليه وسلم أبغض الأشياء إلى
الله شيخ زانٍ، وعائل متكبّر، وفقير فخور، وزعم أن القياس
يقتضي كون الشابّ الشديد الفحلة القويّ المُنّة أبغض إليه من
الشيخ المغضوف والمعتصر المنزوف، فقال: هو بناءٌ على قوله صلى الله
عليه وسلم أبغض الأشياء إلى الله التخلّف، فأبغض الشيخ لأن
فعله تخلّف، ويقتضيه استكراه الطبع وهو تخلّف، كذلك هذا
الخرف المتخلّف والشره المتورّه قد قضى شبيبته على اقتراف
المحارم واختراق المآثم، حتى إذا وضح القتير ودرج المسير وانحلّ المرير
وأفرغ ماء الصبير أبت عادة السوء أن ترخيه من عقالها وتعرّيه
عن أسبابها وتفصحه عن ظلالها وتريه إلا على شعب الأوان
يوم فصالها

لا تعوّدْ يا أخي عادةً تحوي بها ضرباً من الشين
فعادة السوء إذا استحكمت شرٌّ على المرء من الدَّين

هذا ولم يرض بالعقوق النبيّ وسمّه ووسمه وسخّم وجهه وحمّمه
وردّاه بالخزي وعمّمه حتى قطع على رؤوس الأشهاد رجمه وقتل

في اتّباع المستفيض ولده وكان لحمه ودمه، ولو كان كأحد أولاد السوء
في الأخلاق لهم بين الجدّ والخلوقة لكنه أحمر بماء العهاد وأزبد بذوب
الشهاد، والتثم برشف الرضاب والملك بشرخ الشباب والأمن بطعم
الوصال والحلو بطيب الحلال والعفو ببشرى النوال والعيش
بموت العذّال وشمس الجنوب بروح الشمال، عشق الأدب قبل أن
عقدت عليه تمائمه وربّته دون الحضان روائمه، فجاء كالقدح
هدى أوّله النصل المطار وحدا أسفله الريش الظهار، وتأخّر عن بين
من سنّه يرى الخليل في جنب فضله خليلاً وسيبويه كليلاً وعبد الحميد
رديداً وابن العميد عميداً، إن خطّ فنقش البعيد على أيدي الكواعب
الغيد، وإن لفظ فعقود الزهر منظومة وأقاحي البطاح مرهومة
ولولا أنّ أباه اغتبطه دون مداه لخلّف من آثار بنانه وخلّد من
أنوار إبداعه وبيانه ما يفضح ماء الورد في تصعيده وعصير الخمر
من عناقيده، لكنه لم يغن الأقدار ما لمحته العيون حتى اختطفته
المنون، فقامت نواعي المجد بندبته جميعاً وشكته نجيعاً، فظلت
من بينهم صريعاً أنشدهم واله القلب وجيعاً

قد كان لي في رأيه وذكائه أشراط صدقٍ أن يموت سريعاً

ولقد ضمّني وإياه مجلس بعض أركان الدولة اليمينية، فاتفقنا ثاني اثنين

من بين الخضوع على تنافث الهموم وتذاكر العلوم وتناشد أبيات
الكرم واللؤم فما كان إلا أن حمي المجلس بناره وعقر الشرب بعقاره
حتى انحل عليه عقال اختياره وانفتحت له أقفال أسراره فغرق
في بحر الدموع عينه وألقى إلي ما دار بين أبيه وبينه بقرر ما
نشأ عليه من خدمة الأدب والاستغناء بعصام النفس عن عظام
النسب على طاعة من ولده في حجره والبروز على حكمي نهيه وأمره
وأنه حين ملك أمره وعرف من خله خمره وانفرد بتدبير معاشه وتوفير
نعمته ورياشه ناهض بأمله معونة أبيه ببعض ما يستحقه بررة
الأبناء على الآباء فلم يزده على أن زاحمه في إرثه عن أمه وحال
بينه وبين ما كتب الله له من حقه مطاوعة لرقيق أعتقه فذاق
غب بليته وإذاقه ذبيلته فخلاه عنهما تدبير دانيته وقاصيته
دولا ترتيب حاشيته وغاشيته وحكمه في غرض ولده وسائر ما
تحت يده فاحتجر ذلك الفاضل دون نعمته واقتعده دون الاستمتاع
بلحمته وجعل كل من يعتزي إليه منفوما ومقلوعا ومن يعتز به
مظلوما ومصفوعا حتى اضطره ضرح اليأس واختلج الإفلاس
إلى قصد شمس الكفاة لاستماحته وانتجاع ندى راحته فحين
علم أبوه المعتوه مخيمه على شاطئ الإقبال واستقلاله على مواطئ

الآمال ندب الفكر لاغتياله وأشهر الكيد لاقتناصه بأحبي
حبائله وحبائله فدس إليه على ما شاع وذاع وشحن الجامع والبقاع
من ذي عفة له تقيعا غادره على فراش المنون صريعا وانتقل غير بعيد
إلى جوار الله تعالى ودار كرامته مشتكيا بديه من فوق هامته
ومستصرخا ولي العدل ومالك الخلق على ظلامته وحرث عن
قهرمان بيته وقد عاد إلى أبيه السفيه ما كان استفضله عن رواتب
نفقاته واقتطعه دون عوارض حاجاته استظهارا به على
حوادث النوب واستيفاقا على معالي الرتب أنه وآخر من رفقائه
أنفقا من جملة المال قدر ما تطيب به المسافة إليه ووضعاه في
أكياسه بختومها بين يديه وكان جزاؤهما منه أن وضع الدهق
عليهما حتى استغرق ملكيهما وانتزف صليب العظام بين جنبيهما
ثم قصعهما في روحيهما إشفاقا على صورة الحال ومستورة المال
من هتكة الإذاعة وفضيحة الكشف والإشاعة لولا أنه اعتصم
بالاستتار دون صاحبه مرعدا بما نحا ما نحوه مبرقا باستتار ما واراه
ولم يرض بالإرث وقد حازه دون مستحقيه من قرابته وذويه حتى
قطع سباط المطالبة على ولاته ومواليه وهلم جرا إلى شقيقه
له معجره في الحجاب معتنسه دون الخطاب خلافا لله في حكمه

وأجبرًا عليه في فرض الإسلام وحتمه واستخفافًا بلوغ الألسنة
في دينه المجروح وعرضه المفضوح وعقده المحلول وسره المعجون
بالغلول فعرّاهم ذكرانا وإناثا عما لبسوه من بالٍ وجديد وطارف وتليد
اعتلاء عليهم بتقايا أخرجها المتوفّى على ضياعه وهي تحت استغلاله
وفي ضمان مزارعيه وعماله ولم يستثن من جملة الداخلين عليه
رحمه الله لتسليمه غير موسومة بجريمة ومكتوم بمضيمة ومنقوض
عن ذخيرة وكريمة ومغلوب على حواه من تبعة أو تهمة وزارته المقصورة
المهجورة تشكو إليه بلابلها خضوعا وتمري عليه محاجلها دموعا
ضيقا بما دهاها من إضاقة وأفرجها عن مس التسبب من فاقة
وتسأله سؤال المضطر أن يملك عليها ما ملكته إرثا وتحوي بما حوته
عتقا وحرثا مصانعة له دون ما أطلقه عليها من أيدي الجنود وأجلاف
الترك والهنود فسر في وجهها تجيرا بما تشوفته من نظره وتلقا لما
خصفته من ورق الصيانة عن شجره وجعل يديها في جلباب
التلطف والتألف بأحد من مولة القراع وأشد من ملة المقلاع
ففعل من لا تأخذه حرمة ولا تخفه رحمة ولا ترق عليه رأفة ولا
تخف إليه في ذات الله مخافة ولا يثنيه عن وجوه الناس حياء في ذلة
تذال وعورة تنالها الأيدي الطوال فلما آيسها الإعراض ادركها

الامتعاض والتث حلفة مضبورة لئن لم ينته عما لم يقصد بمثله
والدة ذات خدر وكريمة وراء ستر لتهتكن الحجاب ولتطرحن الجلباب
ولتحثين التراب منطلقة إلى حضرة السلطان في إيضاح ما وارته
الحذر منه وطرحته المجاملة عنه وكتمته ضماير الإشفاق
فيه وطمسته ذيول الهوادة دونه فقال المجنون أخيه وهو معه في
ناديه اغلق على هذه الفحبة الورهاء فقد أبطرتها الفضول وأنطقها
دالة الاحتمال فما تدري ما تقول فهلا والله حمية الأبطال في
حماية الذمار ورعاية حقوق الحرم الأبكار رحم الله أبا الفتح
البستي حيث يقول : خلق الله للناس الغيرة غيره
ولما فرغ هذا الفاضل عن هلاك ولده ووراثة ما كان تحت يده
وأعصه المظلومة عن بلاله جالها وعن بلاله مالها انتدب أخاهما
لصلبه وهو عجزه أو زاده ومن يرجو مثله لمعاشه ومعاده
للتقبيل بمعاملات أجنبية اجتيالا عليه في الحافة بأخيه
وانقطاعه دون كفاف يتصرف فيه فتلطف واعتذر واعترف
بالعجز عما قدر حتى إذا أعياه التلطف ولم يقنعه إلا التصرف
مد رقبته لربقة التقليد وكتب سبعا على طارف الملك والتليد
وما زال يجبي ذلك ولو دون نزوره ويمري حلل يحيى وثروة حتى نضب

الماء إلا قليلا وعصب ريقه إلا بليلا فطفق يعيّن بعجزه
وتفجيعه ويبكّته على خرقه وتضييعه وأمر فجمع عليه ما لم يثبته
سمع ولا بصر ولم ينبته نجم ولا شجر ولم يطلع عليه شمس ولا قمر
وسبّب عليه أعلاج الهنود وغلاظ أكفّاء ابهم السود ما لا أوهى
منن طاقته وأتى من وراء فاقته وحرّشهم عليه تطميع في عاجل
موزون وترغيب في آجل مضمون حتى أوهنوه شدا وأيثاقا
وأثخنوه ضربا وأرهاقا ووضعوا عليه في بعض لياليه دهقا استمر
به إلى الصباح الثاني حتى إذا لم يبق منه غير نفر الطائر علموا أنه
مظلوم وأن لا نجح عليه في دينهم المنحول وشركهم المخذول
فرم ولوم ونفضوا أيديهم به لا عن آباه ومن أرضعه وربّاه وأطعمه
بعد الله وسقاه. وما نظن للأفاضل الكرام بمن يوفي رحمة الكافر
ألف جرع على قساوته وطبع قلبه وبمن يزعم أنه والد يحنو على ولده
ويعتنده فلذة من كبده وبضعة من روحه وجسده كل ذلك طمعا في
استزادة مال أو استضافة حال فصار أهالي تحقق زوال
فلا رحم الله كل جاني العقيدة خافي الجيدة قاسي الفؤاد
جاسي دماء الأولاد إن للآباء فروضا على الأبناء وللأبناء حقوقا
على الآباء وإن يكن من فرض الوالد أن لا يقتص منه متى قتل ولده

ويقطع بيده يده فمن حق الولد أن يطاع الله في صلة رحمه وتقوى
الأقدام على روحه ودمه. نعم ولما أن خف عن البائس كربه
وانجلى عنه وصبه أسهى إلى جانب الأمير أرسلان الجاذب في زحفه
السهم المارق في الرجم المقذوف على المارد السارق متفيئا به عارض
البائس ومستبقيا روحا معلقة بخيط اليأس فآواه وقبله ونشر
عليه جناح رحمة له وكتب إلى أركان الدولة في بابه بما أبطل عليه سعاية
أبيه وغل دونه نكاية قصده وتجنيه وجاء الفاسق المارق افتضاحه
بآخره لدنه كما افتضح بمن قبله أروى الله صداه وقبح أباه فلم يزل يلقاه
بشعوذة المخاريق وبرقشة التزاويق حتى أقرضه مالا سد به منخر
بأسه ورد معه عدوى امتعاضه وشماسه كابن المقفع حين استقرض
السجان واستوجب الأمن والأمان فلو نقب عن منافس فتوقه ومسالخ
جلده وعروقه لا نفضحت حيلة تعجز كل صباغ وصواغ وثعلب بين
الوحوش رواغ وما زال هذا المذكور يختلف به السرج والكور إلى أن
قدم شمس الكفاة زين السلطان مرورذ مستوفيا على العمال بقايا
الارتفاعات في الأموال سنة ثلث عشرة وأربعمائة فجنح إليه لائذا بكنفه وعائذا
بواقية الكرام وراقية الأيام من شرفه ومقررا حاله في الظلم الذي
ضمه بجرينه ومعسه معس الملحاح غارب بعير وفوطيا لسانه

فراش التقية طاعة لله في لزوم الاحترام وصيانة للعرض
من شؤم المدام الى ان حشرت مطالبة العمال اياه الى مثواه من باب
ولي نعمته ومولاه فتضرع اليه فما نفع وخشع فما نجع وتلطف فما اقصر
واستعطف فما سمع ولا ابصر حتى اذا عارضه الرد بحجابه وكلمه البأس
من وراء نقابه بلج على شمس الكفاة ببعض تلك المخاريق وصب عليه
جرعا من الوان تلك الاباريق واشعره ان صنيعه انجح منه الا حاجرا
لاياديه نحافتا بمساويه موالبا لاعاديه مخالفا لكريمة الحفاظ
في مواليه براهين كما سطع الصباح السافر او متع النهار الجاشر مفرطة
بصحايح الاقوال مشتفة بفضايح الافتعال فلولا كرم غنى
بلبانه وعض على مسكه ونابه لرجمه رجم العفريت وضربه بالنفط
والكبريت لكنه راى ان يضم عليه طرفي بساطه ويستبقي مختوم سره
بين حزنه ورباطه تقية لشفاعة المشيب وتفويضا الى ما وراه
من الاجل القريب واقناعا لمن سمع او نظر ووعى او خبر بما تناهيه
الافاق من ذكر شيخ معايبه احداث ولومه مكتسب وفضله ميراث
ولما تسامع اهل عمله بما ركد من ريحه وظهر من رغوة صريحه تبادروا
الى مقصد الظلامات صارخين من الجور كما تفتق في الجو بنات الاعداد
وجمهور في الشعب حجيج البلاد واختلفوا في المظالم فمن بين قائل

هتكت حرمته وآخر انتهكت نعمته وثالث انتهبت ثلته ورابع طلقت
عليه طلته وخامس قتل على التعصب اخوه او ابوه وسادس خرشت
على المعروف بشرته وفضت فوه فمنهم من وصل فسعد بالانصاف
ومنهم من حذر فشقي على ياس للانصراف ورأى شمس الكفاة ان يسلك
به شعب المجاملة فطم بصرفه على نبايث مساويه وصدغ مسامع السلطان
خبايث افعاله ودواهيه واصم نداء التظلم عن شريف ناديه فعاد
المذكور وراءه مخذولا مفلولا واراد الله ان يقضي فيه امرا كان
مفعولا ولما رأى ان قد ضجت عليه افعاله وضحكت منه حيله
وادعاله وان الالسن قد مضغته حين اطاع عبدا مملوكا في
معصية خالقه ووصل شهوة الفجور في قطيعة ولده وعمر اطلال
ضياعه بخراب آخرته وثنى به ونوب الثاير الموتور لحايش المسعود
يرتجع ما حلاه على الفسوق ووفاه من ثمن الاستلذاذ بسلعة ذلك
السوق ويرى ان صنيعه ذلك عليه سمة الالامة وبقية نبال الالسن
اللاذمة واسترد ما نحله مرصدا في رجع عليه بقيتها اشربة من
مخلجة اشراق وعراه عما اعطاه بعد ان عراه وامتطاه ويطحه
للبساط بعد ان يطحه لوطي اللواط مستذلا منه حرده طال ما امتصها
بثغره وكنسها بعصا ضبيه وفداها بنفسه وابويه ودفن عليها

احد ولديه هذه والله الجود لا ما نبئ عن حاتم العرب وسادات
بني عبد المطلب فلحا الله من رضي بها لنفسه سيرة وخباها على
تناسخ الاحقاب كنزا او ذخيرة انه وذات الاسنان بسطرمكة الاذل
من والغ في جيفة مقلوب واذل من طامع في شريطة مصلوب
ان كان اراد بما اتاه انتفاعا فهلا ذاك والولد حي وفي اليد من
ملك الخيار شيء الآن وقد سبق السيف العذل وقد فعل القضاء
ما فعل اوردا وقد نضب الماء وشيما وقد اصحت السماء وغبرة
وقد سقط الجدار وسترة وقد ظهر الشوار هيهات هيهات
لظن حائل وراي فائل وطف زائل ورد ماء سائل
ايتها النفس اجملي جزعا ان الذي تحذرين قد وقعا
واختال مفترش لذته ومعتصر شهوته للانقطاع الى بعض الامراء
فقبله واواه وانتزعه من قبضة مولاه مراغمة لوته بنار اضغانه
وشوته على جمار غموصه واشجانه ولا حميم ولا قريب ولا ولي ولا حبيب
ولا والد ولا مولود ولا عابد ولا معبود فاما الشرع وطريقه
والدين وحقيقته فحي هلا به ان في وضوح هذه الخلال على شوم
احكامها وسفه احلامها لغنية دون شرح الحال وشرحها
وتبليغ لسان المقال وتفصيلها غير ان التقرب الى الرسول المصطفى

الابطحي المرتضى صلى الله عليه وعلى آله في قوله اذكروا الفاسق
بما فيه يقتضي التنبيه على مخازيه تخليصا لخفايا نكره وخباياه وتشكيلا
لاضلاع خبثه وزواياه ليعلم الا اني ضللت اني جاورته على البريد
فربما هو سنتير فلا والله ان تضيفني الاحداق به في المسجد الجامع
للفرض الا يوما واحدا كبيضة العقر او كقضة البكر فما ادري اخطات
به خطاه ام الجاه عذر تخوف عقباه وتجاذبنا حديث الصلوة فقال
ممازحا وما صدقك لا مازح او سكران قام بعضهم يسعى يوم الجمعة
للفرض وقد نودي للصلوة فقال صاحبه مكانك ان اربعة من
خبز البيوت لخير من اثنين من عمل السوق وقد كان من طريق التجوز
مسلك للتاويل على وجه التملح ولكن من هذاك قيله وتلك افاعيله
ترك العبادات سبيله فلا عيد يعتاد ولا فرض كما تقتضيه العباد
محال له به غير اليقين بالالحاد وتلقي اوامر الشرع بالعناد واظن
قول الغلام الواصف مولاه انه يلعب في الشطرنج ويلحن في القرآن ويصلي
من قعود ويبكل من قيام يحكي المصورة حاله وياوي الى مقصورة جنته
وضلاله
فجل احواله عيوب وعظم افعاله ذنوب
يصلي فيخفض اركانه ويشتهي فينصب سيقانه
يخاطب بالكاف اخوانه ويشتم بازاي غلمانه

ومن نادرة البلد اعتقاده للاعتزال على وعيد الابد ثم لا يتقي
محظورا ولا منكرا ولا يستبقي عملا موزورا او منكرا من القول وزورا
ها هو طمع بشهادة في مال رجل كان انقطع اليه منذ زمان
فاغرى به ربيبا كقضيب من الآس مياس بعلة فقتله كان بابه
اذ هو رضيع وعلى جدالة العجز صريع ولقنه استعداء الامير
الاجل ابي سعد مسعود بن محمود عليه وتنجز الامر في معنى الانتصاف
اليه فتنبه ذلك الالمعي والسيد اللوذعي على غامض كيده وباطن
ختله في صيده فقام بالكتاب الي في تعريف الحال وتجنب جانب الاحتيال
والانتداب لاعداء الشاكي على خصمه وايفاء حكم الله في امره فلما
احس اخو ذلة المحتالة ان جده قد فال وظنه استحال
وسعيه الى التبور قد مال منع شهود الزور ان يصدعوا بالحق
فيما بذلوا من خطوطهم ترغيبا وترهيبا فرضوا القول وادعوا على
مستلئهم العول ومال المزور الى التوسط عن ارش المستباح
دمها على ان يبني درهم قيمتها خمسة دنانير فلم يدر ايه نحلة وقعت
بان ديات الامهات على هذين العقدين فما في الاسلام له ذكر معلوم
ولا في الفقه باب مرقوم ولا عند اهل الكتاب امر محتوم ولا في ديار
الشرك رسم مرسوم ولا في فطر النفوس ان تنزل عن امهاتها متفق لــ

ما وصل [illegible] عمر [illegible] حكم

بهذا الوكس والثمن البخس ولا الخنابيص او القرود لو نطقت ترضى
عن واضعاتها بمثله ولم قد قلت واقول انها ليست دية تودية
او ودية بل هي دية نسمة مسلمة قد حقن الله دمها الا باحدى
ثلاث نصا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل يستجيز ان رخص
في هذه الاحكام المستخف بدين الاسلام اما ان المحكوم عليه
لم يلزمها الا بقرة قومت مائة وعشرة فقال المفجوع المخدوع
تالله لا رضيت بهذا الغبن ولا شربت الدم اكرام باللبن ومتى بارجيك
في امر القتيل فاغتيل فلم يدر اكلته النار ام شربه الماء وتلقطته
الارض او اختطفته السماء فلله هما من كميت ذهبا بطرا
وتخصيص فقد اغيلة وسحرا هذا والله الدين السليم والعقد
الحكيم والامر القويم والسمت المستقيم والمبالاة بما وراءه الجحيم
ومما يزيده ادام الله عز المشايخ فضوحا ويفيد هذه المقدمات
وضوحا ما كانت الاخبار تتشاهد به من استحلاله عند الاتفاق
من لواحق جناياته على سلطان زمانه ورعايا عمله وسكان حبس
ما ينسب اليه من ضيع وعقار وباغ وداد [illegible] ذكره الاسماع
وتتقاصر دونه الطباع حتى اذا ما خلا جوه واستقام على ايقاع
المراد شدوه ندم على ما فعل ورجع فيما بذل وقصد بالفسخ كل ما

اجمل

فكان هذا البلاغ يقرب تارة من الامكان ويبعد اخرى حتى اغنى
شخص العيان عن الخبر، وناب شمس البيان عن القمر، وذلك حين بعث
السلطان قاضي قضاته ابا محمد عبد الله بن محمد الناصحي الى ديار
خراسان لتدارك ضياع الاوقاف، وانتزاع ما اقتسمته ايدي التسلط
والاختطاف، فرفع اليه خليفته وانا حاضر، والى حقايق ما يرد او
يصدر ناظر، ما تقرر عنده من اختيانه، ما يقارب مائة الف دينار
من اوقاف وضع عليها سمة التملك، وسومة التغلب والتحجر،
كاعمام فيها افواه اربابها دون التظلم بوعد دونه رقراق السراب
ووعيد عنده فراق الرقاب، حتى درج عليها قرن بعد قرن آيسين
من الانتصاف، وخلف من بعدهم خلف قانعين من دونه بالكفاف، فاوحى
اليه بانعام الاستقصاء على حكم امانة القضاء، فقام فيه وقعد،
وابرق وارعد، وانتزع مالا عظيما من تحت اضراسه، وحرزه الافتضاح
ان تعرض لراسه، وكان قصاراه ان تنكر وتنكب، وخشي اسوة
امثاله العنت، واحضر الرجل طواغيت الشهود، وعفاريت الفسوق
والمرود، وعقد بمشهد منهم وعلى شهاداتهم وثايق بوقفه جميع املاكه
واطلاقه على وجه الله جميع ما امسكت يري بها تعلل ان التسبيح بالخبث
يده من قليل وكثير، وزهيد وغفير، تبرؤا عن الطمع في مال الغير

موقوف وعرض الى وجوه القربات مصروف، فلم يتراخ الامد على هذا
العقد الوثيق والخذلان المتنبه بالتوفيق حتى قال لي وهو يشكو
الوزير شمس الكفاة وسماعه اباطيل السعاة ما هو الا ان احل
عقود املاكي هذه على طفرة الى العراق ساليا خراسان واهلها وقاليا
قرارة الميلاد ومباءة الطارف والتلاد منها، فقلت انا لله وانا
اليه راجعون من شيخ هذه نقيبته وما لفظه على وجه الاستحلال
وغيظ العجز عن الملاك الرجال بقيته، هذا ومن فضل سماحته وسجاحته
فيض راحته ان كان من ساكني حلته على عمل يليه او مال يجتبيه
كاله ما شاء جزافا ووزنه تبذيرا واسرافا استخفافا لشهاداتهم
له بجوده وتخرقه جودا والكرام بموجوده حتى اذا قضى الوطر منهم
وملك سلطة الاستغناء عنهم تتبع عليهم صبابات القدور وخلالات
الثغور وقمامات الاطراف وقصاحات الاصواف وجعل المطعوم في
زنة الذهب المصون والمشروب في قيمة الجوهر المخزون والدرهم الوا حد
قنطارا وحديثا في دواوين الشرق مطة اسعيابه من خست ارومته
ودنست على دمنة اللؤم جرثومته فيصدر عنه العامل او المجاور
الآمل مغبونا مننه مقاسمه موضوعا في شرابه وطعامه مفجوعا
بما اقتناه غابر ايامه مخدوعا عن شهادة ختمت صحيفة آثامه

قد خصف على فرجيه بجلتي يديه يبادي في عدوه التلبيك ويناجي
لبيك اللهم لبيك وليست هذه من آثاره باعجب من كون
اخباره مسدول الاسناد دون اسراره وقصور يد الانتقام
عن معقد ازراره غير ان لكل شيء امدا ويابى الله ان يفلح الظالم
ابدا الا ان المال يغزر الماء ويحقن الدماء ويجمع الاهواء ويدفع
القضاء ويستر العوار والعوراء ولقد بالغ ابو الفتح البستي
حيث يقول

اشفق على الدرهم والعين تسلم من العيبة والدين
فقوة العين بانسانها وقوة الانسان بالعين

غير ان المال متى سلب الجمال واورث القيل والقال وبالا ولا الدين
مطلوبا والذنب محسوبا والانف مجذوعا والبنان مقطوعا فقبح
الله الاعراض متى دنست الاعراض والاموال متى لطخت السربال
والاملاك متى اعرت الادراك والرغائب متى ابدت المعايب فاما موائد
ومطاعمه تحذوها اليكم باسنانه كما تفتحت الاصابع واشتقت
الكعوب القوارع انه يغدو مع صفير العصافير على اطعمة تربو
عليها جشاه كما حشي الدقيق جرابا واثقل الرصاص كعابا
فما هو الا ان يدور رأس الشمس على صلايات الجدران حتى كان

بكمه

او لا ذا البقر بحسن فواده وكان الظليم يدعي فيه ميلاده فيتغدى
بالفول سنة وعادة وبما يجانسه من عمل السوق شهوة وارادة
حتى اذا طفح كالدلو لمن متح كفه وقبض الكف على فم ابطير داجنه
ولا تنثني دون الجذب محاجنه فاذا انتصف النهار او كاد وتحف
الحرباء الالحاد دعا بطعام اليوم وهو المتكلف وما يقيم رسمه التصلف
فاحتشى من كل حلو وحامض وامتلأ من كل بكر وفارض حتى تحتشي
عليه في الصفاق من الانشقاق في العروق من الشوق فيظل باقي
النهار يشكو امعاء معوية وخلاء خابية حتى جنحت الاصيل
وهم الطفل على الليل بالتطفيل اعيد عليه الطبائخ والغروف
وحشر عليه القراطف والقروف ثم يؤتى لمبيته بلفائف الاضابير
مطوية والطوامير محشوة ومستحبة وربما نعار ببعض ساعات
الليل فينادي بالجوع ويلاقي الظهماة بالقنوع فيجاش عليه بجالة
الوقت من مستودعات البسانيق ومطحنات الطيور والغرانيق
فيتهجد عليها من غير قيام ويتسحر منها بغير صيام طعاما لا
يشرد فيه غير الملائك حاضرة والكواكب من محاجر الظلماء
ناظرة فما الارض وهي الغاية في الالتقام والالتهام ولا الدعص
وهي النهاية في الاشتفاف والارتشاف بابلغ منه لولا فنا زاده

ولا باجرع لولا اقتضا نفاذه ومن نادر امره في المعاقرة انه يلبث
ضمنا في التنقل من الصبوح الى الغبوق والتردد بين الفجور والفسوق
فان نشط للتنزه تبوء مقاعد الاكتاف كما تعود مقاعد الاحقاف
فيها هي بين اثنين حرضا في جلدة شيطان وجيفة في سورة
افعوان قد نجم بينهما نبوح الفحل للرماك بل صنيع الداهيتين
بالضحاك وربما بقي في التمارض سنة او اكثر شفقا من تكلف
الخدمة لولي النعمة وتجشم المسير الى باب انوزين فيرشو على التعالل
مالا ويخلو وجوه الاطباء واصحاب الانهاء فيرهما خفافا وبدرا
ثقالا وليس على هذا الاحتيال باغرب من اكتنايه الزمانة على
امتناع الطباع وشموس النفوس دون الاصغاء اليها فضلا عن القرار
عليها فسبحان من خلق النفوس اطوارا وجعل من الهمم انجادا واغوارا
هذه من اعيان مساوي هذا الفاضل العاطل لو سردت امثالها
لطال الكلام وعال الابرام وورآهما من دقائق الظلم المذموم والدغل
المكتوم وثقل الخذوم والذل المبلول بلعاب اللوم ما يربي على دقايق
الابراج واجر اجواهر الامشاج والضغاين على الاصرار كبايرا كما زغب
الشعر على الايام غدايرا ولقد احسن ابن المعتز حيث يقول
خل الذنوب صغيرة وكبيرة فهو التقى

لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى
ومما اقتضى التنبيه على معايب المذكور ومعايبه والقلى عن شمط
عقائصه وذوائبه مقابلته صنائع لي عنده ايام آل سامان وبعدها في
حق قضيته وعهد رعيته وعيب طويته وسر الخفية وشغل
كفيته وبر اوليته بان كاشفني لمودة جمعتني وولد المعتبط ابا المظفر
رحمه الله بعداوة لم يرح لعظيم سيلها صفاء ولا لبهيم ليلها انقضاء
وذلك لان شمس الكفاة تبتغي المجاورة وتقمن لي خيرا بمعاشرته
مكافاة على خدمتي دولة السلطان يمين الدولة وامين الملة باليميني في شرح
اخباره وشرح مقاماته في غيبه ولنصاره فما زال يسري اليه نميمة
كقطار ديمة ووقيعة كسراب بقيعة على غفلتي دون ان ينصبه لي من
شرك ويحبه من معرة هوية مالة انى لحقه كافر وعن فرض محبته
نافر والي مرموق بعين الكفاة في استحقاق صدر الوزارة مايل
وفي شعب الاختصاص به وللانقطاع اليه سايل الكذوبة لم يخلق الله له
راسا ولا ذنبا ولا يضرب لها وتدا ولا طنبا ودمنة لم ينهد دمنة لنسور
حوافرها ومصفوف كلامها وابا هرها حتى هاجه على ما كالليث موتورا
والنمر محرجا ومضرورا فلم تدحت حتى استنزلته عن جرار وشماس
وحمدت حتى نجوت منه راسا براس وطفقت انشد وقد فارقته سالما

إذا المحن لسنا سالمين بأنفسٍ كرامٍ رجت أمراً فخاب رجاؤها

فأنفسنا خير الغنيمة إنها تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها

وأغرى بي بعد الملك بن شمس بميز الدولة وأمير الملة في غطيهة لو لا

ألهمه الله إياه وأشعره الحصاة فنفر ونقب أو استشف أعطاف

البلاغ فعل من جرّب ودرّب لثارت علي منه داهية لا تبقي ولا تذر

واستطارت عباقية يفني عليها الشعر والبشر فمن الله تعالى

وتصدق بأن فضح الفاضح فيما زوّر وكسف وجهه وكوّر وأهوى

فيما حفره وخنقه بقوى ما ضفره وسخّم وجهه بنو الافتعال وكشف

عورته لفحول الرجال وجعله عبرة للغابرين بشرح هذه الأحوال

لمن قرأ هذه الفصول فليحمد الله على السلامة من مثلها والبراءة من

فوادح الأوزار وقوادح النار بها وليعلم أن الإساءة تعقب على

الأيام عيباً ثقيلاً وغباً وبيلاً وخطباً جليلاً ولساناً كالحسام ثقيلاً

قبّح الله من نقص غمّس على زيادة الآثام وساءة الأنام وحيانة

الكلام ورحم الله عبداً قال آمينا

تم الكتاب اليميني مما جمعه أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي

نوّر الله حفرته في خامس عشر جمادى الأولى سنة ثمان خمسين وأربعمائة

ونقله أضعف خلق الله من أمة محمد المصطفى أمانة الله ... وسر بعينه

ورجاه من فضله شفاعة محمد المرجو لذي عفا الله عنه أو أخر ضيعه كلهم

سنة ... بعونه تعالى [illegible]

[illegible]

زید متوفانك ورثه سی ترکه زیدی قبض ایتدکلرندن صکره عمرو ظهور ایدوب بن زیدك جاریه موطوءه سی
ندیمه دن تولد ایتمش اوغلی اولوب حتی زید حیاتنده بنی اوغلمدر دیو دعوت دخی ایتمشیدی دیو دعوی
و ورثه زید قبل الدعوه سنك ایچون قولم بها ایتك اوغلودر دیو اقرار ایتمشیدی دیو دعوی مرعا اثبته
قامت بینه ایلسه لر عمرو دی دفعه قادر اولورلرمی الجواب اولورلر کتبه عبید الله الفقیر عفی عنه

بنم سعطانم مبسوط وسرخسی ده ولو کان المولی والعبد میتین فاقام الغلام البینة انه ابن المولی من امته
وهی میتة واقام ورثة المولی البینة علی انه ابن العبد من امة المولی زوجها المولی منه فانه یثبت
النسب من المولی لانه لیس فی بینة الورثة ههنا اثبات النکاح فقد انقطع ذلك بموتهما
وکذلك لایثبتون النسب لانفسهم وانما یثبتونه للعبد ومقصودهم بذلك نفی النسب
والبینة علی النفی لاتکون مقبولة دیو اولیده دافوی مفصل ومنقول مشروح وکذلك محیط برهانیده
ومحیط رضویده دعوای نسبده بو صورتده اولان مسئله لر بسط ثم حصر ایدنلك
تحریر بویر رفتری جوابه مناقض دکلمیدر بیان بیورلسون عند الله تعالی مأجور اوله
الجواب ـــــ الله اعلم دکلدر بو فتوا ایله اول مسئله متغایر قیدلدر زیرا جاریه
ولکن بوراده مولاسی عبدم فلان نکدر دیو اقراردن صکره تکرار دعوت ایله اول ولدك
نسبی مولاسندن ابتدا ثابت اولمدیغی ذکر اولنان کتبده وسائرنده دخی مصرحدر
بو فتواده تحمیل نسب علی الغیر یوقدر تمام ولدی اوغلدر دیو اقراردن صکره
بنمدر دیو دعوی مشروع اولمدیغیدر مبسوط ومحیطلر مسئله لری بو صورته کوره
دکلدر بلکه ولد مولانك امته سندن طوغمش اوغلیم حتی مولی منزل مشروح اوزره
دعوت ایتمکله بنم نسبم مولادن اردیو دعوی واقامت بینه ایدوب ورثه دخی
سن بنم فلان جاریه می عبده نکاح ایدوب ولد عبددندر کنده دن دکلدر دیو
عبد حاضر اولمدیغی ولدك نسبی مولادن نفی وعبده تحمیل ایله دعوی واقامت بینه
ایتدکلری صورتدندر